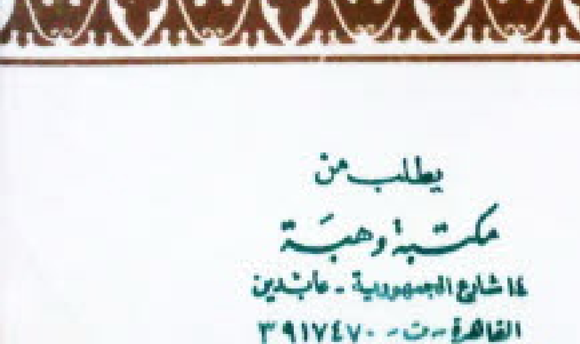
دراسات منهجية هادفة
في البناء

المدخل إلى
دعوة الإخوان المسلمين

سعيد حوى



يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

اعتنى بالكتاب وأعده للنشر الإلكتروني

حاتم المحتسب - شبكة فلسطين للحوار

، اللهم اغفر له وارحمه ، وتجاوز عن سئياته ووفقه واحفظه ، وييسر له أمره ، وأحيه سعيداً ، وأمته شهيداً ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، سبحانك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الطبعة الثالثة

١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

« صدق الله العظيم »



مقدمة الطبعة الثانية

فى ظروف من العمل صعبة طُبِعَت هذه الرسالة طبعتها الأولى ، ولم يكن بالإمكان الوصول إلى مؤلفها . فَطَبِعَتْ الرسالة كما رآها مَنْ قرأها فى طبعتها الأولى ، وفى أول فرصة أتيحت للمؤلف أن يرسلها للطبع على الطريقة التى يُفَضّلها أرسلها ، فكانت هذه الطبعة .

والرسالة فى طبعتها هذه مرتبة ترتيباً جديداً مع شىء من التنقيح والإضافات ، وزيادات فى الفصول اقتضاها بعض ما صدر عن الجماعة . والله نسأل أن يتقبل .

* * *

بين يدى الرسالة

نحب نحن الإخوان المسلمين أن نعتب على أنفسنا فنقول :

في كثير من الأحيان نطالب الناس أن يلتزموا بنا ، ولكن لا نطالب أنفسنا بتطوير أنفسنا ، كي نكون أهلاً لأن يلتزم المسلمون بنا ، وفي كثير من الأحيان نطالب الناس أن يلتزموا بنا ، دون أن يعرفوا ماذا يعني الالتزام بنا ، وفي كثير من الأحيان تجد الواحد منا لا يدرك مبررات ما هو فيه ، ولا يعرف إيجابيات دعوته ، وفي كثير من الأحيان يشك حتي بعض إخواننا بإمكانية تحقيق أهدافنا ، ونادراً ما تجد من إخواننا من يعرف أن يشرح طريقنا لتحقيق أهدافنا . أما ما ينتقدنا عليه الآخرون فكثير ، ونحن نقر بكثير منه ، ونتهم أنفسنا بالكثير الذي لا يعرفه الناس من أنفسنا فيما بيننا وبين الله ، ولكن أليست لنا أعذارنا ؟

إن كثيراً من الحكومات تطاردنا ! ، ولا تعطينا فرصة عمل مفتوحة ، وذلك ظلم ما بعده ظلم ، لأننا نمتلك قيادات حكيمة وصفاً منضبطاً ، ونريد تطبيق الإسلام بالطريق الذي يحدده الإسلام ، فمن وقف في وجه ذلك أو منعنا من ذلك فإنه ظالم ، لأنه يرفض الإسلام نفسه ، وبسبب من هذا الظلم فنحن لا يُتاح لنا أن نفعل الكثير مما ينبغي فعله . وفي الوقت نفسه تُعطي الحكومات الظالمة حرية مرور وعمل لبعض العاملين للإسلام ، لا حباً بالإسلام ولا حباً بهم ، ولكن ليقطعوا الطريق علينا ، ونحن نفرح لنجاحاتهم ، ولكن يصيب بعض هؤلاء سكرة الغرور فيظنون ـ من رؤيتهم صوراً من النجاحات ـ أن طريقهم هو الطريق ، وأن سلامة سيرهم من الابتلاءات علامة رضوان الله ، وكأن الابتلاء في دين الله علامة الكذب فيه !! .

* * *

إنه ليُحال بين قياداتنا أن تجتمع ، ويُحال بين صفنا وبين المسلمين أن تقول لهم كل شيء ، كما يُحال بين المسلمين وإسلامهم أن يقوم ، وبين الإسلام وبين أن تمتد رحمته إلي العالم . وهذا كله ينعكس علينا وعلي حركتنا بشكل ما ويعطينا شيئاً من العذر.

* * *

ثم إنه مع قناعتنا أن علينا أن نعمل علي محورين : محور مطالبة المسلمين بالالتزام بنا ، ومحور الارتقاء بأنفسنا وجماعتنا لتكون مؤهلة لمد رواق الإسلام علي هذا العالم . فإننا نعتب علي المسلمين الذين لا يمدون يدهم إلينا ، ذلك لأننا لا ندعوهم ليكونوا أتباعاً ، بل ندعوهم ليكونوا شركاء معنا في تحمل مسؤولية العمل الإسلامي، ثم إن ما ندعو إليه ليس مفروضاً علينا وحدنا ، بل هي مسؤليتنا جميعاً ، فالالتزام معنا - علي قصورنا - هو الطريق للارتقاء بالعمل الإسلامي ، وليس نقدنا والجلوس في البيوت ، وليس نقدنا والعمل الذي إن حقق هدفاً فإنه يُهمل أهدافاً . وعلي كل حال فإن هذه الرسالة بمثابة تعويض عن قصور .

* * *

إنها للملتزمين بنا ليعرفوا ماذا يعني الالتزام بنا . وإنها للراغبين في الالتزام ليعرفوا بماذا سيلتزمون . وإنها دعوة للناس جميعاً كي يعملوا علي ضوء سير كامل شامل . إنها تعريف لكل مسلم علي ما ينبغي أن يفعله هو ، ليتم من خلال عمل الجميع تحقيق الأهداف . إذ الطريق هو ذلك : أن يعرف كل منا واجبه ويؤديه . إنها تعويض عن كوننا بسبب ظروفنا لم نستطع أن نكمل إخواننا، ليبذل كل أخ جهداً في ذلك علي ضوء نظريات الجماعة .

وإنها تعويض عن كوننا - بسبب ظروفنا - لم نستطع أن نصل إلي كل مسلم لنطالبه بما ينبغي ، من أجل أن يسير في الطريق ولو لم نصل إليه الآن ، وذلك من أجل أن نلتقي معه علي الطريق في يوم ما .

كان الشيخ أمجد الزهاوي - رحمه الله - يقول : « إن العالم الإسلامي يحترق ، وعلي كل منا أن يصب ولو قليلاً من الماء ، ليُطفيء ما يستطيع أن يُطفئه ، دون أن ينتظر غيره » .

فهذه الرسالة تعمل في أكثر من محور من جملتها : محور تكميل المسلم المعاصر ، ومحور العمل الذي ينبغي أن يؤديه ليستطيع أن يؤدي دوره في إطفاء الحريق ، ومحور الوضوح ، ومحور الفهم ، وغير ذلك مما سنراه .

* * *

ومع كل القصور والتقصير فإن لنا في الله أملاً ، ثم إن لنا في المسلمين أملاً . فالله عز وجل أمرنا أن نعلم أنه مع المتقين ، فقال : ﴿ وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[1]. والرسول ﷺ أخبرنا بأن أمته كالمطر ٠ لا يُدري أوله خير أم آخره . وفيما يبدو أننا قد تجاوزنا مرحلة الوسط في تاريخ هذ الأمة ٠ فلقد رأينا في حديث حذيفة الصحيح : مرحلة خير ، ثم مرحلة شر ، ثم مرحلة خير فيه دَخَن ، ثم مرحلة الدعاة على أبواب جهنم . وهي نحن فيها ، وسنتجاوزها بإذن الله . ويبدو أن مرحلة الخيرية تنتهي بالقرون الأولي ، حيث يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون ... ويظهر فيهم السمن . ومرحلة الخير الذي فيه دَخَن هي مرحلة الانتفاضات في تاريخ هذه الأمة . وها نحن في عصر الدعاة على أبواب جهنم ، وهو المقدمة لمرحلة الخير الآخر بإذن الله في هذه الأمة .

* * *

إن مسيرة التاريخ عمقت الاستعداد لقبول العالم هذا الإسلام نظاماً ، فلقد تعمقت عند الإنسان فكرة الشوري ، وفكرة الإنسانية الواحدة ، وفكرة الدولة العالمية الواحدة ، والقوي الكبري في العالم تنخرها أمراض متعددة ، وشعوباً بدأت تصحو علي الإسلام شيئاً فشيئاً ، والدوافع نحو دولة الإسلام تنمو شيئاً فشيئاً ، وأي دوافع أكبر من أن يستشعر الكثيرون فساد الأنظمة المحلية والعالمية وقصورها !

* * *

ثم إن لنا في الإخوان المسلمين أملاً :

وذلك أنه لا يوجد تجمع سياسي علي الأرض الإسلامية يمتلك ـ بفضل الله ـ

---

(١) البقرة : ١٩٤ ، و التوبة : ١٢٣

صفاً أنظف من صفهم ، ولا أفراداً قادرين علي التضحية كأفرادهم ، ولا طاقات متحركة كطاقاتهم مع قابلية للنمو ، وكل ذلك بإذن الله وفي ظل رعاية الله لدعوتهم وجماعتهم ، ولكن أملاً بلا عمل ضياع ، وعملاً بلا فقه ضائع .

ومن ثمَّ كانت هذه الرسالة :

إنها لصالح الوضوح في أهم القضايا : قضية الفهم للدعوة ، وقضية تكوين الذات ، وقضية تفجير طاقاتها في العمل الإسلامي ، ضمن نظرية واضحة المعالم بعد مرحلة طويلة من الشكوي المريرة .

* * *

إن من أهم ملامح دعوة الإخوان المسلمين : أنها نقلت المسلم من السير الانفرادي إلي السير الجماعي ، وأنها أحدثت في الذات الإسلامية تغييراً علي ضوء نظرية واضحة المعالم ، وأنها فجَّرت طاقات الأخ اليومية في العمل اليومي لخدمة الإسلام ، وأنها تعمل لاستكمال الأجهزة لبناء الدولة الإسلامية واستمرارها ، وتوجه كفاءات الإخوان نحو الاختصاص ضمن جهاز يخدم حالاً أو استقبالاً في كل هذا .

هذه الدعوة التي تذكرت ما غفل عنه المسلمون ، وتسعي لتحقيق أهداف فرضها الله علي المسلمين ، طرأت علي بعض أبنائها عوارض جعلتهم ينسون البديهيات ، فأصبح بعض الأخوة القياديين يُواجَهون بمثل هذه الأسئلة :

ما فائدة الاجتماع الأسبوعي أو الشهري ، خاصة وأنه يكون أحياناً خالياً من فوائد ذات قيمة ؟ ماذا نعمل ؟ كيف ننتج ؟

نحن نعتبر مجرد الاجتماع حتي علي المباح عملاً ما لم يكن إثم ، وذلك لأن الاجتماع هو رمز الاستمرارية في الدعوة ، وهو علامة علي التوسع ، وهو إعلان عن الجاهزية اللازمة للحركة في أي وقت ، ثم هو مظهر نمو الجماعة والتزام الأفراد ، ومن خلاله يصل إلي القمة ما يلزم ، ويصل من القمة ما يلزم . هذا الاجتماع أصبح يتساءل عن جدواه مع كثرة النصوص الواردة في الاجتماع علي الخير .

والأستاذ البنا ـ رحمه الله ـ حدَّد في مذكراته مظاهر نشاطاتنا اليومية والأسبوعية والشهرية ، بحيث لا تعجز أي مجموعة أن تعقد اجتماعاً شهرياً على ضوء ذلك ، لتقرر ماذا عليها أن تعمله نحو الخارج أو الداخل خلال شهر ؟ وكل أخ عليه أن يتابع قضية ما ، تحتاجها إقامة الدولة المسلمة واستمرارها . ثم إن الطريق في فقه الأستاذ البنا أمام الأخ مفتوحة للمشاركة في كل خير ، ومع هذا فقد أصبح العمل محل سؤال .

ثم إن كثيرين من الإخوان تضيع عندهم خريطة التكوين للشخصية الإسلامية الكاملة ، فلا يعرفون ما إذا كانوا مُفرِّطِين في شيء ، وكثيرون من المربين والموجهين تغيب عنهم جوانب من خريطة التكوين .

وكل ذلك مع ما ذكرناه من قبل كان عاملاً من عوامل كتابة هذه الرسالة ، لتكون المعالِم واضحة .

* * *

ولأن أهداف هذه الرسالة متعددة ، فإن مواضيعها متعددة ومتداخلة ، لأنها كُتِبَتْ لأصناف شتَّى ، واختصاصات شتَّى ، ولكل الإخوان ، ولكل المسلمين ، ومن ثمَّ فإن كل أخ يستطيع أن يأخذ منها بالقدر الذي يوائم حركته وحاله ، إذا لم يكن توجيه خاص له في شأن من الشؤون .

فهي بمثابة دليل عمل وتكوين وفهم .

* * *

إن هناك أخوة من داخل الصف تتفاعل عندهم عوامل النقد ، بسبب من قياس حالنا على حال جيل الصحابة رضي الله عنهم ، أو بسبب من قياس حالنا على حال أحزاب أخرى ، أو بسبب من أننا حتى الآن لم نحقق هدفاً من أهدافنا الكبيرة ، أو بسبب من هذا كله . وبعض الإسلاميين يزيدون في نقدنا بسبب من رؤية موقف نقص لواحد من إخواننا ، أو بسبب عدم رؤيتهم لكثير من أعمالنا ، التي هي في الغالب لا يعرفها إلا أصحابها ، ونقول لإخواننا : نحن نسعى لأن نصل إلى أخلاقية الجيل القدوة ، ولكن هذا يقتضي أن يندفع في الطريق إلى

القمة ناس يمثلون هذه القمة ، دون أن ينعكس ذلك إعجاباً في النفس واحتقاراً لجهد المقل ، فذلك مرض أكبر من كل مرض . وإننا لسنا كباقي الأحزاب ، فبينما الكثير من الأحزاب تسير في التيارات العالمية بائعة نفسها لجهات كافرة ، فنحن سائرون في الطريق الذي يواجه هذه التيارات ، ولسنا على استعداد للبيع والشراء . وأما أهدافنا الكبيرة فإنها تحتاج إلى عمل مكافيء وزمن كاف ، ونحن مع من ينتقدنا بسبب موقف نقص من أحد إخواننا ، ولذلك فإننا نطالب إخواننا بأعلى درجات التحقق . وهذه الرسالة حديث عما ينبغي أن يتحقق به الأخ وهي في الوقت نفسه تذكير لكل أخ بواجباته ، كي نحقق أهدافنا الكبرى ، فلا تتحقق الأهداف إلا بمجموع جهود المسلمين ، فضلاً عن أن تتحقق بعض جهود إخواننا . ولذلك فعلى إخواننا القاعدين الناقدين وعلى الصف الإسلامي كله أن يتحركوا ، وأن يطوّروا . إن عقلية ما سرت إلى صفنا في يوم من الأيام ، ولا زال لها بقايا ، هذه العقلية هي : عقلية النقد غير البنّاء من جهة ، وعقلية الوعود من جهة أخرى . يُظهر ذلك أن بعض الإخوان يستشعرون قصوراً فيتكلمون به في دوائرهم ، فيتشكل نتيجة لذلك جيب نقمة ، فتُرسل القيادات من يجتمع بهؤلاء فيسمع لهم ثم يعطيهم الوعود ، وتبقى الأمور سائرة في مساراتها ، فيزداد هؤلاء نقمة ويتهمون القيادات بالكذب . إن هذا ليس طريقنا ، إن طريقنا أن يتبلور الشعور بالنقص باقتراح عمري وعلى ضوء الإمكانيات وأن يتابع كل منا القصور حتى يزول بتعاون الصف قيادات وجنداً كل ذلك بطريقه الشرعي ومن خلال القواعد التي تحكم الصف . وهذه الرسالة خطوة في طريق بناء صف متعاون متكامل .

* * *

إنه لا بد من تطوير الجماعة يومياً وبشكل دائم ، حتى تكون في كل لحظة على مستوى الأحداث التي تواجهها ، وعلى طريق الأهداف التي ينبغي أن تحققها ، ولكن التطوير ينبغي أن يكون من خلال المؤسسات الرسمية وبواسطة القواعد التي تحكم الجماعة ، وإذا لم توجد القاعدة الصحيحة في شأن ما ، فعلينا من خلال المؤسسات أن نُوجدها .

نحن جماعة يحكمها في سيرها شيئان : حكم الله ، ثم الشوري ، عن الشوري تنبثق القاعدة ، وبالشوري تتطوّر القاعدة ، وأي محاولة لتطوير الجماعة عن غير هذه الطريق لا يؤدي إلا إلي التمزق ، إلا إذا خُرِقت القواعد فعندئذ تحتاج المسألة إلي تقويم وتصحيح ، أو مفارقة حتي يتم التصحيح . فهذا الخضر عليه السلام عندما أخلّ موسى - عليه السلام - بقاعدة الصُحبة قال : ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾[1] إن هناك إتجاهاً عند بعض من قذف بهم الصف في يوم من الأيام إلي القيادة ، يريد أن تسير الجماعة بلا قاعدة ولا شوري ، ويطالبون بالطاعة المطلقة ، هؤلاء ليس لهم محل في دعوة الإخوان المسلمين ، هؤلاء ينبغي أن يعودوا من جديد إلي محضن التربية في الإخوان المسلمين ليعرفوا ألف باء هذه الجماعة . ومن أجل ألا يبقي في صفنا عقلية كهذه العقلية كانت هذه الرسالة .

* * *

هذا بعض ما تريده هذه الرسالة ، وأهم شيء فيه هو قضية الفهم ، فهمنا لدعوتنا وفهم غيرنا لنا ، صحيح أن غيرنا يتعمد ظلمنا ، ويتعمد أن يشوّه سمعتنا ، ويسكت عما لنا ، ويكذب علينا ، فضلاً عن أنه يجعل من الحبة قُبة في بعض الأمور ، ولكن هذا لا يثنينا عن محاولة تفهيم الآخرين مَن نحن وماذا نريد ؟ ، ينبغي أن تعرف الأقليات غير الإسلامية مَن نحن وما نريد ؟ ، وما هي الصيغ التي نحن علي استعداد لأن نطرحها ، أو نعقد نحن وإياهم مواثيق علي ضوئها ؟ ينبغي أن يعرف العالم كيف سنتعامل معه في حالة وصولنا للحكم ؟ ، ومع أن هذا مهم فالأهم منه أن نفهم نحن دعوتنا ، بحيث تكون جماعتنا علي مستوي واقع هذا العالم ، وعلي مستوي الأهداف التي ينبغي أن نُحققها . وبداية ذلك : ثقة في الجماعة وثقة في الطريق ، وأن يفهمنا المسلمون أنفسهم ، أي أن يفهمنا إخواننا وأبناؤنا الذين نعمل لإسقاط الفروض عنهم ، والذين ينبغي أن يشاركونا في إقامة الفروض المفروضة علينا وعليهم .

* * *

---

(١) الكهف : ٧٨

ولكن هل نحن أحرار في أن نقول كل شيء ؟ وهل نستطيع ذلك ؟ إن أشياء كثيرة تحول بيننا وبين ذلك ، ولذلك جعلنا هذه الرسالة جزءاً من سلسلة ، وكتبنا في هذه الرسالة الكثير مما لا بد من قوله ، ولكنّا مع ذلك أغفلنا الكثير مما ينبغي قوله .

فمثلاً : إنه حتي الآن يتهمنا الكثيرون بالعجز السياسي ، أو بالأخطاء الكثيرة ، أو بالتبعية لجهة ، أو بالتقلب واللَّعب علي مجري الأحداث ، ونحن في كثير من الأحيان نبقي ساكتين ، لأن كثيراً مما ينبغي أن نقوله لا نستطيع أن نقوله ، وإذا قلناه في مكان علناً ، فلا نستطيع أن نقوله في مكان إلا سراً ، وحتي هذا قد لا نستطيعه ، والمسألة في جوهرها عندنا علي الشكل التالي :

إن الاسلام هو التكليف الرباني الوحيد للإنسان ، فالإنسان مكلّف ، وإن المسلمين مسؤولون عن تبليغ الإسلام للعالم ، وإقامته في العالم ، وهم مُكلَّفون أن يكونوا جماعة واحدة تُقيم الإسلام في نفسها وعلي أرضها ، وتسعي لإقامته في العالم ، ولكن لا المسلمون جماعة واحدة في أقطارهم ، ولا هم سائرون لتحقيق الإسلام علي أرضهم ولا علي الأرض كلها ، مع أن ذلك كله مفروض عليهم ، ثم إن العالم بقواه كلها ـ ظلماً لنفسه وحرباً لله ـ يقف دون ذلك .

وفي هذا الجو وُجِدَ الإخوان المسلمون ليبدأوا الطريق من بدايته ، وليسيروا فيه علي صعوبته ، وكانت القوي المعادية الظاهرة والخفية أكبر منهم بكثير ، ولا زالت أكبر منهم بكثير ، وهذا سر ما حدث ، وهذا سر ما يحدث ! والذين يفهمون المسألة في غير هذا الإطار واهمون .

* * *

إن جوهر حركة الإخوان المسلمين أنها حركة تجديدية للإسلام وللشخصية الإسلامية بالسير في الطريق العملي لذلك ، وهذا يقتضي بالضرورة أن تكون لهم نظريتهم الثقافية والتربوية ، وأن يكون لهم نظامهم وتنظيمهم ، وأن تكون لهم استراتيجيتهم المحلية والعالمية . وأن تكون لهم خطتهم العملية لتحقيق أهدافهم واحداً فواحداً ، لتنال هذا العالم رحمة الإسلام .

لقد كتبنا في سلسلة « في البناء » ما يغطي الشرح لهذا كله ، وفي هذه الرسالة التي هي مدخل لدعوة الإخوان المسلمين نريد أن نُذَكِّر ببعض الأمر :

نريد أن نتحدث عن مجموع مواصفات جماعة المسلمين ، وأن نثبت أن هذه المواصفات موجودة في جماعة الإخوان المسلمين ، في الإطار الذي وضعها فيه الأستاذ البنا . ونريد أن نتحدث عن اسم الإخوان المسلمين ، لماذا نُصَرُّ عليه ؟ ولماذا نُصِرُّ على الجماعة بالذات ؟ ونريد أن نتحدث عن نظريات الإخوان في التكوين والعمل اليومي ، وعن نظرية الإخوان في ضرورة النظام والتنظيم ، والشروط التي يحتاجها التنظيم الإسلامي . ونريد أن نتحدث عن ضرورة الانتماء للإخوان المسلمين ، وماذا يعني هذا الانتماء ؟ وعن الشروط النفسية لهذا الانتماء . وإذ فات الكثيرين من أبناء جيلنا أن يتعرفوا على شخصية المؤسس لدعوة الإخوان المسلمين ، وعلى جماعته من خلال كلامه ، فإننا سنعقد في هذه الرسالة بابين : باباً للتعريف على شخصية المؤسس ، وباباً للتعريف على الجماعة من خلال كلام المؤسس ، وسننتقي من كلام الأستاذ ما يُعَرِّف على الجماعة : ملامحها ، وسماتها ، وخصائصها ، وأهدافها ، ووسائلها ، ومراحل سيرها ، وغير ذلك مما سنراه . وسنختم هذه الرسالة بباب فيه بعض التوجيهات العملية الإخوانية المعتمدة ، ليخرج القاريء بزاد نظري وعملي متكاملين . وفي الرسالة أشياء أخرى ، وكل ذلك يخدم قضية الفهم لدعوة الإخوان المسلمين ، ليكون ذلك كله مدخلاً يبدأ فيه الإنسان التعرف على معالم هذه الدعوة ، بل ليكون ذلك مدخلاً يدخل منه المسلم إلى دعوة الإخوان المسلمين ، فهماً والتزاماً إذا عرف فرضية ذلك . لئن حكمتنا أوضاع كثيرة تحول دون أن نقول في هذه الرسالة أكثر مما قلناه ، فإننا نرجو أن تُتاح لكل مسلم فرص التعرف أكثر ، وأن تُتاح لنا فرص نقول لكل مسلم كل ما ينبغي قوله ، وذلك كله لصالح البشرية . قال تعالى مخاطباً رسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [1] . وإن دعوة الإخوان المسلمين هي الصيغة الكاملة لتعم رحمة الإسلام هذا العالم .

---

(١) الأنبياء : ١٠٧

ولقد سرنا فى هذه الرسالة على تسلسل معين نعرضه فيما يلى :

إن من لُباب دعوة الإخوان المسلمين أنها فطنت لما غفل عنه الكثيرون من واجبات إسلامية ، لقد غفل الكثيرون عن فكرة الجماعة فى الإسلام مع أنها فريضة لا تقوم بدونها فروض ، وقد فطن الإخوان لذلك وفطنوا لكل الشروط اللازمة لإقامتها وانطلاقتها ، ومن أهم هذه الشروط وجود الشخصية الإسلامية المتكاملة القادرة على السير فى صف منظم منضبط ضمن نظرية فى العمل واضحة ، فإذا وُجِدَت هذه الشخصية فعندئذ تكون الخطوة اللاحقة ممكنة وهى وجود التنظيم الصالح ذى الخصائص والأجهزة اللازمين لتحقيق الهدف ، إن هذه المعانى تكاد تكون من لُباب دعوة الإخوان المسلمين ، ولذلك فإننا فى هذا المدخل استقرأنا النصوص لنصل إلى مواصفات جماعة المسلمين ، وبرهنّا على أنها موجودة فى دعوة الأستاذ البنا ، وإذ كان اسم الإخوان المسلمين عند بعض الناس حجاباً فقد عقدنا لذلك باباً ، ولما كان المحور الذى تدور حوله الأشياء كلها ، والذى يُعتبر هو الفيصل بين جماعة الإخوان المسلمين وغيرها هو التكوين والحركة فقد عقدنا بابين للحديث عن نظريات التكوين والعمل فى دعوة الإخوان المسلمين ، وإذا كان العمل نحو الأهداف يقتضى نظاماً وتنظيماً فقد عقدنا باباً نذكر فيه ملامح ذلك ، لتتضح بذلك كله أبعاد دعوة الإخوان المسلمين ، وقد أوصلنا ذلك كله للحديث عن المؤسس وعن دعوته بقلمه ، ولأن هذه الدعوة قد ظُلِمَت كثيراً و اتُهمت كثيراً فقد عقدنا باباً للرد على الاتهامات ، وإذ كنا نعتقد أن القارىء المنصف إذا عرف هذا كله فإنه لا بد راغب فى الانتماء ، فقد عقدنا باباً نتحدث فيه عن الانتماء ، وإذ انتمى فقد يصلح أن نقدم له بعض التوجيهات وقد فعلنا ذلك ، وهذا هو مسرانا فى هذا الكتاب كما ستراه .

* * *

الباب الأول

متى تعتبر جماعة « ما » هى جماعة المسلمين بحيث يكون الالتزام بها واجباً .. ومحل الإخوان فى ذلك

إنه من استقراء عام لمجموع النصوص ولواقع المسلمين الحالي واحتياجاتهم ، نستطيع أن نُحدِّد مواصفات الجماعة التي تعتبر جماعة المسلمين ، والتي يجب علي كل مسلم أن يضع يده بيدها ، كفتوي عصر من رسول الله ﷺ : « أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » .

وعلي ضوء هذا التحديد فإن علي المسلم أن يَحَدِّد التزامه . فمسألة جماعة المسلمين ليست دعوي ، بل هي مسألة من أخطر المسائل علي الإطلاق . ولذلك فإن النصوص ـ كما سنري ـ لم تكن ساكتة على هذا الموضوع ، بل فصَّلت فيه تفصيلاً واسعاً .

ومع أن المرشد الأول والثاني للإخوان المسلمين لم يعتبرا مَن سوى الإخوان المسلمين خارجاً عن جماعة المسلمين ، ومع أنه لم يزل فقهاء الدعوة المعتمدون يعتبرون الإخوان المسلمين جماعة من المسلمين ، تسعي لأن تتحقق بمواصفات جماعة المسلمين ، وأنها متي استطاعت أن تُطَوِّر نفسها نحو ذلك فعندئذ تصبح جماعة المسلمين . مع أن فقهاء الدعوة المعتمَدين يعتبرون أن الأمر كذلك ، فإن الأدلة كلها ـ كما سنري ـ تدل علي أن هذه الجماعة هي أقرب الجماعات علي الإطلاق لأن تكون جماعة المسلمين ، ولا ندَّعي العصمة ، ولكن غيرنا كذلك غير معصوم . ولا ندَّعي الكمال ، وغيرنا كذلك ليس كاملاً . ونحن منفتحون علي كل المسلمين بالحق ، وغيرنا ليس كذلك . وكل ذي قدرة من المسلمين له في دعوتنا محل فليتفضل ، وإذا لم يفعل فلا يصح له أن ينتقد قصورنا ، الذى

قد يكون من أسبابه تلكؤ أمثاله عن السير معنا . وإذا وُجِدَت ظروف ـ ما ـ انكمشت فيها الدعوة ، أو قفز إلي قيادتها في بعض الأحوال مَن كان حجة عليها . فإننا نحب أن يعرف الجميع أن هذه الجماعة لا تكف عن الحركة من داخل الصف لتطوير نفسها ولتنقية صفها . ولكل مسلم الحق عندها أن يقول . ولكل فرد في الصف حقه أن يقول .والميزان هو الحق المتمثل بالكتاب والسُنَّة . والحكم دائماً هو حكم الله أو الشوري ، حيث يكون حكم الله هو الشوري .

فلنر ما هي مواصفات الجماعة التي يصح أن نعتبرها جماعة المسلمين ؟ . ولنـر ما إذا كانت هذه المواصفات منطبقة علي جماعة الإخوان المسلمين كما أقامها حسن البنا ؟ . وليحاسِب كل مسلم نفسه بإنصاف . ولتحاسِب كل مجموعة نفسها بإنصاف فلا تدَّعي ما ليس لها .

* * *

• مواصفات جماعة المسلمين :

إن جماعة المسلمين هي :

١ ـ الجماعة التي تحمل الإسلام بلا احتراس ولا احتراز

٢ ـ الجماعة التي ظهرت بها الآن صيغة الحق الوحيدة المتعارَف عليها خلال التاريخ ، والمتمثلة بأهل السُنَّة والجماعة .

٣ ـ الجماعة التي تستطيع أن تطرح صيغة الحق التي يمكن أن يجتمع عليها المسلمون .

٤ ـ الجماعة التي تتحرك في إطار عملي نحو تحقيق الأهداف الإسلامية كلها وبطريق ذلك .

٥ ـ الجماعة التي تحاول أن تحرر المسلمين من أمراضهم التي أدت إلي إذلالهم ودوس كرامتهم .

٦ ـ الجماعة التي يتحقق كل فرد من أفرادها بالصفات العليا لحزب الله : من محبة لله ، إلي ذلة علي المؤمنين ، إلي عزة علي الكافرين ، إلي جهاد في سبيل الله ، إلي إخلاص الولاء لله وللرسول وللمؤمنين .

٧ ـ الجماعة التي لا ينسي أفرادها أخوتهم لكل مسلم ، ولا يبخسون أهل الفضل فضلهم ، ولا يتكبرون عن الحق .

والدليل علي أن هذه كلها مواصفات لا بد منها للجماعة التي يجب علي كل مسلم أن يضع يده بيدها ـ وهي متوافرة في جماعة الإخوان المسلمين ـ ما يلي :

١ - إن الله تعالي يقول :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [1] أي في الإسلام كله . وجماعة لا تحمل الإسلام كله ليست هي الجماعة الكاملة . وفي حوار الرسول ﷺ مع بني شيبان أثناء عرضه الدعوة عليهم هذا المقطع الذي أخرجه أبو نعيم : « فقال له مفروق : دعوتَ والله يا قرشي إلي مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال . ولقد أفِكَ قوم كذّبوك وظاهروا عليك . وكأنه أحب أن يُشركه في الكلام هانيء بن قُبيصة فقال : وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانيء : قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش وصدَّقتُ قولك . وإني أري إن تركنا ديننا واتبعناكَ علي دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، لم نتفكر في الرأي وننظر في عاقبة ما تدعونا إليه ، زلّة في الرأي وطيشة في العقل وقلة نظر في العاقبة ، وإنما تكون الزلّة مع العجلة ، وإن مِن ورائنا قوماً نكره أن نعقد عليهم عقداً . ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر . وكأنه أحب أن يُشركه في الكلام المُثنى بن حارثة فقال : وهذا المُثنى شيخنا وصاحب حربنا . فقال المُثنى : قد سمعتُ مقالتك واستحسنتُ قولك يا أخا قريش . وأعجبني ما تكلمتَ به . والجواب هو جواب هانيء بن قبيصة ، إنما نزلنا بين صيرين : أحدهما اليمامة والأخرى السماوة . فقال رسول الله ﷺ : « ما هذا الصيران » ؟ . فقال : أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب . وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كِسرى . وإنما نزلنا علي عهد أخذه علينا كِسري ألا نُحدث حدثاً ولا نُؤوي محدثاً . ولعل هذا الذي تدعو إليه تكرهه الملوك . فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعُذره مقبول . وأما ما كان مما يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعُذره غير مقبول . فإن أردتَ أن ننصرك مما يلي العرب فعلنا .فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) البقرة : ٢٠٨

« ما أسأتم الرد . إذ أفصحتم بالصدق . إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه » . إن الجماعة التي تحمل الإسلام باحتراس أو احتراز لا تصلح لإقامة هذا الدين ، وجماعة الإخوان تحمل هذا الدين بلا احتراس ولا احتراز .

٢ ـ إن رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » . ففي كل عصر من عصور الأمة الإسلامية هناك حملة لهذا الدين ، مُوكَّلون بحفظه وحمله : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾[1] . هذه الطائفة الموجودة خلال العصور هي التي حفظت هذا الدين : عقيدةً ، وفقهاً ، وسلوكاً ، وتطبيقاً ، والتزاماً . وهي بلا شك أهل السُنَّة والجماعة . ولأهل السُنَّة والجماعة عقيدة ومذاهب فقهية وأخلاقية ، والجماعة الإسلامية الحق هي التي تتبنى هذا الإرث الحق ، ولا تعارضه ولا تحاربه . وجماعة الإخوان كذلك . ولذلك أوجب الأستاذ البنا على الأخ أن يدرس عقيدة أهل السُنَّة والجماعة ، ومذهباً فقهياً من مذاهبهم ، وجعل من مواصفات جماعته ـ كما رأينا ـ أنها حقيقية صوفية . قال الأستاذ البنا : « أن يكون لك ورد يومي من كتاب الله لا يقل عن جزء ، واجتهد ألا تختم في أكثر من شهر ، ولا في أقل من ثلاثة أيام ، وأن تُحسن تلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبر في معانيه . وأن تدرس السيرة المطهرة وتاريخ السَلَف الصالح ، بقدر مايتسع له وقتك ، وأقل ما يكفي في ذلك كتاب « حُماة الإسلام » . وأن تُكثر من القراءة في حديث رسول الله ، وأن تحفظ أربعين حديثاً على الأقل ، ولتكن « الأربعين النووية » . وأن تدرس رسالة في « أصول العقائد ، ورسالة في فروع الفقه » . وقال : « ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ـ ما استطاع ـ في تعرف أدلة إمامه ، والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء . ولكل مجتهد أجره » .

---

(١) الأنعام : ٨٩

٣ ـ إن المفاصلة في الإسلام لا تجوز أن تكون على أساس الفروع الفقهية ، ولكن على أساس الأصول العقيدية . وإذا لم تكن المسألة على هذه الشاكلة فإنه لا يبقى اثنان من المسلمين يداً واحدة ، وتمييز ما هو من الفروع ، وما هو من الأصول ، ووضع الصيغة التي تُشَكّل القاسم المشترك بين المسلمين على الحق الذي يكون فيه المسلم مسلماً ، شيء رئيسي لتكون الجماعة جماعة المسلمين ، ولا نعلم أن أحداً طرح الصيغة التي يمكن أن يلتقي عليها المسلمون ـ وهي حق ـ غير الأستاذ البنا .

ومن دراسة هذه الصيغة نُدرك أن جماعة الإخوان هي الجماعة الوحيدة التي يمكن أن تُشَكّل القاسم المشترك الذي يلتقي عليه المسلمون جميعاً في هذه المرحلة . وذلك أن لهذه المرحلة خواصها ، فمن قبل كان للمسلمين دولة وكان لهم خليفة ، فإذا ما اختلفوا في الفرعيات وتدابروا عليها فإن هناك ما يُجبرهم على الاتجاه الواحد ضد أعداء الله ، وهو سلطان القوة التنفيذية الإسلامية . أما الآن وقد فُقِدَت هذه السلطة ! فمن واجب المسلمين أن يتعاونوا مع بعضهم صيغة معينة للوقوف أمام أعداء الله ، ولإنهاء سيطرتهم . أو بكلمة أخرى : إن هناك حق العلم ، وهناك حق الدعوة ، وحق المعركة . حق العلم يقتضي منا أن نتمسك بما ظهر للواحد منا من حق . وحق الدعوة والمعركة يقتضي منا أن نكون يداً واحدة على أعداء الإسلام . وكثير منا يُغفِل حق المعركة والدعوة من أجل حق العلم . ودعوة الإخوان هي التي استطاعت أن تُوجد الإطار الذي يستطيع به المسلم أن يقوم بحق العلم ، مع إعطاء حق الدعوة والمعركة ما يستحق . ومن ثَمَّ كان من الواجب السير في إطار هذه الجماعة ، والحذر من بعض الناس الذين يتبنون بعض الفرعيات ويُقيمون على ذلك تكتلاً . ترى لو قامت تكتلات على عدد الخلافات الفرعية ، فكم جماعة للمسلمين تكون ؟ ! وكيف يستطيع المسلمون أن يحققوا أهدافهم ؟ !

٤ ـ إن الجماعة التي ينبغي أن يضع المسلم يده بيدها هي الجماعة التي ملكت القدرة على الإبصار والتبصير . ولا نعلم جماعة استشرفت الأوضاع

الإسلامية ورأتها كما ينبغي . وأبصرت الحال وما يحتاجه إنقاذ هذا الحال من نظريات في العلم والتربية والتخطيط والتنفيذ . وأخذت على عاتقها تبصير المسلمين وإيقاظهم إيقاظاً كاملاً كجماعة الإخوان . والأمر بعد ذلك أدق . فمن روايات حديث الطائفة : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علي الحق ... » رواية مسلم التي تقول : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون علي الحق ظاهرين إلي يوم القيامة » . ورواية الحاكم التي تقول : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون علي الحق . ظاهرين علي مَن ناوأهم . حتي يُقاتِل آخرهم الدَّجال » . وفي رواية لأحمد :« لا تزال طائفة من أمتي علي الدين . ظاهرين لعدوهم قاهرين . لا يضرهم إلا ما أصابهم من لأوائه . حتي يأتيهم أمر الله وهم كذلك » قالوا : يا رسول الله ؛ وأين هم ؟ قال : « بيت المقدس وأكناف بيت المقدس » وفي رواية الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه : « يُقاتِلون علي أبواب دمشق وما حولها . وعلي أبواب بيت المقدس وما حوله . لا يضرهم مَن خذلهم . ظاهرين إلي يوم القيامة » . ذكر هذا الحديث الحافظ في الفتح وقال : يمكن الجمع بين الأخبار بأن المراد : قوم يكونون ببيت المقدس وهي شامية .

ففى هذه الروايات تحدَّدت صفتان للطائفة : أنها علي حق . وأنها مجاهدة . ولذلك فقد أخرج حديث الطائفة أبو داوود تحت عنوان « باب في دوام الجهاد » وذكر هذا الحديث عن مسلم في كتاب الإمارة خلال أبواب الجهاد . وذكر الحديث الدارمي في كتاب الجهاد . وعقد البيهقي له باباً في سُنَنه عنوانه « باب إظهار دين النبي ﷺ على الأديان » . وهكذا حدَّد هذا الحديث الذي بلغ مبلغ التواتر مواصفات جماعة المسلمين . بأنها تحمل حقاً وتُقاتِل عليه . فإذا ما جعل الأستاذ البنا أحد شعارات دعوته : « والجهاد سبيلنا . والموت في سبيل الله أسمي أمانينا » . فتلك علامة تُضاف إلي العلامات في أن دعوة الأستاذ البنا استكملت - علي الأقل - الأساس النظري لبناء جماعة المسلمين . أما ما ذهب إليه بعضهم من أن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث . فذلك ليس فيه نص . وإنما هو فهم لبعض المحدثين . ولكن حمل الحق والقتال من أجله هو الذى تسنده النصوص .

٥ ـ إن الجماعة التي يُفترض علي كل مسلم أن يضع يده بيدها هي الجماعة التي تحمل علي عاتقها تحقيق الأهداف الإسلامية ، التي هي فروض : كتكوين الشخصية الإسلامية ، وإقامة الدولة الإسلامية ، وإعادة الوحدة الإسلامية ، وإعادة منصب الخلافة ... وواضح أن جماعة الإخوان هي الجماعة الوحيدة التي حملت على عاتقها هذا العبء كاملاً ، وسارت في الطريق العملي والصحيح لتحقيقه . وتفصيل ذلك في غير هذا الموطن .

٦ - إن ما وصلت اليه الأمة الإسلامية من تأخر فظيع وذلة له مجموعة أسباب ، كلها محدَّد في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ من مثل :

(أ) ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾[1] . وأسباب النزاع : ﴿ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾[2] ، ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾[3] .

(ب) « إذا تبايعتم بالعينة ، وتبعتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم جهادكم ، سُلّط عليكم ذُلاً لا ينزعه حتي تعودوا إلي دينكم » .

(جـ) ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾[4]

(د) قال عليه الصلاة والسلام : « يوشك أن تداعي عليكم الأمم كما تداعي الأكلة إلي قصعتها » . فقال قائل : أوَ من قلة يومئذ ؟ . قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غُثاء كغُثاء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوَهَن » . قال قائل : يا رسول الله : وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » . والجماعة التي يجب أن يضع المسلم يده بيدها هي الجماعة التي تُحرِّر الأمة الإسلامية من أمراضها كلها ، ومنها هذه ، وحركة الإخوان هي الحركة التي وضعت الأسس الصحيحة لشفاء

---

(١) الأنفال : ٤٦
(٢) المائدة : ١٤
(٣) الشورى : ١٤
(٤) البقرة : ٨٥

المسلمين ، متجاوزة كل الأسباب التي تفرّقهم . وهي الحركة التي قامت على أساس الجهاد : « والجهاد سبيلنا » وهي الحركة التي حملت الإسلام كله ، والتي وضعت الأساس لتجاوز المحنة الإسلامية العامة : « والموت في سبيل الله أسمى أمانينا »

٧ ـ والله تعالى يقول : ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ ﴾[1] . وحزب الله له صفات ، ولم تقم في المنطقة العربية جماعة عامة قام تركيبها على هذه الأسس مثل جماعة الإخوان : « الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا » ، وكتابنا « جند الله ثقافة وأخلاقاً » ذكر من مواصفات حزب الله كما وردت في القرآن . وأن الإخوان المسلمين هم الذين اجتمعت لهم هذه المواصفات ـ بفضل الله ـ نظرياً . ويحاولون أن يتحققوا بها عملياً ، بينما نجد غيرهم يفر حتى من التبني النظري ، ولا عمل إلا ويسبقه علم .

٨ ـ وجماعة الإخوان تسع المسلمين جميعاً . وتعترف لأهل الفضل بفضلهم ، ولا تتكبر عن حق يُقدَّم إليها . وسنرى موقف الإخوان من غيرهم في كلام الأستاذ البنا ، وذلك منتهى الإنصاف والانتصاف .

بسبب ما ذكرناه نقول : إن جماعة الإخوان لا غيرها هي التي ينبغي أن يضع المسلم يده في يدها ، والأستاذ البنا ذكر أن أركان الدعوة الجامعة هي : العلم ، والتربية ، والجهاد. وهي التي أقام عليها دعوته ، ثم ذكر أن من أراد أن يختار لنفسه تربية خاصة فهو وما يختار. فحركة الإخوان تطالب كل مسلم أن يكون فيها ومنها . وهذا واجب لا بد منه لتحقيق الأهداف الإسلامية ، ولا تمنع مسلماً أن يأخذ الخير حيثما وجده ، أو يشارك في الخير حيثما كان . أما الذين يتركون الإخوان للمشاركة في خير جانبي فهؤلاء تركوا الأصل إلى الفرع ، ولم نشأ أن نتحدث عن التجمعات الإسلامية القائمة وقصور كل منها عن أن تكون الجماعة التي ينبغي أن ينخرط فيها المسلمون ، لأنه ممنوع

(١) المائدة : ٥٦

في جماعتنا تجريح الهيئات والأشخاص . ولأن الإنسان إذا عرف هذه الجماعات وعرف الإخوان وطبّق على الجميع الميزان الذي ذكرناه هنا ، فإنه سيصل إلى أن حركة الإخوان المسلمين هي الجماعة التي ينبغي على المسلم أن يضع يده في يدها. أما الذين يزعمون لأنفسهم تصحيح المسار من خلال تخريب الجماعة ! ويريدون أن ينطلقوا من نقطة الصفر ! فإننا نقول لهم : لقد فاتكم القطار . فنقطة البدء وُجدت منذ خمسين عاماً عن كتابة هذه السطور . وتصحيح المسار من الداخل ، وفي البناء لا بالتهديم .

إن الحديث الشريف الذي هو فتوى العصر كما فصّلنا ذلك في كتاب « من أجل خطوة إلى الأمام » هو حديث حُذيفة رضي الله عنه الذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام : « أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . إن جماعة المسلمين مستمرة إلى ما بعد نزول المسيح عليه السلام . وإمام المسلمين ليس شرطاً لكي يُعتَبر إماماً أن تكون بيده سلطة تنفيذية . فقد نص فقهاء الشافعية أن منصب الخلافة إذا فُقِدَ تنتقل أحكام الخلافة إلى أعلم أهل زمانه – والمراد بالأعلم هنا من اجتمع له العلم المؤهل للقيام بشأن المرحلة .

إن الإخوان المسلمين من خلال حكم الله ، ومن خلال القواعد المنبثقة عن الشورى ، ومن خلال الشورى ، يحاولون أن يصلوا إلى جماعة إسلامية كاملة ، على رأسها مرشد يقود المرحلة الحاضرة . فهل رأى أحد في هذه الأمة رجلاً كحسن البنا ؟ وهل رأى الجيل الحاضر رجلاً أصلب من حسن الهضيبي ؟ وإن لخليفة الاثنين في أعناقنا لبيعة .

على ضوء ما مَرّ وسيمر نقول : إن جماعة الإخوان المسلمين – في الإطار الذي أقامها فيه الأستاذ حسن البنا – هي الجماعة التي يجب على كل مسلم أن يضع يده بيدها . لأن جماعة الإخوان المسلمين تؤمن بالإسلام كله ، وتدعو إلى الإسلام كله تحقيقاً لأمر الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾[1]. أي في الإسلام جميعاً . والإسلام عقيدة وشعائر وشرائع ، والإيمان به ككل شرط لاعتبار الإنسان مسلماً مؤمناً . وهذا الذي فات الكثيرين فهمه ، أو الأخذ به أو العمل له . ووفق اللهُ جماعة الإخوان فيمن وَفّقَ من أهل طاعته لذلك .

---

(1) البقرة : ٢٠٨

والإيمان بالإسلام يقتضي : التزاماً ، وفهماً ، وتجمعاً ، وعملاً ، وجهاداً ، ووعياً ، وتضحية ، وتحملاً ، وشهداء ، وآلاماً ، وربط مصير ، وتحديات ، ومناهج واضحة في التنظيم والتنفيذ والتربية والعلم . وجماعة الإخوان تُطالب كل المسلمين بهذا ، لأنه بلا إيمان وعطاء لا يكون صدق ولا وفاء : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [1] .

وكأثر عن إيماننا بالإسلام كله ، وانبثاق مفاهيمنا عنه ، والتزامنا بكل ما يقتضيه ذلك ، فإننا ندعو كل الناس إلي دعوتنا ، ونرفض أي معني من معاني المساومة ، لأن منطق الحق لا يقبل تنازلات علي حسابه ، فلا يجوز لأهل الحق أن يتخلوا عن حقهم ، وإنما عليهم أن يرفعوا الناس إليه ، والمسألة عندنا لا تحتمل أخذاً أو رداً، لأن الله الذي بيده القوة جميعاً لا يعطينا نصره وتأييده ، ولا يرضي لنا أن نساير أو نساوم أو نتنازل ، بل هَدَّدنا لو فعلنا ذلك : ﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ۞ إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾ [2] .

ومن ثمَّ كانت لنا أهدافنا ، وللناس أهدافهم . وكان لأهدافنا مضمونات محددة ومفاهيم معينة ، وللناس أهدافهم السائبة ومضموناتها المائعة .

* * *

إننا نؤمن إيماناً مطلقاً أن هناك صيغة وحيدة للحق والعدل هي الإسلام : ﴿ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ ﴾ [3] . وأن الصراع الحق ـ من وجهة نظرنا ـ في هذا العالم إنما هو الصراع بين الباطل في صوره الكثيرة وبين الحق في صورته الوحيدة ، وعلي هذا ، وبحسم وعزم ، فليس منطلقنا هو الصراع بين طبقة دُنيا ووُسطى وعُليا ، أو صراع بين طبقة فقيرة ، وغنية ، وإنما منطلقنا هو الصراع بين الحق والباطل . فقد يحمل الحق فقير وغني ، ويتبني الباطل فقير

---

(١) الاحزاب : ٢٣ (٢) الإسراء : ٧٤ - ٧٥ (٣) الرعد : ١

وغني . وبالإسلام وحده : يحيا الإنسان وينتهي الطغيان ، وتذوب الطبقات ، ويموت الفقر . ومَن حمل الإسلام حق الحمل كان على الحق كائناً من كان ، ومَن عاند كان على الباطل كائناً مَن كان . ونحن نصارع الباطل وأهله ، ولا بد للحق من قوة تفرضه ، وتُقيمه ، وتحميه . ومن ثَمَّ نؤمن بالقوة التي هي عندنا تأمين التزامات الجهاد وسلوك طريقه . وبداية ذلك أن يُوجَد الرجل الذي تَحرَّر من أمراض الأمة ، ويسعى لتخليص الأمة من أمراضها لتتحقق بالصحة الكاملة ، ولن تكون صحيحة إلا بعقيدة قوية وأخلاق قوية ، ثم بدولة قوية ترتكز على شعب موحَّد قوي ، وتستغني عن غيرها في مقوِّمات حياتها ، والأمة عندنا هي الأمة المسلمة ، والمسلمون هم القوة الفتية المرشَّحة للتغلب على القُوَى العالمية كلها ، ومن ثَمَّ كان من مضمون القوة عندنا توحيد المسلمين ، وإيجاد كل معاني القوة على أرضهم ، التي سنحكمها بالإسلام - بإذن الله - . ولكن قوتنا دائماً محكومة بالعدل ، ومقيَّدة بالرحمة . وذروة الأمر عندنا تحرير الإنسان . وتلك حكمة الجهاد : « جئنا لنُخرج الناس من عبادة العباد إلي عبادة الله الواحد القهار ، ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام » . فلا ربوبية لمجتمع أو حزب أو طبقة أو فرد أو سلطان : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[1] .

وهذا مفهوم الحرية الجدير بأن يعشقه الإنسان ، إننا نعتبر الإنسان عبداً لله ومسؤولاً أمامه ، وهذه هي الحرية الحقيقية عندنا . إذ بقدر ما يلتزم الإنسان بالإسلام لله رب العالمين يتحقق بالصفات والخصائص الإنسانية ، ويتخلص من أوضار الحيوانية والشيطانية ، وعندئذ يكون حراً غير مُستَعبَد لفرد أو مجتمع أو نزوة أو شهوة أو فكرة باطلة ، أو خوف علي حياة أو رزق أو جاه ، ومن ثَمَّ كانت مهمتنا الأولي تحرير الإنسان ، ومهمتنا النهائية تحرير العالم كله من عبودية العباد إلي عبادة الله وحده . ولا سبيل إلي ذلك إلا بحمل هذا الدين بلا احتراس ولا احتراز ، والجهاد في سبيله ، والموالاة به والمعاداة به ، لأن هذا الدين حق وغيره باطل ، ولأنه الطريق الوحيد إلي الله والجنة ، وغيره طريق إلي الضلال والنار .

---

(١) الأعراف : ٥٤

لقد تخلّى الناس عن الصيغة الوحيدة للحق والعدل ، وهى الإسلام ، ونريد أن نحمل هذا العالم كله على الحق والعدل حملاً . ولا شك أن دون ذلك قوى عاتية تريد أن تقضى علينا . ولا شك أن العالم كله اصطلح على رفض هذا الحق الذى ندعو إليه ولكننا ماضون نحو تحقيق أهدافنا بأمر الله ، والله غالبٌ على أمره . فضع يا أخى المسلم يدك بيدنا على بركة الله .

* * *

الباب الثانى

الاسم والجماعة

قال تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1] . وقال : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[2] . وقال : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ . أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3] .

فنحن المسلمون ، ونحن حزب الله ، على شرط أن نُوالى فى الله وأن نُعادى فى اللّه ، إن حزب اللّه إذن هم المسلمون حيث ظهرت فيهم روح الإخاء الإسلامى ، فوالى بعضهم بعضاً فى الله ، وعادوا جميعا أعداء الله جميعاً . فهم فيما بينهم أخوة جمعتهم صفة الإسلام : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾[4] . إذن « إخوان مسلمون » وما داموا على الحق فهم الجماعة . وقد قال ابن مسعود رضى اللّه عنه : « الجماعة أن تكون على الحق ولو كنتَ وحدك » . وإذن فحيثما وُجِدَ الحق والتف حوله أهله وتناصروا فيه ونصروه فهم الجماعة المسلمة .

---

(١) الحج : ٧٨
(٢) المائدة : ٥٦
(٣) المجادلة : ٢٢
(٤) آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

وإذن فالجماعة الإسلامية ، أو حزب الله ، أو الإخوان المسلمون ، كلها أسماء مترادفة إذا وُجِدَ مضمونها : حق وتناصر عليه ، وعداء لمن عاداه ، والحق هو الإسلام لا سواه . فالمهم إذن هو أن يتجمع المسلمون في كل قُطر على الحق ، ويُوالِي بعضهم بعضاً فيه ، ليُحققوا الأهداف التي افترضها الله عليهم ، سواء سُموا الاسم الذي تجمعوا عليه في قُطرهم : حزب الله ، أو الجماعة الإسلامية ، أو الإخوان المسلمين ، أو أي اسم آخر يُعبِّر عنهم ، ثم لا يرافقه إثم أو انحراف .

إلا أننا نرى أنه في الأقطار التي وُجِدَت فيها حركة إسلامية سليمة واشتهرت باسم أن تحافظ على هذا الاسم ، وأما الأقطار التي لم تقم فيها مثل هذه الحركة فلا حَرَجَ عليها أن تخرج حركتها باسم جديد ، على شرط أن يكون واضحاً في أذهان هذه الحركة أن حركتهم جزء من الحركة الإسلامية العالمية ، وأن تكون الأهداف واحدة ، والثقافة واحدة ، والتربية واحدة ، والتنظيم متقارباً ، والوحدة موجودة ، وكذلك القيادة الواحدة ، ولا يجوز أن يكون الاسم حجاباً .

وقد تمر على الحركة الإسلامية في بعض الأقطار ظروف تضطر فيها لأخذ رُخصة عمل باسم ما ، والمتعارَف عليه بين أفرادها اسم آخر . وتستعمل ابتداءً في خطاب الناس ـ استئناساً للوصول إلى قلوبهم ـ اسماً آخر . فمثلاً استعمال كلمة « حزب الله » ـ وهي التعبير القرآني ـ أخف على الآذان كثيراً من اسم الإخوان المسلمين ، بعد عمليات التشهير والتجريح الهائلتين اللّتين سُلطتا على الحركة . ولذلك فإن الأخ يستطيع أن يستعمل هذا التعبير بحرية أثناء الدعوة الأولية لإنسان . وبنفس الوقت قد تضطر الجماعة لأخذ ترخيص في بعض الأحوال لممارسة بعض النشاطات الجهرية ، ويحول دون ظهورها باسم الإخوان ظروف محلية قاهرة ، فتأخذ اسماً جديداً في الظاهر . كل ذلك يمكن أن يكون ولا حَرَج ، إذا توافرت الشروط التي ذكرناها سابقاً . وهذا الأمر قد تضطرنا إليه الظروف حتى في حالة النصر ، وخاصة في المراحل الأولى ، ونرجو ألا يحدث ذلك . وقد قال الأستاذ البنا في مذكراته (ص ١٢٦): « ليس بلازم في الدعوة أن تكون باسم جمعية الإخوان المسلمين ، فليس غرضنا إلا إصلاح النفوس وتهذيب الأرواح . فلتكن الدعوة إلى مدارس الأنصار ، ومعاهد حراء ، وأندية التعارف ، ثم بعد ذلك تكون جماعات » .

وفى المنطقة العربية حيث اشتهرت الحركة الإسلامية باسم الإخوان المسلمين ، حتى أصبح هذا الاسم علَماً على كل من يلتزم ولو بشيء من الإسلام ، رضِيَ بذلك أو لم يرض . يتساءل بعض الناس : هل الأنسب أن تقوم حركة إسلامية باسم جديد غير الإخوان المسلمين ؟ ! أو هل الأنسب أن يُغَيِّر الإخوان اسمهم ، ويبدأوا عملاً جديداً باسم جديد ؟ !

ونحن بعد أن أعطينا الحركة مرونة العمل فيما له علاقة فى الاسم ، سواء فى موضوع العرض المبدئى ، أو فى حالة الاضطرار ظاهرياً ، لا نرى أن المسألة تحتاج إلى نقاش ، لأن الجوانب الإيجابية فى احتفاظ الحركة باسمها ، وفى أن تكون الحركة هى الأساس الذى يتجمع عليه المسلمون كثيرة جداً . وفيما يلى مبررات ذلك كله ولماذا نُصِرُّ عليه :

إن أعظم ما تمثَّل به حزب الله كاتجاه فى عصرنا وفى منطقتنا هو دعوة الإخوان المسلمين ، فى الإطار الذى صاغها فيه الأستاذ البنا - رحمه الله - وهى بنفس الوقت أقدم الحركات الإسلامية الشاملة المعاصرة تأسيساً .

والدارس لوضع الإسلام يوم قامت هذه الحركة يجد ما يلى :

١ - قد غاض مفهوم الإسلام ونُسِىَ موضوع تطبيقه كنظام للحياة كلها . وتراجَعَ الإسلام أمام الهجوم العنيف الذى شُهِرَ عليه بكل سلاح ، حتى كاد أن ييأس أكثر المسلمين تفاؤلاً ، وإذا بالأستاذ البنا يُعيد موضوع شمول الإسلام حياً ، وكونه منهاج حياة واضحاً ، وأصبح موضوع تطبيقه كنظام حياة شغل الملايين .

٢ - وغاض مفهوم الولاء للإسلام وأهله ، فأصبح الناس يوالون على كل أساس إلا أساس الإسلام ، « حتى علماء المسلمين أعطى الكثير منهم ولاءه لمن لا تجوز موالاته ، بل يجب على المسلمين أن يحاربوه » وإذا بالأستاذ البنا يُعيد إلى الأذهان موضوع الولاء الكامل ، على أساس الإسلام الكامل أكثر ما يكون حيوية وشدة ، فكان ذلك غريباً على منطق العصر . ولكنه فرض نفسه بإذن الله ، ثم بحرارة رجال الدعوة المؤمنين ، وبعد أن أصبح العمل للإسلام غير مقبول ولا معقول ، عاد أكثر ما يكون نشاطاً وأملاً .

٣ ـ واستغرق كل مجموعة من الناس أخوتها لبعضها متناسية الإخاء الكبير ، وإذا بموضوع الإخاء الكبير ـ الذى يشمل مسلمى العالم ـ يحس به كل مَن تأثر بدعوة حسن البنا يشكل آمال وآلام ، تتحولّ إلى عمل وجهد وتضحية وفكر .

٤ ـ وكان طريق الإصلاح قبل « البنا » الكلمة ولا شىء وراءها ، فأصبح طريق الإصلاح على يد « البنا » كلمة وثقافة وعلماً وتعبئة وتخطيطاً وتنظيما وتنفيذاً .

هذه هى دعوة الإخوان المسلمين ، التى نقلت الدعوة الإسلامية من طور إلى طور ، ومن حال إلى حال . وباستثناء عناصر صالحة بلغت فى الصلاح شأواً يعجز عنه المسلمون العاديون ، لهم ملاحظات فردية على أفراد من الإخوان ، « ولا يحاربون الإخوان كاتجاه » فإننا ما وجدنا إنساناً أو فئة تحارب الإخوان وتتمثل فيها الجندية الكاملة لله ، إن لم تكن منحرفة نوع انحراف عن الحزبية الربانية . لقد رأينا شيوخاً يحاربون الإخوان ، ويُميتون روح الجهاد عند المسلمين ، ورأينا جماعات تحارب الإخوان ، وحظها من السير فى محبة الله قليل . لذلك لا نشك أن حرب الإخوان كاتجاه انحراف وخطأ ، وعلامة على عدم الفهم للإسلام ، وعلى الغفلة عن الصفات الأساسية لحزب الله .

نقول هنا وبنفس الوقت نقرر ونؤكد ، أننا لا نعنى بذلك أن مَن لم يكن منتظماً فى الإخوان اسمياً ورسمياً فليس من حزب الله . فهناك الكثير من العلماء والعبّاد والربانيين والعامة قد أخذوا حظهم من صفات حزب الله ، وغلب عليهم اجتهاد جعلهم بعيدين عن صف الإخوان ، وقد ينتقدون الإخوان بنية صالحة لإصلاح بعض الجوانب فى الإخوان ، أمثال هؤلاء ما دام ولاؤهم سليماً يحبون فى الإسلام ويعادون فيه ، فنرجو الله فيهم ، أما أولئك الذين انحرف ولاؤهم فأعطوه للكافرين والمنافقين ، وحاربوا حَملة الإسلام ودُعاته ، فهؤلاء نشكوهم إلى الله .

ولو أننا تتبعنا الفئات التى قامت فى المنطقة العربية ، وكان لها دور فيها ، لم نجد فئة إسلامية أخذت من أخلاق الإسلام كما أخذ الإخوان المسلمون فى

الإطار الذى أقامهم به الأستاذ البنا . كما أن التيار الإسلامى الذى أحدثه الإخوان لا يشبهه تيار آخر . إن المكان الذى لم تصله دعوة الإخوان المسلمين ، قد لا تجد فيه فئة محور تركيبها الأخلاق الأساسية لحزب الله ، والثقافة الإسلامية المتكاملة ، لذلك أصبحت حركة الإخوان علَماً على إرادة الإسلام الشامل الكامل ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾[1] . أى فى الإسلام كله .

ولا شك أن الجماعة قد يدخلها مَن ليس منها ، ويحمل أفكارها مَن لم يتحقق بأخلاقها ، ويتسمى باسمها من لا يستأهل أن يكون مسلماً عادياً . وهذا شىء عادى لا تخلو منه جماعة أبداً . ولقد كان ممن مع رسول الله ﷺ منافقون . والمهم أن لا يكون لهؤلاء دور فى قيادة الجماعة ، وألا يستطيعوا التسلل إلى أجهزة اتخاذ القرارات فيها ـ بالشروط التنظيمية الصعبة ـ التى لا ينفذ منها إلا من خلص لله تعالى ، والمهم أن تنفى الجماعة خبثها ، وهذان كائنان برعاية الله .

ولقد أثبت الإخوان أنهم أصلب عناصر هذه الأمة عوداً ، وأشدها مراساً إذا حاربوا ، أو عارضوا ، أو أريد التنكيل بهم . كما أثبتوا أنهم المظهر الحقيقى للمقاومة السلبية ، التى لا تتحطم لكل إرادة سوء بهذه الأمة ، وقد ابتُلوا من أجل هذا .

وقديماً كان الابتلاء من أجل هذا الدين علامة صدق فى حمله ، كما أن الجهاد والصبر عنوان الطريق الخالص فيه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴾[2] .

* * *

• لماذا نُصِرّ على اسم الإخوان المسلمين ؟

لقد سُلِّطَ على الإخوان ـ من جملة ما سُلِّطَ ـ أعظم حملة إعلامية دعائية ضد جماعة لا تملك أدنى شىء تجابه به خصومها . بل كانت تعانى أبشع حملة

---

(1) البقرة : ٢٠٨ (2) محمد : ٣١

اضطهاد عرفتها البشرية فى تاريخها الطويل . فكان من آثار ذلك أن أصبح الرجل العادى يخاف من ذكر اسم الإخوان أمامه . وهذا هو العامل الرئيسى الذى من أجله يُطالِب بعض الناس أن يُغَيِّر الإخوان اسمهم ، أو أن يُبدأ عمل جديد باسم آخر غير الإخوان !! وسنناقش قيمة هذه الفكرة بعد قليل .

إنه لشىء عادى أن يتأثر الرجل العادى بهذه الحملة الدعائية الهائلة ، التى كان وراءها المخابرات الأمريكية والقُوَى الشيوعية وأجهزة الإعلام الصهيونية وغيرها ، والتى كانت موَجَّهة أدق ما يكون التوجيه وأكثر ما يكون الخبث واللؤم . وأمام مثل هذا فشىء عادى أن يتهيب الرجل العادى اسم الإخوان ، ولكن هل شىء عادى أن نستسلم لمخططات العدو ؟ !!

إن الواقع التاريخى يُثبت أن كل حملات التشهير والدعاية الكاذبة لا تساوى شيئاً ، إذا ما رافق ذلك ثبات رجال الدعوة وصبرهم وحكمتهم ، إن كل ما يقوله الأعداء لا يساوى شيئاً ، ما دام مصدره الكفر والنفاق والفسوق . ونحن نألف رغم هذا كله إلا أن نكون مهاجمين ، لأننا لو وقفنا موقف المدافع فى قضايا يجب أن يكون نحن المهاجمين فيها ، نكون قد وقعنا فى أسر مخططات العدو . إن كل تهمة وجهها إلينا أعداء الله مردودة إليهم ، وعلينا أن نهاجمهم بإبراز الحقائق الدامغة التى تدينهم . وذلك وحده هو الذى يُفَوِّت على أعدائنا فرصة النصر .

نقول هذا ليعلم إخواننا وليعلم الذين تأثروا بهذه الدعاية من الإسلاميين أن هذا كله لا قيمة له ما دام مستنده الكفر . إن عقدة الخوف من الإخوان واسمهم نوع من الوهم الكبير ، والذى يتصوَّر أنه حجاب سميك بين الدعوة إلى الله والناس متوهِّم كثيراً ، إذ أن هذا الحجاب يُزيله الداعية الناجح بضربة واحدة ، والدليل على ذلك أن دعوة الإخوان - حيث وُجِدَ دُعاتها - هى أكثر الدعوات استقطاباً للمسلمين .

بعد هذا الكلام العام نجيب على السؤالين اللَّذين أثرناهما ، ويطرحهما كثير من الناس ، من الذين هالتهم الصدمات التى أُصيبت بها جماعة الإخوان المسلمين ، أو يحسون بوطأة الدعاية الهائلة ضدها ، أو الذين يحلمون بتأسيس

حركة مثالية خيالية ! أو يفرون من إسلامية خالصة أو ... أو ... وبعضهم لا نتهمهم بنياتهم أو اخلاصهم .. هذان السؤالان هما :

هل الأنسب للإخوان والإسلام أن ينهوا اسمهم أو يغيروه ؟ !

هل الأنسب أن يقوم عمل إسلامى جديد باسم جديد ؟ !

ومع أن كثيراً من الجماعات الإسلامية التى تعتبر نفسها من الإخوان ، وهى امتداد عادى لحركتهم وفكرهم ، قد سمت نفسها بغير اسم الإخوان فى الظاهر نتيجة لبعض الظروف ، مما يدل على مرونة الحركة فى هذا الموضوع ، إلا أننا نرى أن فى بقاء اسم الإخوان - سراً أو جهراً - جوانب إيجابية كثيرة ، وضرورة حتمية للحركة الإسلامية . وقد فطن لذلك أعداء الإسلام ، فبذلوا جهوداً كثيرة وأموالاً كثيرة من أجل هذا . وسنُجمل فيما يلى ردنا على السؤالين السابقين :

١ - إن عملاً للإسلام يبدأ من جديد وباسم جديد إما أن يكون إسلامياً كاملاً - كإسلام الإخوان المسلمين - أو ناقصاً ، فإذا كان ناقصاً فلا كلام على مثله ، وأما إذا كان كاملاً فسيُحارَب كما حُورِبَ الإخوان . فليس اسم الإخوان هو الذى حُورب ، بل مضمون هذا الاسم . وأى حركة تحمل الإسلام كاملاً سيصيبها مَن أصاب حركة الإخوان .

٢ - إن عملاً للإسلام يبدأ من جديد وباسم جديد ، لا يستطيع أن يعمم ذاته ، لتكون له جذور عميقة فى الأرض ، أو فى المنطقة العربية ، أو ليكون له انتشار فى القُطر ، إلا بعد زمن طويل جداً ، وسيصادف خلال هذا الزمن ما صادفه الإخوان أنفسهم ، وسيطرح أمثال الذين يطرحون فكرة تغيير الاسم والفرار من أصحابه ما يطرحه هؤلاء الآن ، وهكذا لا يكون للمسلمين هم إلا التأسيس وتجديد الأسماء ! !

٣ - إن العمل الإسلامى لا يستطيع كل فرد تحمل مسؤولياته ، وأكثر القادرين على تحمل مسؤوليات كهذه قد استقطبتهم دعوة الإخوان المسلمين فى البلاد التى وُجدوا فيها . ولذلك لن يجد الاسم الجديد والعمل الجديد - بمعزل عن الإخوان - عناصر مستعدة لتحمل عبء ضخم ، كما أن الإخوان لا يمكن أن

يتخلوا عن اسمهم ، وهكذا سيبدأ العمل الجديد سيره بإمكانيات أقل بكثير من إمكانيات دعوة الإخوان بجذورها العميقة خلال تاريخ طويل .

٤ ـ إن الإخوان المسلمين ـ وقد عاشوا تجربة طويلة المدى فى حمل الإسلام ، وعانوا من أجل ذلك ما عانوا ـ هم أقدر الناس على التجربة ورسم الطريق لعمل لاحق . ولن يملك أى عمل جديد بمعزل عنهم ـ فيما يبدو والله أعلم ـ التجربة الثقافية أو التربوية أو التخطيطية أو التنظيمية أو التنفيذية لعمل إسلامى ناضج .

٥ ـ إن اسم الإخوان أصبح علَماً على اتجاه إسلامى عام ، يعرفه العام والخاص ، والحكومة الإسلامية جزء من هذا الاتجاه . فإذا رفض الاسم وأهله وانتقل عنهما ، فكأن الاتجاه ضُرِب ، وكأن ذلك بمثابة إعلان عن فشل الاتجاه . وسيترك هذا آثاراً نفسية ، تنعكس آثارها على أى عمل إسلامى . وسيقول الناس لأصحاب الاسم الجديد : هذا طريق جرّبه غيركم وفشلوا . أما الآن فيُقال : الحركة الإسلامية سائرة على بركة الله ، ويوم لك ويوم عليك .

٦ ـ إن الإخوان المسلمين يملكون تاريخاً ناصعاً ، فقد قدّموا للإسلام الكثير بفضل الله ، وأتيحت لهم ظروف أغنوا فيها العمل الإسلامى غناءً عظيماً . ولئن جرت المحاولات الكثيرة لتشويه اسمهم ، فإنهم استطاعوا أن يجابهوا ذلك ببطولة وحجج قوية ، أتاحها لهم ما قدّموه . أما العمل الجديد باسم جديد فقد لا تُتاح له فرصة كبيرة يستعصى معها على التشويه ، إلا إذا شاء الله شيئاً آخر .

٧ ـ إن الإخوان المسلمين سُلّطَ عليهم من الإيذاء ما لم يُسَلّط على غيرهم ، ومع ذلك صبروا واستمروا وأثبتوا جدارة بحمل هذا الدين . ولكن مَن يضمن أن حركة جديدة واسماً جديداً سيكونان قادرين على مثل هذا الصمود ، الذى شرّف حملة الدعوة الإسلامية وأصبح علَماً عليهم ؟ !!

٨ ـ وكمسلمين نعتبر الوفاء خُلقاً من أخلاقنا وجزءاً من ديننا . نرى أن الوفاء شىء أساسى فى حياتنا ، للجماعة التى تحملت ثقل الضغوط العالمية

كلها ، فقدّمت الشهداء ، وامتلأت بها السجون ، وسُلّطَ عليها كل فنون التعذيب .

٩ ـ والحقيقة الكاملة أن دعوة الإخوان المسلمين هي التي هزت العالم الإسلامي بثبات أفرادها وبفكرها ، وبها قد فاء مَن فاء إلى الإسلام ، أو اهتدى وأكثرنا ذلك الرجل . ولقد مرّت فترات لم يبق فيها مثقف مسلم يؤمن بالإسلام أو يلتزم به ، حتى وجدت هذه الجماعة سبيلاً إليه ، وما من الإسلاميين اليوم إلا ولدعوة الإخوان عليه فضل بشكل من الأشكال ، بمدرستها وفكرها ورجالها وسعة أفقها ، وتراثها الكبير ، الذي لا يستغنى عنه أحد يتصدر للدعوة إلى الله في هذا العصر . فما يفر المسلم منها إلا إليها ، معتمداً ما قدّمته .

١٠ ـ ولنفرض جدلاً أن الإخوان وقعوا في أخطاء ، فهل سيكون الاسم الجديد والعمل الجديد بلا خطأ ؟ ! وأي عمل أجدى ؟ عمل جُرِّبَ أو عمل يريد أن يُجَرِّب ؟ . وبعض هؤلاء يقولون : نحن نستفيد من تجاربهم ونتجنب أخطاءهم . وهذا وهم ، فالمجَرِّب وحده ـ إلا من رحم ربي ـ هو الأقدر على الاستفادة من تجربته .

١١ ـ وطريق ودعوة وجماعة بدايتها الشهيد حسن البنا العالِم الرباني الفذ الصالح الإمام ، الذي وصفه كل من رآه وعرفه وسمع منه بأن العالم الإسلامي ما أنجب مثله منذ قرون ، إن طريقاً شقّه مثل هذا الرجل الصالح حرى أن يُسار فيه وأن يُستمر عليه .

لهذه الأسباب وما قدّمناه قبلها فإننا نعتبرها ظاهرة شاذة أن يُوجد رجل من حزب الله يستغرب اسم الإخوان المسلمين ، أو ينفر منه ، فضلاً عن أن يحاربه ! !

وهناك ناس عرفوا الإخوان أثناء محنتهم أو من أقوال عامة الناس فيهم ، أو من اقوال أعدائهم . وهناك ناس يرتبطون بالإسلام وأهله بمقدار ما يُقدِّم لهم من فوائد . وهناك ناس إدراكهم لبواطن الأمور محدود . وهناك ناس موازينهم سياسية دنيوية . أمثال هذه الطبقات تقول : ماذا فعل الإخوان ؟ ، وماذا

قدّموا ؟ لماذا لم ينتصر الإخوان وانتصر غيرهم ؟ لماذا لم يستطيعوا الوصول إلى الحكم ؟ شاخت جماعة الإخوان ، عقمت جماعة الإخوان ، الإخوان ناس بسطاء ... والذى نقوله باختصار لهؤلاء وأمثالهم : إن الإخوان ابتدأوا تجربة لم يبتدئها غيرهم فى منطقتهم . تجربة العودة إلى الإسلام فى العصر الذى تجمعت فيه كل القُوَى بأيدى أعداء الإسلام . وما من أحد إلا ويعرف عتو هذه القُوَى وكثرتها وإمكانياتها . ومع ذلك سار الإخوان منتقلين من طَور إلى طَور ، ومن تجربة إلى تجربة ، ومن خبرة إلى خبرة . وليس لهم مُعلِّم بعد الله إلا إخلاصهم واعتمادهم عليه . على خلاف الاتجاهات الأخرى التى يُخطط لها غيرها ويُقدِّم لها الدعم الكامل . فبينما يسير الإخوان فى الطريق المعاكس للقُوَى العالمية ومرتكزاتها داخل أقطارهم ، يسير الآخرون فى الطريق التى تريدها هذه القُوَى عمالة وخيانة . وبينما تتفق القُوَى الداخلية والخارجية على ضرب الإخوان ، تتعاون القُوَى العميلة فى الداخل مع القُوَى الكافرة فى الخارج على التمهيد للحركات الأخرى . ومع هذا فقد استطاع الإخوان – فى الفترات التى أتيحت لهم فيها حرية – أن يخدموا الإسلام ، وأن يستمروا فيه . وحركة كحركة الإخوان لها مثل هؤلاء الأعداء الضخام وأمامها مثل هذه العقبات ، وترغب أن تحقق أهدافاً ضخاماً ، تؤدى إلى قلب نظام العالم رأساً على عقب ، لا يمكن أن تسير بسهولة ، ولا يمكن أن تُحقِّق ولو جزءاً يسيراً من أهدافها إلا بزمن طويل . المهم هو قدرة أعضائها على الصبر والاستمرار . وهذا كائن بفضل الله.

لقد أسهبنا فى هذه القضايا لأن هناك شهوة تأسيس عمل إسلامى جديد باسم جديد راودت أذهان الكثيرين ! ! ! ، فاقتضى هذا أن نتوسَّع فى هذا الموضوع . إن الاخوان حيثما وُجِدوا فقد تجاوزوا مرحلة التأسيس ، وإذا كان هناك نقص أو قصور فبالإمكان تداركه ، وذلك أفضل وأجود ، وآخصر من عملية تأسيس جديدة . إن عملية التأسيس تحتاج الى جهد ووقت وتفرغ وحرية وقدرة على الانطلاق والتنقل ، وإمكانية يصل بها الإنسان الى الناس ، ومناخ ملائم . وكل ذلك لا يتوافر ولا يمكن أن يتوافر ، ولو أن « أحداً ما » أقدم

ـ في مثل هذه الظروف ـ على تأسيس حركة إسلامية جديدة فكم تحتاج حتى تستقر أصلاً ؟ وقد مرت معنا الملاحظات عليها .

ونتيجة لكل ما مرّ فإننا نقول : حيثما وُجِدَ الإخوان فلا ينبغي تغيير الاسم ، ولا تغيير اللواء . وحيثما غابوا فلا حَرَجَ أن ينشأ عمل إسلامي باسم جديد ـ في الظاهر ـ على أن يكون كل شيء واحداً في الواقع . وحيثما وُجِدَ خطأ أو انحراف أو جهل أو ضلال أو إضلال أو تساهل أو تهاون أو مهادنة باطل أو مداهنة أو تبنٍ لغير مذاهب أهل السُنّة والجماعة ، فالدعوة منه بريئة . فالحق لا يُعرف بالرجال وإنما يُعرف الرجال بالحق ، والانحراف عن مبادىء الإخوان يُخرج صاحبه منهم ، ويبقى اسم الإخوان مناراً وعَلَماً على حق ، ينبغي أن نلتزم به جميعاً . إن خط الأستاذ البنا يجب أن نُوجده إن كان مفقوداً ، فكيف لا ندعمه ونتبناه وهو موجود ؟؟ !!

* * *

بين يدى الأبواب الثلاثة القادمة

بعد أن عرفنا أن جماعة الإخوان المسلمين تتوافر فيها شروط جماعة المسلمين ، وعرفنا الكثير من إيجابياتها ، وعلمنا لماذا نُصِرّ على اسمها وعلى استمراريتها ، فقد آن أن نتحدث عن أهم الأمور التى امتازت بها الجماعة وفطنت لها مما غفل عنه الكثيرون .

لقد غفل بعض المسلمين عن التكوين الشامل للشخصية الإسلامية ، كما غفلوا عن العمل اليومى اللازم . وقد غفل الكثيرون عن فكرة إقامه الأجهزة اللازمة لتحقيق الأهداف ، كما غفلوا عن التوعية الكاملة اللازمة لتحقيق الأهداف .

وقد غفل الكثيرون عن ضرورة التنظيم لتحقيق الأهداف ، كما لم يفطن الكثيرون لضرورة كون التنظيم صالحاً ، وما هى شروط ذلك ، وقد فطنت الجماعة لذلك وما لم يعرف المسلم هذه الأمور على كمالها فى دعوة الإخوان المسلمين فإنه لا يعرف دعوة الإخوان المسلمين على الحقيقة فاقتضى هذا أن نعقد هذه الأبواب الثلاثة :

الباب الثالث

فقه التكوين
والعمل فى دعوة الإخوان المسلمين

- دليل التكوين فى دعوة الإخوان المسلمين .
- دليل العمـــل فى دعوة الإخوان المسلمين .
- صـــورة التكـــوين وصـــور العمـــل فى دعوة الإخوان المسلمين .
- الخطوط المتوازية الثلاثة .
- العمل العام والتكوين الفردى .
- الربط العام والربط الخاص .
- قضايا رئيسية فى عملية التكوين .
- أفضليات فى العمل .

الفصل الأول

دليل التكوين فى دعوة الإخوان المسلمين

ملاحظة : « ليس المراد بكلمة دليل هنا الدليل الشرعى الموصل إلى الحكم ، بل المراد به ما يعتمده الإخوان المسلمون من معالم تدل فى قضية التكوين » .

لكى نعرف قضية التكوين فى دعوة الإخوان المسلمين فعلينا أن نقدّم لذلك بثلاث مقدمات :

- **المقدمة الأولى :**

أخرج أبو داوود عن رسول الله ﷺ قال : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » . فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ . فقال : « بل أنتم يومئذ كثيرون ، ولكنكم غُثاء كغُثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوَهَن » . قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » .

إنه منذ ضعفت الدولة العثمانية والمسلمون يعيشون واقع هذا الحديث ، ومن الحديث تُدرك لِمَ جعل الأستاذ البنا ـ رحمه الله ـ أحد شعارات الإخوان المسلمين : « والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » .

إن هذا الحديث الشريف يحدّد الداء الذى عوقبنا بسببه بالوَهَن ، إنه الغُثائية . فما هى الغُثائية ؟

إن الغُثائية مظهرها الخفة والانجراف مع التيار ، فالغُثاء شىء يصنعه التيار ، ويجرفه التيار ، ويرميه التيار ، وهو طاف على وجه التيار ، هذه هى عِلّة المسلم

فى هذه المرحلة ، إنه لا وزن له ، وإن تيارات العصر تجرفه . فإذا ما أردنا أن ننهى هذا الوضع الشاذ فماذا علينا أن نفعل ؟

إن علينا أن نُعطى للمسلم وزنه ، وعلينا أن نجعل هؤلاء المسلمين - أصحاب الوزن الإسلامى - يشكلون تيارهم بأنفسهم - بتلاحمهم مع بعضهم لإيجاد التيار الإسلامى . وما لم نفعل هذا وهذا فإن المرض سيبقى وإن تحوّل إلى شىء آخر .

إنه إذا أعطينا المسلم وزنه أو إذا أصبح للمسلم وزنه بجهده الخاص ولكنه بقى منفرداً منعزلاً عن إخوانه المسلمين ، فإنه يبقى مجروفاً بالتيارات الكفرية . ولكن بدلاً من أن يكون غثاء يجرفه التيار ، يصبح كتلة ثقيلة ، كالحجر - مثلاً - يجرفه التيار الكافر ، ومن ثمَّ كان لا بد لتحرير المسلم من مرض الغُثائية أن يصبح ذا وزن ، وأن يكون جزءاً من التيار هو التيار الإسلامى ، فإذا ما وُجد هذا ، رُجِىَ للمسلمين أن يرفع الله عقوبته عنهم ، فتعود هيبتهم فى قلوب عدوهم ، فيرفع من قلوبهم الوَهَن . هذه هى المقدمة الأولى .

* * *

• المقدمة الثانية :

أخرج الشيخان وأبو داوود عن حذيفة قال : « كان الناس يسألون النبى ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركنى . فقلت : يارسول الله ؛ إنَّا كنا فى جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ . قال : « نعم » . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ . قال : « نعم ، وفيه دَخَنٌ » . قلت : وما دَخَنَهُ يارسول الله ؟ . قال : « قوم يستنون بغير سُنّتى ويهدون بغير هَدْيى ، تعرف منهم وتنكر » . فقلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ . قال : « نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها » . فقلت : يارسول الله ؛ فما ترى إن أدركنى ذلك ؟ . قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ . قال : « فاعتزل تلك الفِرق ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك » .

يبدو من خلال النصوص أن مرحلة الخير الأولى تنتهى بانتهاء القرون الثلاثة الأولى ، وأن مرحلة الشر تأتى فيما بعد ذلك حتى ظهور الانتفاضات الإسلامية ،

وأن مرحلة الدَخَن تستمر حتى عصرنا ، وأن عصرنا هو عصر الدُعاة على أبواب جهنم .

هذا الحديث يُحَدِّد واجب المرحلة وهو الالتزام بجماعة المسلمين وإمامهم ، فإن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام ، فالواجب اعتزال فرق الضلالة كلها ، والجماعة أن تكون على الحق ولو كنتَ وحدك كما فسّرها ابن مسعود . وبالنسبة للأمة الإسلامية فإنها لا تخلو من جماعة ، ففى الحديث الذى يبلغ التواتر :« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق .... ». هذه هى المقدمة الثانية .

* * *

• المقدمة الثالثة :

فى الشريعة الإسلامية تنقسم العلوم إلى قسمين : فرض عين وفرض كفاية . ففرض العين هو ما يُطالَب به كل مسلم من العلم الشرعى ، وفروض الكفاية هى كل علم يحتاجه المسلمون فى أمر دنيا أو دين . ومن أعظم أسباب تخلف المسلمين مدنياً هو فقدان الاختصاص المفروض ، ففى الوقت الذى أصبحت كل صغيرة أو كبيرة محل اختصاص كثيرين فى البلدان الكافرة ، فقد قل رجال القمة من كل اختصاص عند المسلمين ، فأصبحت الأمة الإسلامية عالة على الأمم الأخرى ، أدويتها تصنعها الأمم ، وأدوات الاستعمال اليومية تُصنع لها فى الخارج ، وتأثير ذلك – على المدى القريب والبعيد فى بقاء المسلمين متخلفين – بعيد المدى . هذه هى المقدمة الثالثة .

وبناءً على هذه المقدمات فإن نظرية التكوين عند الإخوان المسلمين للشخصية المسلمة تشمل دوائر ثلاثاً : دائرة الثقافة ، ودائرة الخصائص ، ودائرة الالتزام .

فمن خلال الخصائص والالتزام تنتهى الغُثائية ، ويتم الالتزام بجماعة المسلمين وإمامهم ، وبالثقافة يتم ذلك كله وينتهى التخلف ، ويسير الإنسان على بصيرة ، فلنر ماذا يدخل فى كل دائرة من هذه الدوائر .

١ – دائرة الثقافة :

يدخل فى هذه الدائرة : الثقافة الإسلامية أصولاً وفروعاً ، ويدخل فيها

الثقافة المعاصرة ، ويدخل فيها الثقافة التأهيلية إما لاختصاص حياتى أو لاختصاص فى العمل الإسلامى ، وعلى هذا فالثقافة لها أربع محاور :

(أ) محور الثقافة الإسلامية :

فى كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » تكلمنا عن الثقافة الإسلامية أصولاً وفروعاً ، وضرورة كلٍّ فى بناء الشخصية الإسلامية ، وكيف أن أى فراغ فى التكوين الثقافى للمسلم سيؤدى إلى خلل أو خطأ ، أو أنه يبقى فراغاً يملأ بخطأ أو بضلالات ، وهنا نكتفى بإشارات : ذكرنا هناك أن المسلم بحاجة إلى دراسة علم الأصول الثلاثة ـ أى علم معرفة الله سبحانه ، والرسول ﷺ ، والإسلام ـ كمرتكز للإيمان الذى جرت سُنَّة رسول الله ﷺ أن يُعطى قبل القرآن ، وأن المسلم بحاجة إلى دراسات فى الكتب والسُنَّة وعلومهما ، وإلى دراسات فى علوم الإسلام الثلاثة وأصولها : العقائد ، والفقه ، والأخلاق ، وأصول الفقه ، وإلى دراسات فى علوم اللُّغة العربية ، وحاضر العالم الإسلامى ، وتاريخ الإسلام والمسلمين ، وإلى دراسات تُعَرِّف على التآمر على الإسلام ، وإلى تتبع للدراسات الإسلامية الحديثة ، وإلى دراسات لفقه الدعوة .

دعونا نتصور أن مسلماً لا يعرف اللُّغة العربية وعلومها ، إن تأثير ذلك على الفهم والقدرة على التعبير لا تخفى ، بل لنتصور أنه اكتفى بدراسة علم النحو فقط ، فماذا يحدث ؟

فى النحو عادة يُدرس بناء الكلمة وإعرابها ، ومن ثمَّ ففى النحو نعلم أن « يا » أداة نداء ، ولكن النداء فى اللُّغة العربية يأتى على أنحاء شتّى : للتفجيع ، وللتحسر ... ولغير ذلك . وفى النحو نعرف أن « كيف » اسم استفهام ، ولكن الاستفهام فى اللُّغة العربية يأتى على أنحاء شتّى : للإنكار ، وللتعجب ، وللتوبيخ ... ومن ثمَّ وُجِدَ علم مُكَمِّل للنحو هو علم المعانى ، الذى هو أحد علوم البلاغة الثلاثة ، فلو أن مسلماً لم يأخذ حظه من علوم اللُّغة العربية جميعاً سيصبح إما حرفياً حرفية خاطئة ، أو مؤولاً تأويلية خاطئة ـ إلا من عصم الله ـ ما السر فى أن فكرة « الحاكمية لله » أصبحت منسية حتى أصبح الناس يستغربون الحديث عنها ؟ مع أنها من البديهيات ، ما السر فى أنهم أصبحوا

يستغربون أن يُطالِب الإخوان المسلمون بأن تنبثق الحياة العملية كلها عن الكتاب والسُنّة ؟ إن جزءاً من الأسباب يكمن فى إهمال علم أصول الفقه ، لأنه هو العلم الذى يبحث عن الحكم والحاكم والمحكوم فيه والمحكوم عليه ، ولأنه هو العلم الذى يُعَرِّفنا على كيفية انبثاق الأحكام التى تُغَطِّى الحياة كلها عن الكتاب والسُنّة .

ما السر فى نزعات الشذوذ الفكرى ؟ إنه فى كثير من الاحيان يكمن فى عدم الدراسة للعقائد الإسلامية كما حرّرها الراسخون فى العلم .

والدراسات الفقهية القديمة سارت على طريقة فى العرض تختلف عما ألفه الناس من تقسيمات ، ومن ثَمَّ جاءت الدراسات الإسلامية الحديثة لتكمل ، فأصبح هذا لا بد منه – على ضوء نظرية واضحة المعالِم .

إنه ما من إهمال لجانب أو أصل أو فرع فى الثقافة الإسلامية إلا وله تأثيراته الضارة .

(ب) محور الثقافة المعاصرة :

إن المسلم الذى لا يعيش عصره ولا يستوعب ثقافة عصره يتعذر عليه أن يفكر التفكير المكافىء للعصر ، وأن يتخذ القرار المناسب لما يواجهه ، ويتعذر عليه حتى أن يُفتى فى شئون العصر ، لأن الفتوى تُقَدَّر زماناً ومكاناً وشخصاً ، ثم هو لا يستطيع أن يشق طريقه عبر عصره وزمانه فضلاً على أن يشق طريقاً للإسلام ، ثم هو يستعرض فى كل لحظة لمطلب خداع من الآخرين ، ولن يكون تقييمه للأمور والأحداث والاتجاهات صحيحاً ، فيقع ويُوقع المسلمين فى كارثة ، ومن ثَمَّ فلا بد من أن نضع فى حسابنا أن نجعل المسلم يستوعب ثقافة عصره .

(جـ) الثقافة التأهيلية فى اختصاص حياتى :

إن المسلمين لن يتجاوزوا عقدة تفوق الأجنبى إلا إذا وُجِدَ فيهم رجال قمة فى كل اختصاص حياتى ، مدنياً كان أو عسكرياً ، صناعياً كان أو زراعياً ، فى الطب والصيدلة والهندسة وغير ذلك ، تلك فريضة إسلامية فى الأصل ويشتد الطلب عليها فى عصرنا ، وإن المسلمين لن يستطيعوا أن يتغلبوا على تخلفهم إلا من خلال وجود رجال قمة فى كل اختصاص ، بحيث تُغطى هذه الاختصاصات مجموع احتياجات الأمة .

وإن الإسلاميين لن يستطيعوا أن يقيموا دولتهم أو أن يجعلوها على مستوى العصر ، ولن يستطيعوا أن يوجدوا كتلتهم العالمية إلا إذا وُجِدَ عندهم رجال قمة فى كل اختصاص ، ولذلك فلا بد أن يضع المسلم فى حسابه أن يكون رجل قمة فى اختصاصه ، وأن تضع الحركة الإسلامية فى حسابها أن تدفع نحو التخصيص العالى مع مراعاة الأفضليات .

(د) الثقافة التأهيلية لعمل إسلامى :

إنه ينبغى أن ينتهى الوقت الذى يُكلف به إنسان بعمل إسلامى دون تأهيل يؤهله للنجاح فيه ، ابتداءً من الحركة الفردية .. إلى تربية أسرة .. إلى إقامة حلقة .. إلى قيادة شُعبة ... إلى ما فوق ذلك .

إنه لمن الكوارثِ الكبيرة أن ينطلق كل فرد منا من خلال اجتهاداته أو كفاءاته ، دون أن يكون ذلك موجهاً بنظريات الجماعة وتأهيل الجماعة لأفرادها .

وما ذكرناه كاف لإدراك دائرة الثقافة فى هيكل البناء التكوينى لجماعة الإخوان المسلمين .

٢ ـ دائرة الخصائص :

فى الجيل الإسلامى الأول كان فى القمة رسول الله ﷺ ، ولقد نقل رسول الله ﷺ جيل الصحابة إلى أن يكونوا وراثاً كاملين له ـ عليه الصلاة والسلام ـ على تفاوت بينهم فى مقدار الأخذ ، وكان الجيل كله مجاهداً ، وكان فى هذا الجيل نُقباء وأمراء ، وكانت الخصائص عند الجميع نامية ، ثم بدأت الخصائص تتناقص فى الأجيال التى تلت ، حتى جاء عصرنا الذى ليس أمامنا فيه إلا العودة الى الخصائص .

فلا بد من إحياء خصائص الوراثة الكاملة لرسول الله ﷺ ، ولا بد من إحياء أخلاق النُقباء ، ولا بد من إحياء أخلاق المجاهدين ، بحيث تظهر فى الجميع أخلاق جماعة المسلمين وخصائصها .

وفي رسائل أخرى من هذه السلسلة تفصيلات لهذا كله من الكتاب والسنة .

إن طبقة المجاهدين لا بد أن يجتمع لها خصائص المحبة لله ، والذلة على المؤمنين ، والعزة على الكافرين ، والجهاد ، وتحرير الولاء .

وإن طبقة الوارث لا بد أن تظهر فيها القدرة على العلم وتزكية الأنفس مع الصدق والاستقامة ، والقدرة على إقامة الحجة ، والقيام بتبليغ دين الله ، والحرص على الصف ، والرحمة والرأفة بالأفراد ، واللين مع الإخوان :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١).

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (٢).

ولا بد للصف كله أن تظهر فيه خصائص المسلمين :

﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۞ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ (٣) .

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٤) .

وبدون خصائص لا ينال الصف رضوان الله وتأييده إلا إذا شاء الله شيئاً .
وبدون خصائص لا توجد الثقة ولا تدو داخل الصف أو خارجه .

---

(١) التوبة : ١٢٨ (٢) آل عمران : ١٥٩

(٣) الشورى : ٣٦ ـ ٣٩ (٤) الحج : ٤١

٣ - دائرة الالتزام :

إن الله - عز وجل - وصف المؤمنين والمؤمنات بقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [1] . إن أولى صفات المؤمنين والمؤمنات ولاءهم لبعضهم بعضاً . وقد رأينا الحديث الذي هو فتوى العصر : « أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » ، فما لم يكن التزام بالصف الإيماني فإن الغثائية في الأمة الإسلامية ستبقى ، وسيبقى الكفر مسيطراً .

فلا بد أن يراعى في التكوين موضوع الالتزام ، بحيث ينمو الفرد ، ولا بد أن يكون الالتزام على بصيرة ، بأن يكون التزاماً على ضوء قواعد منبثقة من النصوص أو من الشورى ، فذلك شرط السير المشترك .

إنه بملاحظة هذه الدوائر الثلاث في تكوين الفرد يكون الانطلاق الصحيح ، لأن نقطة البداية - كما سترى - تكوين الشخصية الكاملة في الأمة ، إنه بمثل هذا الانطلاق على ضوء الدوائر الثلاث ، التي تحقق المقدمات الثلاث ، نبدأ سيراً صحيحاً في حل مشاكل أمتنا على المدى القريب أو البعيد ، سواء في ذلك إعطاء المسلم ثقله ، أو في إيجاد التيار الإسلامي ، أو في انطلاق الطاقات الإسلامية في مسارها الصحيح ، أو في إقامة العمل الإسلامي الكامل ، أو في إيجاد الجماعة الإسلامية الكاملة ، أو في وضع قدم المسلمين نحو تحقيق أهداف الإسلام محلياً وعالمياً .

* * *

إن من مشكلات الإسلاميين الحالية أنك تجد مسلماً مثقفاً ولكن خصائصه غير نامية ، وأحياناً تجد خصائص بلا ثقافة ، أو تجد خصائص وثقافة بلا التزام ، أو تجد التزاماً بلا ثقافة ولا خصائص ، أو تجد ثقافة إسلامية نامية

---

(١) التوبة : ٧١

وثقافة معاصرة ضعيفة ، أو اتجاهاً للعمل بلا تأهيل ، والعلاج لهذا كله هو ملاحظة الدوائر الثلاث فى التكوين .

* * *

والعصور المتأخرة كانت عصور الخير الذى خالطه دَخَن ، ولهذا الدَخَن استمراريته ، إما فى بعض جوانب الثقافة الموروثة عن هذه العصور ، أو فى استمرارية أمور لا تتفق مع السُنَّة أو الوضع الإسلامى السليم أو مع مقتضيات العصر .

ومن ثَمَّ فإن تحرير الخير من دَخَنه فى الثقافة المتوارثة ، ومعالجة الدَخَن ـ المتمثل بوجودات وكيانات ـ معالجة حكيمة جزء من موضوع التكوين ، وكأثر عن هذا فقد اتجهت الجماعة فى تكليفاتها فى شأن المناهج إلى ثلاثة أمور :

الأمر الأول : كتابة ما يلزم مما هو غير موجود ، أو موجود ولكن يحتاج إلى جمع وتنسيق .

الأمر الثانى : اعتماد الموجود النافع من الإرث الثقافى .

الأمر الثالث : محاولة تصفية الإرث من دَخَنه ، إما من خلال تقعيد قواعد هى بمثابة ميزان ، أو من خلال كتابة جديدة تعتمد القديم مع ملاحظة تحريره من دَخَنه .

وعلى ضوء هذا كله وعلى ضوء أشياء أخرى تُذكر فى غير هذه الرسالة انطلقت بعض الأقطار ـ فيما حاولته ـ من اعتماد مناهج تعليمية أو تربوية . وفى الموضوع اللاحق خلاصة نموذج .

* * *

● خلاصة نموذج تكوينى :

اعتمد الأستاذ البنا ـ رحمه الله ـ مبدأ الانتساب إلى جماعة الإخوان المسلمين ، وجعل للعضوية ست مراتب « مساعد ـ منتسب ـ عامل ـ مجاهد ـ نقيب ـ نائب » وإذا أردنا أن نبحث عن أصل لهذا الاعتماد

فبإمكاننا أن نقول : ورد في السُنَّة : « فكتب له نائب مكة عتاب بن أسيد » ، فكلمة النائب إذن مستعملة في السُنَّة ، كما أن النائب يقابل الوارث النبوي في الاصطلاح العام ، والنقيب يقابل النقيب ، والمجاهد يقابل المجاهد الآخذ بالعزائم ، والعامل يقابل المجاهد الآخذ بالرُخص ، والمنتسب يقابل النصير : ﴿ إنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[1] . والمساعد يقابل العامة في المجتمع الإسلامي ، وقد كان لما اعتمده الأستاذ البنا من مبدأ الانتساب إلى الجماعة بركته ، إذ أنه بمجرد الانتساب إلى الجماعة يحس المسلم أنه وجد إناءه الجماعي ، وشعر بأنه ملتزم بالإسلام ، وأصبح ـ مباشرة ـ يميز بين أعداء الإسلام وأوليائه ، وأصبح يستشعر أنه ذو قضية ، ويتحدد ولاؤه ، ويتخلص من كل سيوبة أو ميوعة أو اضطراب أو تشتت ، وقد اجتهدت بعض الأقطار أن تختصر درجات العضوية بثلاث درجات : فاختصرت مرتبتا المساعد والمنتسب بدرجة واحدة هي درجة النصير ، واختصرت درجتا العامل والمجاهد بدرجة واحدة ، أسمت صاحبها عاملاً أو مجاهداً أو منفذاً ، واختصرت درجتا النقيب والنائب بدرجة النقيب . ولعل اعتماد أربع درجات هو الموافق للنصوص :

ففي آيات الرِّدة في سورة المائدة ذُكرت طبقتان ، طبقة الأنصار وطبقة المجاهدين ، وفي الكتاب والسُنَّة ذُكرت كلمة النقباء ، والعلماء ورثة الأنبياء ، فهذه أربع طبقات ، فأربع درجات ، هؤلاء هم بنية الجماعة ، ومَن سوى هؤلاء من المسلمين لهم فضلهم عند الله ، ولكن لا بد في الجماعة وللجماعة من تمييز ، والمفروض أن يكون لكل عضوية منهاجها العلمي ، والتزاماتها وخصائصها ، بحيث لا تعطى صفة عضوية إلا لمن اجتمع له دراسة منهاجها ، وأدى التزاماتها ، وتحقق بخصائصها ، والمفروض أن يكون المسؤولون عن التكوين في الجماعة هم الذين يتابعون دقائق التكوين ، ليتأكدوا من التحقق وليحققوا ـ أصحاب الاستعداد ـ بالمعاني اللازمة لهم .

* * *

---

(1) المائدة : ٥٥

ومن كل ما مر نُدرك أن التكوين فى الإخوان المسلمين أوسع مدى من أن يكون تعليماً محضاً ، إنه تعليم وتربية بآن واحد ، ولكن على ضوء نظرية شاملة كاملة واضحة المعالِم ، وهذه قضيـة يكثر فيها الخطأ ، وبسبب الخطأ يكثر التذمر وتكثر الشكوى ، إذ لا يحس الإخوان ـ أحياناً ـ بأن ما يُعتمد من مناهج يكافىء تطلعاتهم ، إذ تقتصر هذه المناهج على جانب تعليمى بحت . لا يُراعَى فيه متطلبات التكوين بما يكافىء الأوضاع والظروف ، وبما يُناسِب الحاضر والمستقبل ، وبما ينسجم مع نظريات العمل الإسلامى فى طوره الحالى . ولذلك فإن التكوين النموذجى الذى نتحدث عنه هنا يقتضى أن نُقَسِّم مناهج التكوين إلى قسمين : مناهج التكوين الموَجّه ، ومناهج التكوين العام . وبالتالى فإن للتكوين عندنا خريطتين : خريطة التكوين الموَجّه ، وخريطة التكوين العام . وسيتضح معنا المراد بنوعى التكوين من خلال الكلام عن كل منهما :

١ ـ التكوين الموَجّه :

(أ) حددت آيات الرِّدة فى سورة المائدة مواصفات العضو النصير :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [1] .

ومن ثَمَّ فعلينا أن نركز فى مرحلة التربية ـ على عضوية النصير ـ على الإيمان والصلاة والزكاة وعلى الولاء لجماعة المسلمين .

ومن أجل ذلك كتبتُ سلسلة الأصول الثلاثة لبناء الإيمان بالله والرسول والإسلام على أساس متين ، واعتمدتُ لهذه المرحلة رسالة المأثورات لينتقل الإيمان من طوره الفكرى إلى طوره القلبى .

وكتبتُ لهذه المرحلة رسالة « من أجل خطوة إلى الأمام » لتعميق الولاء للإسلام وللجماعة التى تحمله .

---

(١) المائدة : ٥٥ ـ ٥٦

(ب) وحددت آيات الردة في سورة المائدة صفات المجاهد :

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله واسع عليم ﴾[1] .

ولا يقوم امرؤ بحق الجهاد إلا إذا اتصف بصفات محددة :

قال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون . وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله . فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم ﴾[2] .

ثم حدد الله تعالى صفات البائعين فقال : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله . وبشر المؤمنين ﴾[3] .

والجهاد يقتضي وعيا أمنيا عاليا وحسا أمنيا مرهفا ومن أجل هذا كله :

اعتمدت لهذه المرحلة رسالة « التعاليم » ، لأنها في الأصل كتبت للإخوان المجاهدين . واعتمدت رسالة « الجهاد » ، وكلتاهما للأستاذ البنا - رحمه الله - ولقد كتبنا لهذه المرحلة كتابنا « جند الله ثقافة وأخلاقا » ، ومكمله « جولات في الفقهين الكبير والأكبر » ، وكتب كمراجع للأخ المربي كتابا « الحياة الروحية والسلوكية لجند الله » ، « ونظريتنا الأمنية ودروس الأمن » ، واعتمدت دراسة سورتا الأنفال وبراءة من الظلال . واعتمد لهذه المرحلة مبدأ الدورات :

دورة روحية على ضوء كتاب « الحياة الروحية والسلوكية لجند الله » ، ودورة أمنية على ضوء كتاب « نظريتنا الأمنية ودروس الأمن » . ودورة عملية لتحقيق ما ورد في كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقا » . ورسالة « التعاليم » و « الجهاد » .

---

(1) المائدة : 54 (2) التوبة : 111 (3) التوبة : 112

(جـ) ومن أجل أن يتحرك النقيب على بصيرة كتبتُ له رسالة « تفهيم التعاليم » ، وكذلك ما ذكرناه آنفاً : كتابا « الحياة الروحية والسلوكية لجند الله » و « نظريتنا الأمنية ودروس الأمن » ، و « رسالة دروس في العمل الإسلامي » . وكتاب « المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين » .

(د) ومن أجل أن يكون النائب مستوعِباً السير من بدايته إلى نهايته ، ومستوعِباً الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسُّنَّة ، كتبتُ رسالة « برسم التنفيذ » و « سلسلة الأساس في المنهج » .

هذه مجموعة ما اقتضت نظرية المناهج كتابته لصالح التكوين الموَجَّه ، والتكوين الموَجَّه على هذه العضويات الأربع يقتضي التزاماً بالشروط المعتمدة في النظام لإعطاء كل صفة من صفات العضوية . وفي هذه الرسالة سنرى نموذج ذلك .

ويُعتمد في حق الأخ النقيب أو النائب ما يناسب من دورات على حسب العمل الذي سيتخصص فيه في التعريف أو التكوين أو التنفيذ : دورة على إقامة حلقة ، ودورة على إدارة أسرة ، ودورة على الخطابة ، ودورة على الكتابة ، ودورة على إدارة جهاز ... وهكذا .

* * *

• التكوين العام :

إن على كل مسلم أن يكون له سيره العلمي لتحقيق فروض العين والتوسع في العلوم الشرعية ، وينبغي أن يكون هذا السير مبرمجاً ، تُلاحَظ فيه الأفضليات والتكامل ، بحيث تكون له مراحله التي ينتقل فيها من نضج إلى نضج ، وهذا شيء نلاحظه في حياة رسول الله ﷺ ، فقد كان رسول الله ﷺ أول ما يُعَلِّـم الإنسان الصلاة ، ثم يدفعه إلى مَن يُعلّمه القرآن ويُفَقِّهه .

إن هذا السير العلمي المفروض أو المندوب هو الذي أسميناه التكوين العام . وفي كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » تكلمنا عما يحتاجه المسلم ، ولكنَّا لم نُفصِّل هناك في موضوع المراحل والأولويات .

وبشكل عام نقول : إن السير التكوينى العام ينبغى أن يكون على ثلاث مراحل :

مرحلة تكمل سير العضوين : النصير والعامل ، ومرحلة تكمل سير العضو النقيب ، ومرحلة تخصيصه للأخ النائب .

وليس المهم فى هذه المراحل - فى حالات كثيرة - كتاباً بعينه بقدر ما يهم المضمون .

(أ) المرحلة الأولى :

١ - إن مما يلزم المسلم فى هذه المرحلة أن يتقن تلاوة القرآن ، وأن يحفظ ما تيسر ، وخاصة الأجزاء الأخيرة ، والسوَر التى ورد فيها ندب خاص .

٢ - وأن ما يلزم المسلم فى هذه المرحلة أن يدرس كتاباً فى السيرة - ولو مختصراً - ككتاب نور اليقين ، أو تهذيب سيرة ابن هشام .

٣ - وأن يقرأ رسالة مختصرة عن عقائد أهل السُنّة والجماعة .

٤ - وأن يتقن فقه العبادات على مذهب من المذاهب المعتمدة .

٥ - وأن يحفظ من السُنّة النبوية حوالى أربعين حديثاً كالأربعين النووية .

٦ - وأن يقرأ كتاباً فى السلوك كرسالة المسترشدين .

وهذا ما يلزم المسلم فى هذه المرحلة .

(ب) المرحلة الثانية :

فى هذه المرحلة ينبغى أن يأخذ حظاً - ما - من كل ما ذكرته أبواب « جند الله ثقافة » .

فى القرآن الكريم ينبغى أن يحفظ على الأقل سورة البقرة .

فى السُنّة ينبغى أن يقرأ على الأقل رياض الصالحين .

ينبغى أن يقرأ كتاباً فى أصول الفقه ككتاب خلاف .

ينبغى أن يقرأ كتاباً كاملاً فى الفقه على مذهب من المذاهب المعتمدة .

ينبغى أن يقرأ كتاباً موسعاً فى العقائد ككتاب كبرى اليقينات .

ينبغى أن يقرأ كتاباً فى فقه السيرة وأن يتوسّع فى دراسة حياة الصحابة رضى الله عنهم .

ينبغى أن يقرأ كتاباً من التاريخ الإسلامى ، وأن يتابع مواضيع حاضر العالم الإسلامى والتآمر على الإسلام .

ينبغى أن يقرأ كتاباً فى النحو والصرف وكتاباً فى علوم البلاغة .

ينبغى أن يتابع الدراسات الإسلامية الحديثة وخاصة لكُتّاب الحركة الإسلامية العالمية .

ينبغى أن يقرأ فى فقه الدعوة وتاريخها الحديث وخاصة لحسن البنا رحمه الله .

لا بد للأخ فى المرحلة الثانية من أن يأخذ حظاً - ما - من هذه الدراسات .

(جـ) المرحلة الثالثة :

مرحلة التخصص بأن يتخصص الأخ فى دراسة ما : أصول فقه - عقائد - فقه - تاريخ .

* * *

ولا شك أن هذا يقتضى زمناً طويلاً ، ولكن مَن سار على الدرب وصل ، ولو أن إنساناً خصص كل يوم ساعة للدراسة والحفظ - على ضوء المناهج - لكان ذلك كافياً على المدى البعيد للنضُج .

هذه الخلاصة ههنا كافية لأخذ صورة عن نموذج يُقرِّب مفهوم فكرة التكوين فى دعوة الإخوان المسلمين ، والكلام موصول وسيأتى مزيد بيان فى هذه الرسالة ، وفى رسائل أخرى ستجد تفصيلات وحيثيات ، وتكفى هذه الصورة الكلية .

* * *

ونحب هنا أن نقول شيئاً : وهو أن هذا الباب مخصص لتوضيح صورتي التكوين والعمل ، ولكن محل ذلك في الإطار الكلي لبناء الجماعة وسيرها ، ليس هذا مكان الكلام فيه ، وإنما محله في رسائل لاحقة ، وإن كان بإمكان القارىء أن يتصوَّر امتدادات هذا الكلام . فمثلاً عندما نُطالِب كل أخ نائب أن يتخصص في حقل من حقول الثقافة الإسلامية ، فشيء عادي إذن أن يكون جزء من سياسة كل مركز من مراكزنا أن يُوجِد فيه مجموعة من الأخوة النواب متخصصين في التفسير ، أو في الحديث الشريف ، أو في الفقه ، أو في العقائد ، أو في علوم اللُّغة العربية ، أو في التاريخ ، أو في فقه الدعوة ، أو في التآمر على الإسلام .. وهذا يستتبع أن يكون هناك خطة عند أهل كل تخصص للارتقاء بالأمة من خلال تخصصهم . وهذا يستتبع أن يكون لهؤلاء على مستوى القُطر دراساتهم ومذكراتهم إن أمكن ذلك ، وكل ذلك ينبغي أن يتم في إطار العمل الكلي وضمن نظرية تنظيمية شاملة ومرنة ، وكل ذلك له تفصيلاته المكتوبة ، وإنما ذكرنا ذلك هنا ليعرف القارىء أن هذه الرسالة إنما هي جزء من كل ، فهي تخدم في موضوعها فقط ، وغيرها يكملها حتى في جوانب هي من اختصاصها . فمثلاً ذُكر في باب دليل التكوين : أن الثقافة التأهيلية في اختصاص حياتي هدف من أهداف التكوين . ولكن لم يُذكر هنا كيف يتم ، أو من المسؤول عنه ؟ ومن يدفع إليه ؟ وكيف يُستفاد منه ؟ وما حدود العفوية والطلب من ذلك كله ؟ كل ذلك محله دراسات أخرى غير هذه .

* * *

الفصل الثانى

دليل العمل فى دعوة الإخوان المسلمين

حدَّد الأستاذ البنا فى مذكراته وغيرها بعض مظاهر عمل الإخوان المسلمين ، وقد جمع بعضهم هذه المعانى ودمجها وأضاف إليها ما هو بمثابة التفصيل لها أو المكمل مما تشهد له النصوص ، فكان حصيلة ذلك هذا الدليل .

* * *

اعلم يا أخى - رزقنى الله وإياك حسن التوفيق - أن لكل إنسان غاية أساسية من حياته تدور عليها أفكاره ، وتتجه نحوها أعماله ، وتتركز حولها آماله وهى التى يسمونها « المثل الأعلى » ، ومتى سمت هذه الغاية وعلت صدرت عنها أعمال سليمة مجيدة ، وقد جاء الإسلام لإصلاح النفوس وتزكيتها والعلو بها إلى منتهى الكمال الممكن لها ، ولذا أوضح القرآن هذه الغاية القصوى ، وهى حضرة قُدس ربنا - جل وعلا - : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ، إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (1) .

واعلم يا أخى أن قلبك هو الحصن الذين لا يُفتح إلا بإرادتك بعد إرادة الله ، فمنه النصر ومنه الهزيمة ، فإذا طهرت القلوب ثبتت الأقدام وكان الانتصار ، فالمؤمن رجل أدرك حقيقة وجوده فى هذه الحياة ، فهو يربأ بنفسه أن يستعبدها الشيطان ، أو يذلها المال ، أو يسيطر عليها الهوى ، ويصعد بها فوق الصغائر التى يضطرب فيها الناس متجهاً إلى ربه مجيباً نداء ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ (2) .

---

(1) الذاريات : ٥٠ (2) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

هذه النفس القوية المتجهة إلى ربها لا تستطيع قوة فى الأرض أن تقف أمامها ، لأنها تستمد قوتها من الله ، ولا يستطيع جند الشيطان هزيمتها ، لأن أعظم معاقلها القلب ، ولا سلطان لأحد عليه إلا الله .

واعلم يا أخى : أن من سُنَّة الله أن لا ينزل نصره إلا على القلوب الطاهرة المخلصة فاحفظ لها هذا الطهر ، وتأمل معنى قول الله الذى تهدى إليه الآية الكريمة : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

* * *

إن الدعوة تحتاج إلى شيئين بآن واحد :

١ ـ حماس قوى .

٢ ـ تحكم قوى فى هذا الحماس .

فالحماس وحده لا يُغنى فى الدعوة ، والعقل وحده لا يُغنى . فلا يستخفنا الذين لا يوقنون ويستفزنا الشر القريب . والمتقدم عن الصف كالمتأخر عنه فى الصلاة ، والله لا ينظر إلى الصف المعوج نظر رحمة . ولتعلم أن الإسلام جاء منهاجاً وبه انتظمت أمور الحياة ، ولا حياة لفرد إلا بمنهاج منظم ، فنظموا أنفسكم حتى تصلوا إلى مرتبة الرجل الصالح ، التى توجد بها عوامل النجاح جميعها :

ـ وليكن لكل منا خططه وبرامجه العلمية يُنَظِّم بها دراسته واطلاعه .

ـ وليكن لكل منا خططه وبرامجه السلوكية والعبادية يُنَظِّم بها صلته بربه .

ـ وليكن لكل منا خططه وبرامجه المالية يُنَظِّم بها دخله ونفقاته .

* * *

إنه ينبغى أن تمتلىء حياة المؤمن بمظاهر عديدة من العمل الذى يُرضى الله تعالى :

---

(١) آل عمران : ١٢٣

١ ـ فى اليوم والليلة . ٢ ـ فى الأسبوع .

٣ ـ فى الشهر . ٤ ـ فى السنة .

٥ ـ فى العمر .

أولاً ـ مظاهر الأعمال الإسلامية فى اليوم والليلة :

يعتمد بذلك على رسالة المأثورات مع بعض الملاحظات كالتالى :

١ ـ من سيرة المتقدمين الاستيقاظ فى السَحر ، ودخول المسجد قبل طلوع الفجر ، والقعود فيه بانتظار صلاة الصبح .

٢ ـ صلاة الصبح فى جماعة .

٣ ـ أن يقول بعد صلاة سُنَّة الصبح : « اللّهم ربُّ جبريل وإسرافيل وميكائيل ومحمد النبى ﷺ أعوذ بك من النار » (ثلاث مرات) .

٤ ـ وإذا انتهى إلى الصف قال : « اللّهم آتنى أفضل ما تُؤتِى عبادك الصالحين » .

٥ ـ أن يذكر اللّه إلى ما بعد طلوع الشمس .

٦ ـ صلاة الضُحى : « ولا يحافظ على صلاة الضُحى إلا أوَّاب » . ويُستحب أن يقرأ : والشمس وضحاها ، والضحى ، والليل ، وآخر سورة البقرة ، وآخر سورة الحشر .

٧ ـ إذا دخل المسجد يُصلِّى ركعتين ـ فى غير أوقات الكراهية ـ ينوى بهما تحية رب المسجد .

٨ ـ ورد الرابطة .

٩ ـ الوظيفة الكبرى ، أو الصغرى ، أو ورد الدعاء . وهذه الثلاثة إن استطاع أن يفعلها فى أى وقت أجزأه والأجود أن يخصص لها وقتاً بعينه .

١٠ ـ الورد القرآنى .

١١ ـ مطالعة فى كتاب نافع يُحدّد له وقتاً خاصاً ، ويجتهد فى ذلك مع عدم التورط فى كتاب غيره ما لم يتم الكتاب الأول إلا فى الكتب الأمهات فلا بأس . اقرأ وتدبر ولخص على الهوامش واسأل عن الغامض ولا يمنعك الحياء أو الكِبْر ـ والعياذ بالله ـ عن السؤال ، ثم أعد الكتاب إلى صاحبه إن كان إعارة أو أودعه مكانه من المكتبة بعد تجليده وحفظه . حاول أن تقرأ ثلاثاً الكتب الرئيسية ، وإلا فقراءة الصحف لا تنمى العقول ولا تصقل الأفهام . لخص الكتب وتدرب على إلقائها لتحظى بالجرأة على الكلام وتحمل المسئوليات .

١٢ ـ احرص على الوتر قبل النوم تطبيقاً لوصية الرسول ﷺ ، وإن كنتَ تثق من نفسك أوتر فى الثُلث الأخير من اللَّيل فإنه أعظم للأجر .

١٣ ـ أكثر من الذكر والدعاء والتضرع إلى الله ـ فى كل أحوالك ـ بقلب خاشع وحضور تام فإن الدعاء مخ العبادة .

١٤ ـ تهجد من اللَّيل حتى تصفو روحك وتعلو همتك : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [١] .

١٥ ـ حاسِب نفسك قبل النوم فإن وجدتَ خيراً فاحمد الله ، وإن وجدتَ تقصيراً فاستغفره وتُب إليه .

١٦ ـ ليكن لك نشاط رياضى يومى ليقوى البدن ولينتفى الكسل ولو بالسير على الأقدام .

ثانياً ـ مظاهر النشاط الأسبوعى :

١ ـ الدرس : ليلة من كل أسبوع لتتذاكر مع إخوانك لترتبط القلوب وتتغذى الأرواح بغذاء واحد ، ولتستقى من معين واحد .

٢ ـ ليلة الكتيبة : حيث صفاء الأرواح فى سكون اللَّيل ، وحيث النغمات القُدسية فى السَحر ، وحيث فيوضات الرحمن ، وحيث التحرر من عادات الراحة

---

(١) المزمل : ٥

والترف ، والاستعداد لتحمل المشقة ومقاومة النفس فى سبيل الله وعلى الإخوة المؤمنين أن يعتنوا بهذه الرياضة الروحية كل الاعتناء .

٣ ـ الفجر فى جماعة : أن تُصلى الفجر مع إخوانك كل أسبوع مرة على الأقل فى المسجد .

٤ ـ يوم الرحلات أو الرياضة : فالجندية وتقوية الأبدان مركز اهتمام الإسلام فى الفرد ، فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كلٍّ خير .

٥ ـ يوم الجمعة : الاغتسال فيه والتحرى عن ساعة الاستجابة فى أوقاته ، وقراءة سورة مستحبة فى يومه وليلته ، والإكثار من الصلاة والتسليم على سيدنا رسول الله ﷺ فى ليلته الزهراء ويومه الأغر .

ثالثاً ـ مظاهر النشاط الشهرى :

١ ـ يوم النصيحة : ويتم فيه القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالتى هى أحسن بشكل مُنَظَّم ، فيتعرف على مواطن الضعف فى الأفراد المجاورين وغيرهم ، فيزورهم ويبذل لهم النصيحة فى رفق وهوادة ، وينهاهم عن المنكر ، ويُزَيِّن لهم الخير والفَلاح ويستحسن أن تكون النصيحة سرية فردية ـ ما أمكن ـ لنجاحها وضمان التأثر بها .

ومن شروط النصيحة :

(أ) أن يطلب الناصح وجه الله تبارك وتعالى فى إسداء النصيحة .

(ب) أن لا يرى فى نفسه على أخيه فضلاً ، وكل بنى آدم خطَّاء .

(جـ) إن كان هو المنصوح فليقبل نصيحة أخيه بصدر رحب وليشكره على نُصحه ، لأن المؤمن مرآة أخيه .

(د) أن يتخيَّرُ الحالة النفسية الملائمة للعظة ـ من غضب أو سرور ـ .

(هـ) الاحتراز من النصيحة أمام جماعة .

٢ - يوم الآخرة : يصقل فيه الإخوان قلوبهم ونفوسهم ، يخرجون بها من عالم الضوضاء والهرج إلى عالم الطمأنينة ، ويزورون مدينة الآخرة ، يخرجون إلى المقابر ويحاسبون أنفسهم على ما قدّمت أيديهم ، ويستغفرون ربهم ، وكفى بالموت واعظاً .

٣ - يوم العيادة : عيادة المرضى من المسلمين ، وإدخال السرور على قلوبهم لتوطيد دعائم الألفة .

٤ - يوم التعرف والزيارة فى الله : يزور بعض إخوانه المسلمين ، أو يُقيم لهم حفلاً متواضعاً - بدون كلفة - للتعارف على بعضهم ، وذلك كرباط يزيد أواصر الأخوة بينهم .

٥ - يوم الإصلاح : البحث عن بعض المتخاصمين لحل مشاكلهم وإصلاح ذات بينهم على أسس إسلامية .

٦ - يوم الصدقة : يُساهم الأخ بجزء من ماله لربه ولذى القُربى والفقراء والمحتاجين ، ويُدرِّب نفسه على السخاء . ينتظم بهذا : سهم الدعوة ، سهم رمضان ، سهم العيد .

٧ - يوم الريف : توجيه الاهتمام البالغ لنشر الدعوة فى الريف ، وتعريف أهل القرى على دينهم ومحاسن شريعتهم - على طريقة العلماء - ، وبهذا يتدرب الأخ على :

(أ) الدعوة . (ب) الخطابة .

(جـ) يطبق الإسلام عملياً على نفسه .

(د) يتحلى بالآداب النبوية الكريمة .

(هـ) يتجرد إلى الله من تكاليف المادة .

٨ - الصيام : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وأن يُفطر مع إخوانه فى بعضها .

٩ - صلاة التسبيح فى الشهر مرة ، أو فى السنة مرة ، أو فى العمر مرة .

رابعاً ـ مظاهر النشاط فى السنة :

١ ـ أن تحتفل بأيام الإسلام الفاصلة بين الحق والباطل ، وتذكر أهلك وإخوانك والناس حولك بها .

٢ ـ أن تجتهد لتعتكف فى العُشر الأخير من رمضان .

٣ ـ أن تُؤدى زكاة أموالك .

٤ ـ أن تُنظّم لنفسك مخططاً إيجابياً لتطبيقه على نفسك وعلى أهلك وعلى أحبابك : لبدنك ، لعقلك ، لجيبك ، لغيرك ، لدعوتك ، وأولاً وأخيراً وفى كل حال : لربك .

٥ ـ أن تخرج فى إجازتك السنوية مع إخوانك لأداء واجب الدعوة والتدرب على الخشونة والرجولة .

خامساً ـ مظاهر النشاط فى العمر :

١ ـ أن تُكَوِّن بيتاً مسلماً تُطبَّق فيه تعاليم الإسلام عملياً ، وأن تربطه مع بيوت إخوانك لتكوين المجتمع المسلم .

٢ ـ أن تتأهب وتُعِد العُدَّة لأداء فريضة الحج .

٣ ـ أن تكون دوماً على ثغرة من ثغر الإسلام ، فاحذر أن يُؤتى الإسلام من قِبَلِك : ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾ [1] . واحرص على أن تشارك فى الجهاد بكل أنواعه .

* * *

---

(١) الفرقان : ٥٢

الفصل الثالث

صور التكوين وصور العمل العام
فى دعوة الإخوان المسلمين

فى قضية التكوين ليس المهم الشكل بل المضمون . ومن ثمَّ فإن للتكوين الكامل صوراً كثيرة . فمن صوره أن يُدمَج التكوين المُوَجّه بالتكوين العام ، ويتم ذلك على مراحل . ومن صوره أن يتم التكوين كله على مرحلة واحدة ، كأن يكون إنسان ما مثلاً عنده استعداد لرتبة أخ نائب ، فيطوى المراحل كلها دفعة واحدة . ومن صوره أن يتم التكوين العام ضمن حلقات عامة ، والتكوين المُوَجّه ضمن أسرة . ومن صوره أن يتم التكوين بقسميه داخل أسرة . ومن صوره أن يتم التكوين بشكل فردى ، كأن تفرز القيادة إنساناً ليكون إنساناً بمفرده . ومن صوره أن يتم التكوين كله من خلال المراسلة . ومن صوره أن يستوعب العضو كل مناهج المرحلة مطالعة شخصية . ومن صوره أن يكون الاستيعاب من خلال مدارسة ومطالعة .

ثم الناس أقسام وأصناف : فما يُطالَب به المثقف لا يُطالَب به العامى ، فالثانى نختصر له المعانى اختصاراً وتُلقى عليه إلقاءً . وما تُطالَب به المرأة يختلف فى الدرجة عما يُطالَب به الرجل ، لأن التكليف أحياناً يختلف ، وطبيعة العمل فى الغالب مختلفة ، ثم إننا فى الأوضاع العادية نحاول أن نُجَنِّب المرأة مزالق الخطر ما استطعنا ، فإذا كان النَفير فالكل فى خدمة المعركة .

والسير مع طالب إعدادى يختلف عن السير مع طالب جامعى ، هذا له بداية وهذا له بداية . ولكن لا بد أن يتم التكوين على ضوء خريطتى التكوين المُوَجّه

والعام ، وحكمة القيادة وحكمة المربّى هى التى تحدد طريقة البدء ، ومستوى الإعطاء ونوع الأداء .

وأحياناً قد تجد القيادة أن أيسر طريق هو الأسرة : كأن تبدأ مجموعة السير ومستواها واحد ، وخطواتها واحدة ، واستعدادها واحد ، واستقرارها موجود . ولكنها قد تجد ذلك مستحيلاً فى صورة ، ومتعذراً فى صورة أخرى ، وصعباً فى صورة ثالثة .

فمثلاً نفرض أننا لم نستطع أن نجد وقتاً مشتركاً لمجموعة ما ، فماذا نفعل ؟ ولنفرض أن مجموعة من الناس كل فرد منها ينقصه ما لا ينقص الآخر ، فماذا نفعل ؟ وقد نجد أنفسنا أمام هذه الصورة :

بعد فترة محنة يريد الصف أن يجمع نفسه ، وخلال المحنة كمل بعضهم فى جوانب ، وكمل الآخرون فى جوانب أخرى .

أو أمام هذه الصورة :

مجموعة من الملتزمين من جهات شتّى ، كل منهم عنده ما ليس عند الآخرين .

أو أمام هذه الصورة :

إنسان مختص فى قضية كالمختصين فى الشريعة ، فهؤلاء هل تضعهم مع آخرين مبتدئين فى دراسات شرعية ؟

فى مثل هذه الصورة ليس أمام القيادة بديل عن التكوين الفردى يتصل بكل إنسان على حدة ، وعلى ضوء خريطتى التكوين وشروط العضوية تُستكشف نواقصه ، ويُبحث عن الطريقة لتحقيقه بالكمالات ، وفى عملية استقصاء قد تجد من بين جميع الأفراد مجموعة تنقصها قضية مشتركة ، فعندئذ يمكن أن تهيء لهؤلاء دورة مشتركة على هذه القضية .

المهم أن يبقى الأخ دائماً فى ارتقاء وعلى كمال ، والمهم أن يكون المشرفون على التكوين حكماء متقنين سر التكوين . فهذه أهم المهمات وهى محور كل

شيء في العمل الإسلامي ، وبها يتحدَّدُ مصدر الإنسان في الدنيا والآخرة ، وبالنجاح بها تنال الجماعة ربح الدنيا والآخرة ـ بإذن الله ـ ، وعلينا أن نضع في حسابنا : أن أكفأ المربين ينبغي أن يكونوا للمبتدئين ، وأن الفرز إلى أجهزة الجماعة لا ينبغي أن يتم إلا عن طريق جهاز التكوين ، وأنه لا تنفيذ إلا على أرضية من التعريف والتكوين . ولهذا البحث مكانه الآخر .

* * *

إن أول مظهر من مظاهر التجديد الإسلامي في حركة الإخوان المسلمين هو التكوين الشامل .

فإذا فشل الواحد منا في حمل نفسه على هذا التكوين ، أو إذا فشلت الجماعة في ذلك ، فإنها كحركة تجديدية تكون قد فقدت حجتها الأولى ، ونجاحها في التكوين تكون قد وضعت الأساس لكمال حجتها على الناس جميعاً فيما سوى ذلك : في الحركة والتنظيم والتخطيط والعمل والسير نحو الأهداف ، وكلها أمور مفروضة على المسلمين فطن لها الإخوان المسلمون ، وساروا في الطريق المؤدي إليها ، وبداية ذلك كله التكوين ، فإذا فشلنا في ذلك نكون قد صددنا عن طريق الله عملياً ، ونكن مقصِّرين في حق هذه الأمة إن لم نكن قُطَّاع طريق في هذه الحالة ، فلا نحسن سيرنا ، ونقطع الطريق على من كان يمكن أن يسير لولا وجودنا .

* * *

وإذا كانت هذه الفقرة حديثاً عن صور التكوين وصور العمل ، فليكن لنا حديث سريع عن صور العمل ، قبل أن نبدأ أحاديث مشتركة بين التكوين والعمل ، وليكون الكلام محكوماً بهذه المقدمة :

كما أنه ليس التكوين طريقة وحيدة ، فكذلك صور العمل كثيرة في الخدمة المعاصرة للإسلام ، فهناك العمل الفردي من خلال مهمة فردية يقوم بها أخ

بالاتفاق مع القيادة ، وهناك عمل من خلال أسرة عمل أو مجموعة عمل ، والعمل نفسه يمكن أن يكون فى تعريف ، أو فى تكوين ، أو فى تنفيذ ، أو فى هذا كله ، ويمكن أن يكون على ضوء برنامج يومى ، أو على ضوء برنامج شهرى ، ويمكن أن ترسمه القيادة أو أن يرسمه الأفراد أنفسهم على ضوء الخطوط العامة للعمل ، ويمكن أن يكون العمل فى إدارة شُعبة ، أو فى إدارة مركز ، أو فى إدارة جهاز ، أو ما هو فوق ذلك من أمور عملية إدارية ، ويمكن أن يكون فى متابعة موضوع ، أو فى رصد قضية ، أو فى مهمة خارجية .

المهم إذن أن يكون للإنسان عمل له مردوده فى خدمة الإسلام بالشكل الذى يصب فى تيار الحركة الإسلامية نحو تحقيق أهدافها .

وأهم شيء فى العمل : كسب عضو جديد إلى الصف الإسلامى وإلى صف الجماعة ، أو ارتقاء بعضو قديم .

وإذا ما اجتمع للأخ سير تكوينى راق وحركة يومية وإعداد لخدمة مستقبلية محددة ، فإنه يكون قد أحاط بلوازم السير إلى الله ، وساعد فى تحقيق الأهداف .

* * *

الفصل الرابع

الخطوط المتوازية الثلاثة

يقول الأستاذ البنا ـ رحمه الله ـ : « ولكن الحق أننى لم أكن متحمساً لنشر الدعوة على أنها طريق خاص لأسباب أهمها :

أننى لا أريد الدخول فى خصومة مع أبناء الطرق الأخرى ، وأننى لا أريد أن تكون محصورة فى نفر من المسلمين ، ولا فى ناحية من نواحى الإصلاح الإسلامى ، ولكنى حاولتُ جاهداً أن تكون دعوة عامة ، قوامها العلم والتربية والجهاد ، وهى أركان الدعوة الإسلامية الجامِعة ، ومَن أراد بعد ذلك تربية خاصة فهو وما يختار لنفسه » .

العلم ، والتربية ، والجهاد : هذه الثلاث هى أركان هذه الدعوة ، وإذا اختل واحد منها اختلت الجماعة كلها نتيجة لذلك .

فبدون علم بجوانب الثقافة الإسلامية وأصول تبقى الشخصية مُعرَّضة للزلل العلمى ، أو النظرى ، أو الفكرى .

وبدون تربية لا يتحقق المراد الأول لنا وهو إرادة وجه الله وطلبنا مرضاته ، كما لا تتحقق الثقة بالجماعة وأفرادها .

وبدون جهاد لا يتحقق هدف من أهدافها . وباجتماع هذه الثلاثة يكون التكامل على كل مستوى : مستوى الأفراد ، ومستوى الجماعة . وإنما كان النظام وكانت الأجهزة فى الجماعة من أجل التعاون على تحقيق هذه المعانى وجعلها قائمة ، وكل نظام وكل جهاز يعرقل تحقيق هذه المعانى أو لا يكون هدفه الأول واحداً منها ، أو ما يخدم واحداً منها ، يكون عبئاً على العمل الإسلامى فى مراحله الأولى ، وأهم وسائلنا لتحقيق هذه المعانى الثلاثة هى :

١ ـ نظام الحلقات لتحقيق خط العلم .

٢ ـ نظام أسر التكوين لتحقيق خط التربية .

٣ ـ نظام أسر العمل لتحقيق خط الجهاد .

١ ـ نظام الحلقات :

إن نظام الحلقات هو النظام الذى نحقق فيه الركن الأول من أركان دعوتنا وهو العلم ، ونحقق فيه مبدأ الجهر بالإسلام والإسلامية ، ونحقق فيه موضوع الدعوة العريضة المفتوحة إلى الله دون حذر أو خوف ، كما تُطلق فيه طاقات إخواننا فى طريق منتج كثير الفوائد قريباً ، ونعطى فيه لإخواننا الحظ الكامل من الثقافة الإسلامية المتوارثة ، كما أنه وسيلتنا لإيجاد رأى عام صالح ، وهو بنفس الوقت بمثابة الأبواب المفتوحة ليلج الناس إلى الدعوة وعضويتها ، ثم هو طريقنا لتقوية الرغبة فى الآخرة : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه ، أو عالم ومتعلم » .

ويُراعى فى نظام الحلقات التشويق والفائدة والأمن والاستمرار : ونقصد بالتشويق أن تكون المادة المُقدَّمة فى الحلقة محببة للأنفس مرغوبة فيها لتحرص هذه الأنفس عليها . ونقصد بالفائدة أن تكون مليئة بالخير علماً وذكراً خالصة من الشر . ونقصد بالأمن أن يكون ظاهرها كباطنها « علم وذكر مأثور » . ونقصد بالاستمرار ألا يُقال فيها ما يعطلها ، فالاستمرار بحد ذاته مهم . وكلمة واحدة قد تُنفِّر من الحلقة ، أو تجعل الناس يفرون منها . ونحن نريد من الحلقة أن تكون باباً مفتوحاً للخير من ناحية ، وللولوج منه إلى ما بعده من ناحية أخرى ، وقد لا يلج الإنسان ولا يضرنا ذلك . ونحن إذا لم نتقيد بهذه الأطر لا نستطيع أن نحقق هدفنا العريض ، وهو حلقة لكل قرية ، أو حى ، أو مسجد ، أو منطقة ، وبالتالى نكون قد فشلنا فى تحقيق قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً ، فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [1] . قال الإمام

---

(١) التوبة : ١٢٢

الغزالى : « وواجب أن يكون فى كل مسجد أو محلة من البلد فقيه يُعلِّم الناس دينهم ، وكذا فى كل قرية ، وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرَّغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاوِر بلده من أهل السواد ، ومن العرب والأكراد وغيرهم ، ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ، ويستصحب مع نفسه زاداً يأكله ، ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مغصوب » .

والحلقات منها العام ومنها الخاص ، وكما يمكن أن تكون الحلقة العامة فى المسجد فإنها يمكن أن تكون فى البيوت ، وكما يمكن أن تكون الحلقة الخاصة فى البيت يمكن أن تكون فى المسجد ، ونقصد بالحلقة العامة : التى يخاطب بها كل الناس خطاباً عاماً ، ويدعى لها كل الناس . ونقصد بالحلقة الخاصة : التى يعطى بها علم خاص ، أو مجموعة من العلوم بشكل مركز ، ولا ينتسب فى الأصل إلى الحلقة الخاصة إلا من رغب فى أخذ ثقافة إسلامية مركزه . وقد تصبح الحلقة العامة حلقة خاصة إذا أصبح جميع أفرادها ملتزمين بها سائرين على مناهجها ، ورتب أمر إعطاء الجديد ما فاته من قبل .

* * *

• الطريق العادى لإنشاء الحلقات العامة والخاصة :

إن الطريق الفطرى لإحياء الحلقات العامة والخاصة هو المسجد : أن يؤسس فى مسجد الحى ، أو فى مسجد المنطقة ، حلقة عامة تُقام فى الأسبوع مرة ، ويدعى لها ويركز عليها ، ويلتزم الإسلاميون فى المنطقة أو الحى كلهم بحضورها كواجب أسبوعى لا يتخلف . ويدعون لها دعوة حارة ، ويمكن أن تكون بعد المغرب ، ويمكن أن تكون بعد العشاء ، ويمكن أن يقيمها واحد ، ويمكن أن يشترك فى تقديم برامجها أكثر من واحد ، كُلٌّ يقدم فقرة من فقراتها ، ويمكن أن تُملأ بعلم واحد كالتفسير أو الحديث ، ويمكن أن تُقدِّم بها مجموعة علوم : فقرة تفسير ، فقرة حديث ، فقرة سيرة ، ويمكن أن تقتصر على العلم وحده ، ويمكن أن يكون فيها علم وذِكر مأثور وتلاوة قرآن ، وبعد أن تقوم الحلقة وتستمر يطرح القائمون عليها أو إنسان يكلفه القائمون عليها ـ طرحاً عاماً ـ فكرة أن هناك علوماً مفروضة فرض عين لا تُعطى فى الحلقة العامة كالتجويد

والفقه ، وإنما تُعطى فى حلقات قليلة العدد ، فمَن يرغب أن يعطينا ساعة فى الأسبوع أو أكثر لمثل هذا النوع من العمل ؟ . فمَن أعطى ذلك وُضِعَ فى حلقة خاصة يُديرها أحد الإخوة القادرين . ويمكن أن تُطرَح الفكرة بشكل آخر وذلك بأن يتحدث القائم على الحلقة عن ضرورة علم من العلوم كالتجويد ، ثم يُعلن عن إقامة حلقة تجويد فمن رغب فى أن يُسجِّل اسمه فليفعل ، فإذا ما سَجَّل بعض الناس أسماءهم سَيَّرَ بهم فى التجويد ، ثم أقنعوا أن يستمروا فى تحصيل العلوم المقررة للحلقات ضمن إطار المسجد ، وإذا التحق عضو جديد فى الحلقة الخاصة كُلِّف عضو قديم أن يتدارس معه ما فاته . ويمكن أن تُطرَح الفكرة بشكل آخر وهو الإعلان عن دَورة فى التجويد مدتها خمسة عشر يوماً تقتصر عليه ، ثم بعد فترة يكون الإعلان عن دَورة فى الفقه مدتها مثلاً أربعون يوماً ، ثم بعد فترة يكون الإعلان عن دَورة فى التوحيد مدتها كذا ، وكل من انتسب إلى دَورة من الدورات أقنع بوجوب أخذ الثقافة المركزة ضمن حلقة خاصة ، وكل ذلك يجرى فى إطار المسجد . وهكذا تقوم الحلقات العامة والخاصة وهذا هو طريق نشأتها الفطرى والعادى والطبيعى .

إن التربية والعلم والتعليم فى أجواء المسجد لا يعدل بها شىء آخر ، وخريجو المسجد غير خريجى غيره - فى التقوى والتطبيق والسلوك وغيره - . لهذا كله فإنه لا بد من إحياء رسالة المسجد بإحياء حلقات العلم والذكر المأثور فيه . إن منطلق العمل الكبير ينبغى أن يكون هو المسجد ، ذلك منطلق الإسلام خلال العصور ، وهو نفسه كان إحدى بدايات حركة الأستاذ البنا رحمه الله .

لقد حِيلَ بين الإسلام وأهله بآلاف الطرق والوسائل ! فما لم نُحيى رسالة المسجد وما لم ينزل الدعاة إلى الله إلى المسجد ، فإنهم لا يستطيعون الوصول إلى الناس . ثم إن التربية الإسلامية بمعزل عن المسجد تُكَوِّن فى كثير من الأحيان فلاسفة مترفين ، ولكن التربية المسجدية تعطى تياراً إيمانياً متدفقاً ، نامياً ، منظماً ، : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان » . إن حلقات المساجد خلال التاريخ هى التى أوصلت لنا الإسلام وحفظته علينا ، حتى وصل إلينا غضاً طرياً . لقد درج علماء المسلمين وألفوا وتوارثوا أن يقيموا

حلقات العلم والذكر في المساجد ، ولهم في ذلك طرق : فمنهم من كان له درس يومي بعد المغرب باستثناء ليلة الجمعة أو ليلة الأربعاء ، يقرأ في هذه الأيام إما علماً واحداً ، أو يخصص لكل يوم أو يومين علماً من تفسير أو فقه أو حديث أو سيرة ، ومنهم من له مجلس وعظ أسبوعي عام ، وحلقات صغيرة في العلوم المختلفة .

وحزب الله لا بد أن يُحيي هذا كله في البلد الواحد والقرية والحي والمنطقة ، ويجب دائماً أن يكون للقرآن الحظ الأوفر في نشاطاتنا العلمية . قال تعالى : ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [1]. وبمناسبة الكلام عن الحلقات المسجدية نذكر رسالة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى أبي بكر بن حزم : « انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه ، فإني خفتُ ذهاب العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ ليفشوا العلم ، وليجلسوا - أي العلماء - حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً » .

إن ارتباط الإخوان في الحلقات العامة والخاصة ودعوتهم لذلك أمر ضروري لا بد منه ، لأن إنشاء الحلقات العامة والخاصة في المسجد هو الأصل . كان أبو الدرداء يُعلّم القرآن في كل يوم بجامع دمشق من طلوع الشمس إلى الظهر ، ويُقسّم المتعلمون عشرة عشرة ، ويُعيّن لكل عشرة نقيباً يُعلمهم القرآن ، وهو يُشرف على الجميع يراجعونه إذا غلطوا . وكان أبو موسى الأشعري يطوف في مسجد البصرة ، فيُقعدهم حلقاً حلقاً يقرؤهم القرآن ، وكما أن الحلقة العامة والخاصة في المسجد سُنّة متوارثة فإن الحلقات العامة والخاصة في البيوت متوارثة كذلك ، وكثير من الناس قد لا تستطيع الوصول إليهم إلا بواسطة الحلقات البيتية ، وكل ما يُقال في الحلقات العامة والخاصة المسجدية يمكن أن يُقال في الحلقات البيتية ، ولعل تأسيس الحلقات الخاصة في البيوت من الابتداء أسهل تناولاً ، ولذلك لا بد أن نعطي لهذا الموضوع قريباً من الأهمية التي أعطيناها للموضوع الآخر .

---

(1) آل عمران : ٧٩

إن الأخ يستطيع أن يُقيم حلقة بيتية خاصة لأهل بيته ، أو لأسرته ، أو لجيرانه ، أو لأهل حرفته ، أو لمجموعة من الأصدقاء . فالدعوة إلى الحلقات العلمية تلقى آذاناً صاغية ، إذ كثير من المسلمين لا يبخلون بساعة في الأسبوع يقضونها خالصة لله إذا أحسن الداعية الدعوة ، إنك عندما تقول لمسلم : يا أخى : إن رسول الله ﷺ يقول : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذِكر الله وما والاه ، أو عالِم متعلم » . فيا أخى بمقدار ما تعطى للعلم والذِكر تعطى للآخرة ، فما رأيك بساعة فى الأسبوع نقضيها فى العلم والذِكر ؟

إن مثل هذه الدعوة فى الغالب تلقى آذاناً صاغية ، وتبدأ مهمتك بعد ذلك بأن تُقدّم له الأهم فالأهم حتى تعطيه الجميع ، تبدأ بالقرآن والسيرة ، ثم بالعقائد والفقه والأخلاق ... وهكذا .

وإذا كان هناك حلقة عامة أسبوعية فى منطقتك فحببه فيها ، وعلقه بها ، وكرر دعوته إليها .

لا بد إذن من الحلقة العامة والخاصة فى المسجد أو فى البيت أو فيهما ، ولا بد أن يُلاحَظ فى موضوع الحلقات ما ذكرناه سابقاً من الاستمرار والأمن ، وهذا يقتضى أن تكون الحلقات الخاصة والعامة ظاهرها كباطنها . من ذِكر مأثور وعلم .

وبكل أسف نقول : إن غيرنا هو الذى يفعل هذا كله ، فينفصل التكوين العام عن التكوين الخاص ، فلا الآخرون يعطون نوعى التكوين ، ولا نحن نفعل ذلك ، وعلينا أن نفعل ذلك .

ولنعد إلى موضوعنا :

مما ينبغى أن نتذكره دائماً أن اعتماد مبدأ الدورات العلمية السريعة مهم جداً فى الدعوة إلى الله ، ثم هو مهم جداً من أجل تعميم فروض العين فى العلم على كل مسلم ، ثم هو مهم جداً فى الإنضاج العلمى .

إن بعض الناس عندهم استعداد للمشاركة فى دورة قصيرة ، يُحَصّلون فيها علماً سريعاً وكثيراً ، والدعوة إلى دورة قصيرة وسريعة يُحَصّل بها الإنسان علماً من العلوم - خلال فترة محدودة - تُلاقى رواجاً ، وعلى هذا فينبغى أن يُلاحِظ المشرفون على نظام الحلقات فى المنطقة أو فى الحى أو فى القرية مسألة تنظيم دورات علمية خلال فترات من السنة : الصيف بالنسبة للطلاّب ، الشتاء بالنسبة لأنواع من العمال . إن الدورة تُؤمّن علماً غزيراً ، ومحيطاً طيباً ، وبيئة صالحة ، وأداة احتكاك يترعرع فيها المؤمن وينمو ، ويتم الإحسان إذا استطعنا أن نقنع كل من انتسب إلى دَورة أن يتابع السير العلمى فى حلقة خاصة إذا لم يكن منتسباً لها من قبل . ويمكن أن تكون سبياً ، ويمكن أن تكون يوماً ، وهذا أجودها ويمكن أن تكون سبعة ، ويمكن أن تكون ثلاثة ، على حسب الحال وحسب الاستعداد ، وحسب الوقت ، وحسب المشتركين ، وحسب العلم . ويمكن أن تخصص لأكثر من علم ، ويمكن أن تكون دَورة على العلوم المفروضة ، ويمكن أن تكون دَورة صيفية لحفظ القرآن للطلبة .

فى بلد - ما - دعا العلماء الناس إلى دورة مقدارها ستين يوماً لتعلم فروض العين ، على أن يُعطوا كل يوم ساعتين بعد صلاة المغرب ، وكان برنامج الدَورة : دراسة الأربعين النووية - دراسة العقائد - دراسة التجويد وإتقان التلاوة - دراسة فقه العبادات .

وما أجود لو أن جمعيات العلماء شكلت فرقاً تعليمية من أهل العلم ، ليطوفوا بالمساجد مسجداً مسجداً ، ويطلبوا من أهل كل مسجد أن يعطوهم بعض الأوقات خلال أسبوع واحد ، يُقيمون خلاله دَورة علمية على جانب من الجوانب العلمية ، ثم ينتقلون منه إلى مسجد آخر ، ثم بعد فترة يعودون إلى المسجد الأول ليُقيموا دَورة جديدة على علم آخر لمن شارك فى الدَورة الأولى ، وعلى العلم نفسه للجديد ، وهكذا ... وخلال ذلك يكون تعارف وتفرس وعقد صداقات ، واختيار وتركيز على ناس بأعينهم .. وكما يكون هذا فى إطار البلدة يكون فى إطار القرية ، وتنظيم الدعوة فى القُرى شىء ضرورى ، وحبذا لو كُلّفت حلقة كل حى بالعمل فى مجموعة قُرى .

والذين عندهم استعداد خاص ينبغى أن تُقام لهم دَورات مركزة على كل جانب من جوانب الثقافة الإسلامية ، كما يجب أن تُطلق طاقات المسلمين نحو التحصيل الشخصى والعطاء ، وكما ذكرنا فأجود الدَورات ما كان مدتها أربعين يوماً ، نأخذ ذلك من قول عمر رضى الله عنه لرجل رابطَ ثلاثين يوماً : « هلاَّ أتممتَ أربعين » . ولعل عمر أخذها من قوله تعالى : ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [1] . والتعلم جهاد وعبادة . وعندما يكون لنا مسجد رئيسى فى البلد يكون بمثابة القلب الذى يُوزِّع الدم لهذا كله ، بحيث يصبح هذا المسجد عَلَماً على العلم والتعليم ، وفيه اختصاصيون فى كل جانب من جوانب الثقافة الإسلامية وينطلق الدعاة من هذا المسجد لنشر العِلم والذِكر المأثور ، عندما نحقق ذلك نكون قد خطونا كثيراً على الطريق الطويل .

وقبل أن نختم هذا الموضوع نحب أن نشير إلى قضية هى : أنَ بعض الإخوان عندهم تصور مغلوط يصل إلى حد المرض أحياناً ، هذا التصور هو أن حلقات المساجد لغيرهم والدَورات العلمية لغيرهم ، ولذلك نجدهم لا يحضرون حلقات العلم إلا لماماً ، ويعيشون بمنأى عن جو تربية المساجد ، هذا التصور يجب أن يُبذل أقصى جهد لتغييره ، إن على الإخوان أن يدعوا إلى الحلقات ، وعليهم أن يحضروها ، وعليهم أن يراقبوا روّادها وان يتعرفوا عليهم ، وإن كثيراً من مناهجنا نستطيع أن نأخذها فى الحلقات العامة والخاصة ، ولذلك يجب أن يشعر الأخ بارتباطه العُضوى بنظام الحلقات ، كما علينا أن ندرك أهمية حلقات العِلم والذِكر فى التربية الإسلامية العامة ، وفى موضوع بقاء الإسلام واستمراريته ، وإننى لأنظر الآن بأسى إذ أجد أن هذه الثغرة ـ كما ذكرتُ من قبل ـ يملؤها غيرنا ، بل قد أهملناها إهمالاً تاماً ، ولو أننا أردنا أن نُقيمها الآن فربما اقتضى منا التهيئة لذلك سنين طويلة ، فضلاً عن الزمن الذى يحتاجه العمل بل النجاح .

---

(١) الأعراف : ١٤٢

إنه فى دائرة الحلقات العامة والخاصة نحقق مرحلة التعريف ، التى هى إحدى مراحل دعوتنا الثلاث : التعريف ، والتكوين ، والتنفيذ .

إن مرحلة التعريف على المستوى الفردى وعلى المستوى العام يحققها نظام الحلقات - أى أن التكوين العام فى دعوة الإخوان المسلمين يحققه نظام الحلقات - ، لذلك كان فى دعوة الأستاذ البنا : يوم الدرس ، ويوم حضور الحلقات القرآنية الدائرة .

ويسير منهج مبرمج على ضوء نظرية شاملة فى الدراسة نحقق من خلال الحلقات العامة والخاصة ركن العلم فى دعوة الإخوان المسلمين ، وهو الخط الأول من الخطوط المتوازية الثلاثة .

ولنعد إلى ما ذكرناه فى الابتداء من استحساننا أن تكون مراتب العضوية المناسبة للمرحلة الخاصة أربعة : النائب ، والنقيب ، والعامل ، والنصير .

هناك ذكرنا أن هناك تكويناً عاماً ، وذكرنا أن له ثلاثة مراحل ، وتكويناً خاصاً وله أربع مراحل ، وههنانقول : إن التكوين العام إنما يكون فى الوضع العادى من خلال نظام الحلقات العامة والخاصة .

وبشكل عام فإن منهج الحلقات ينقسم إلى ثلاث مراحل : مرحلة ابتدائية ، ومرحلة وُسطى ، ومرحلة عُليا . أما المرحلة الابتدائية فهى تكمل منهاج الأخ النصير والمنفذ بآن واحد ، والمرحلة الوُسطى هى جزء من منهاج الأخ النقيب ، والمرحلة العُليا هى جزء من منهاج الأخ النائب ، فلنر بشكل عام ما يلزم لهذه المراحل فى أجواء الحلقات ، ثم ما يلزم لتكميلها فى أجواء الأسرة .

- منهاج المرحلة الابتدائية فى الحلقات :

وهو المنهاج العام من مرحلتى عضوية النصير والمنفذ ، وهى بمثابة مرحلة تأهيلية للعضوية ، هذه المرحلة ينبغى أن يدرس الإنسان فيها : فقه العبادات على مذهب من المذاهب ، وأن يدرس فيها رسالة فى أصول العقائد قديمة أو حديثة ، وأن يدرس فيها علم التجويد ، وأن يتقن تلاوة القرآن ، ويحفظ من

القرآن بعض السور التى ورد فيها ندب خاص كالكهف وسورة ياسين وسورة الواقعة وتبارك الملك مع قصار السور ، وأن يدرس فيها بعض متون السُنّة النبوية كالأربعين النووية ورسالة المأثورات مع حفظ بعض النصوص ، وأن يقرأ فيها كتاباً فى السيرة النبوية : كنور اليقين أو تهذيب سيرة ابن هشام ، وأن يقرأ فيها بعض الكتب المُعرِّفة على الإسلام والذابة عنه مثل : « تعريف عام بدين الإسلام » للطنطاوى ، « مبادىء الإسلام » للمودودى ، « شبهات حول الإسلام » لمحمد قطب ، وأن يقرأ كتاباً مختصراً فى أصول تهذيب النفس ك « رسالة المسترشدين » تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبى غدة ، وأن يقرأ كتاباً عاماً فى فقه الدعوة كرسالتنا « من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك » تكون بمثابة تمهيد للنقل إلى الأسر . هذه المرحلة الابتدائية هى التى تكفى مع المنهج الخاص للأسر لمرحلة العضوية للأخ النصير ، فإذا أخذه الإنسان فى الحلقات لم يعد بحاجة إلى أن يأخذه فى أسرة ، وإلا فالمفروض أن يأخذ فى أسرة مع المنهاج الخاص للأسر .

ـ منهاج المرحلة المتوسطة فى الحلقات :

وهو المنهاج العام لمرحلة عضوية الأخ النقيب ، هذه المرحلة ينبغى أن يأخذ الأخ النقيب فيها حظاً من كل باب من أبواب العلوم والثقافة الإسلامية : فيدرس كتاباً كاملاً فى الفقه على مذهب إمام ككتاب « اللُّباب » فى فقه الحنفية ، وكتاباً كاملاً فى عقائد أهل السُنّة والجماعة كـ « شرح جوهرة التوحيد » ، وكتاباً كاملاً فى التصوف المحرر ككتابنا « تربيتنا الروحية » ، وكتاباً كاملاً فى أصول الفقه ككتاب عبد الوهاب خلاّف ، أو كتاب الدكتور أديب الصالح ، وكتاباً حول محل هذه العلوم الأربعة ككتابنا « جولات فى الفقهين الكبير والأكبر » ، وكتاباً فى الأصول الثلاثة كسلسلتنا : « الله » ـ « الرسول » ـ « الإسلام » ، وكتاباً حول علوم القرآن ، وكتاباً حول علوم السُنّة ، وعليه أن يحفظ من القرآن لا أقل من سورة البقرة مع تفسير ذلك ، وأن يقرأ من متون السُنّة لا أقل من كتابى « الأذكار » ، و « رياض الصالحين » ، وأن يقرأ كتاباً

في النحو كـ « قطر الندى » ، وكتاباً في علوم البلاغة ككتاب « البلاغة الواضحة » ، وكتاباً في السيرة وحياة الصحابة والتاريخ الإسلامي ، وينبغي أن تكون له قراءاته في الكتب الإسلامية الحديثة ، والكتب التي تشرح التآمر على الإسلام ، وفي كتب فقه الدعوة . هذه المعاني إذا أخذها المرشح لعضوية الأخ النقيب في نظام الحلقات أو درسها لنفسه اكتفى في أجواء الأسرة أن يحصل برنامجها الخاص ، وإلا فينبغي أن يطالب بها وأن يأخذها . ولعله لوحظ مما ذكرناه من قبل أن هناك من الدراسات الخاصة ما يمكن أخذه بالدراسات العامة والعكس صحيح.

ـ منهاج المرحلة العُليا :

وهو المنهاج العام من مرحلة عضوية الأخ النائب ، والمفروض فيه أن يحصل النائب في كل جانب من أبواب العلوم الإسلامية على أعلى قدر مستطاع له زيادة على الدراسات المقررة له ، والمفروض أنه لم يعد في هذه المرحلة بحاجة إلى أسرة ، والمفروض أن يختص بأحد العلوم الإسلامية .

وعلينا أن نلاحظ أن السير العلمي في الحلقات غير مرتبط بالانتساب إلى الأسر ، بل يمكن أن يصل إنسان إلى المرحلة العُليا دون أن يُعطى صفة عضوية ما أو يسير في أسرة أصلاً ، لأنه قد يصل الإنسان إلى أعلى قمم الثقافة الإسلامية دون أن يكون صالحاً للعمل الجماعي والتكوين الخاص ، وبالتالي فليس هناك تلازم بين السير العام والسير الخاص .

* * *

٢ ـ أسر التكوين لتحقيق خط التربية :

نظام الحلقات مهمته تقوية الربط العام في الإسلام ، أما نظام الأسر فمهمته الربط الخاص في الإسلام وأهله وإطلاق الطاقات . ومن ثمّ فإنه يدخل في نظام الأسر نوعان من الأسر : أسر التكوين التي مهمتها التربية على العضوية داخل الجماعة ، وأسر العمل التي مهمتها إطلاق طاقة المسلم في العمل اليومي المتواصل لتحقيق الإسلام كلياً أو جزئياً .

فأسر التكوين إذن مهمتها التربية على العضوية على اختلاف درجاتها مكملة كل نقص فى التربية العامة . إن الحركة الإسلامية مهمتها أن تنقل الناس من الكفر إلى الإسلام ، وأن تنقل المسلمين من السيوبة إلى الالتزام ، وبداية الالتزام التعاطف والمودة والنّصرة ، وأوسطه المشاركة فى العمل ، ثم الأرقى من ذلك أن يكون الإنسان نقيباً فى العمل ، والأرقى من هذا كله أن يكون وارث نبوة كاملاً ، فليكن فيما يأتى كلاماً عن رحلة التكوين حتى نهاية مرحلة الأخ النقيب .

إن الإنسان لا بد له من مرب ، والعضو الذى يريد السير فى الجماعة لا بد أن يربيه واحد منها قد تخرّج قبله ، إذ بدون تربية ومرب لا تصلح الأمور ، بل قد يصل إلى عضوية - ما - من لا يصلح لها وليست عنده أهليتها ، ومن لم يتخلق بأخلاقها ، أما الوسائل فكثيرة منها : المدارسة والمذاكرة والتعاون والملاحظة والتدريب ، وفى كل حال لا بد من الإشراف ولا بد من المربى ، والوضع الأمثل أن يتولى التربية أخ وارث ، فإن لم يكن فنقيب ، ويمكن أن يربى العضو النصير عضو مُنَفّذ ، وأن يربى لمرشح لعضوية النقيب عضو وارث ، وفى اصطلاح الأستاذ البنا « عضو نائب » . فالعضو النائب يستطيع أن يربى النقيب والمُنَفّذ والنصير ، والمُنَفّذ يستطيع أن يربى النصير ، أما النصير فمجال عمله الدعوة والحلقات العلمية إذا كانت عنده أهلية ذلك .

وليكن كلامنا عن العضويات الثلاث : نصير ، فمُنَفّذ ، فنقيب ، والمفروض أن يكون لكل عضوية شروطها وواجباتها ، والعضو المربى عليه أن يضع نصب عينيه هذه الشروط وهذه الواجبات ويبدأ بالتربية معطياً المرشح لعضوية ما يناسبه مكلفاً إياه بما لا يشق عليه ، وناقلاً له من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام ، حتى يوصله إلى الكمال فى العضوية بأن ينصهر بها انصهاراً تاماً .

١ - العضوية الأولى - « النصير » :

ورحلة التكوين فيها هدفها الإيمان والولاء ، والتربية على هذا النوع من العضوية مهم جداً ، إذ هذه المرحلة هى مرحلة اختبار الثقة ، وعليها يتوقف

وهى وإن كانت أقل العضويات شروطاً وواجبات إلا أن ما بعدها ما بعدها ، يتوقف عليها ، لذلك ينبغى التدقيق فيها أكثر من غيرها ، لأن طريق الولوج إلى حزب الله منها ، ولا ينبغى أن يغيب عن أذهاننا أبداً أن محاولة الولوج إلى حزب الله من أعدائه جادة وقائمة ، فأجهزة المخابرات الداخلية والخارجية تحاول أن تتسلل ، وعناصر من أحزاب أخرى تحاول أن تتسلل ، وبداية التسلل العضوية الأولى ، لذلك ينبغى أن نكون حذرين ، وإلا فإن الجماعة ستُضرب من داخلها ، إن معرفة تاريخ حياة الإنسان الذى يريد أن يسير فى حزب الله ومعرفة صداقاته وارتباطاته مهمتان جداً ، لأن سهولة السير ومقدار الحذر يتوقفان على هذا ، فشتان بين إنسان إسلامى منذ نشأته وليس له ارتباط إلا بالمسلمين ، وإنسان كان عدواً للجماعات الإسلامية موالياً لخصومها ، الأول إن كان صادقاً لا يُحتاج معه إلى حذر كبير ، إلا من باب التأكد من صلاحيته ، أما الثانى فالشك فيه أساس حتى يثبت العكس ، الشك فى فكره ، وفى ولائه ، وفى تركيبه النفسى ، وإذن لا بد من النظر فى تاريخ الإنسان ، ولا بد من التأكد قبل دعوته إلى أسر التربية أنه قد تاب من ارتباطاته الأولى ، وخلع فكره الأول ، وتجرد لله وأصبح إسلامى الفكرة ، ونظر إلى الإسلاميين نظرة صالحة ، كلٌ على قدر قربه من الحق ، إنه لا يصلح أن يكون من حزب الله رجل لا يحب الشيوخ الصالحين والعلماء العاملين ، والأولياء والمجاهدين والعارفين والمدافعين عن دين الله ، والمرء مع من أحبّ .

إن الدعوة إلى الإسلام وحزبه - بشكل عام - هى أهم محاور العمل عندنا ، وهذه الدعوة بشكل عام تقتضى منا تفرساً وسؤالاً وتعرفاً ومناقشة وتصفية وعرضاً وتشويقاً وإدخالاً ، فالتعارف مع العناصر التى يُتوسم فيها الخير أساس للبدء ، والنقاش لا بد منه لمعرفة ما عندهم وتصفية الأفكار الغريبة ، والإقناع بالفكرة الصالحة هى المرحلة الرابعة ، ثم تأتى مرحلة العرض والإدخال ، وعملية التصفية تختلف من إنسان لإنسان ، فرجل عنده شك تُوضع تحت يده الكتب المناسبة لذلك ، ورجل عنده تصور خاطئ، تُوضع تحت تصرفه كتب تختلف عن الأولى ، ورجل متأثر بالفكر الشيوعى تُوضع تحت تصرفه كتب تختلف عن الكتب التى تُوضع تحت تصرف رجل مؤمن بالفكر الغربى .

إن قرار الدخول إلى الجماعة لا يُتخذ عادة فجأة ولا مقدمات ، وهذه الفترات السابقة على اتخاذ القرار تختلف باختلاف الأشخاص ، ورجل الدعوة ينبغي أن يكون حكيماً فى تصرفاته كلها ، فإذا اتضحت هذه الأمور فقد آن أن نتحدث بالتفصيل عن رحلة التكوين للعضو النصير .

يرى بعضهم : أن شروط إعطاء صفة النصير هي :

١ ـ دراسة المنهاج المقرر والالتزام بالجوانب العملية فيه .

٢ ـ إعطاؤه الولاء للجماعة ، وألا يكون له أى ارتباط بحزب أو جماعة أو هيئة أو جمعية إلا بإذن .

٣ ـ قيامه بفروض الإسلام واجتنابه نواهيه .

٤ ـ أن يتطوّع باشتراك مالى للجماعة يحدده ولو كان رمزياً .

٥ ـ حضوره اجتماعات الجماعة ودروسها ومحاضراتها إذا بُلّغ لذلك رسمياً إلا لعذر .

٦ ـ اشتراكه بنشرات الجماعة وكتبها وصحفها ومجلاتها .

٧ ـ الالتزام بورد يومى من الذكر المأثور والقرآن « الوظيفة الكبرى أو الصغرى أو ورد الدعاء » .

٨ ـ إعطاؤه الزكاة لصندوق زكاة الجماعة المحلى إلا إذا كان هناك أحق شرعاً وأعلمَ بذلك المسؤولين عن الصندوق .

٩ ـ أن يدعو للإسلام ويدافع عنه ويلتزم بمواقف الجماعة وآرائها فى القضايا العامة ولو فيما بينه وبين نفسه .

هذه هى شروط إعطاء صفة العضوية الأولى والدراسات المقرّرة هى :

١ ـ منهاج الحلقة مرحلة أولى .

٢ ـ الأصول الثلاثة : « الله ، الرسول ، الإسلام » .

٣ ـ من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك .

ب ـ دراسات حرة في الكتب المذكورة في بحث « من المكتبة الإخوانية » في أواخر هذا الكتاب .

والأفضل أن يأخذ العضو المرشح الفقرة الأولى في أجواء الحلقات العامة والخاصة ، وإلا فلا بد من تحصيلها في جو الأسرة أو بالجهد الخاص . وعلى هذا فإن الأخ المربي يجب أن يكون واضحاً لديه أثناء التربية على هذه العضوية ـ هدفها وشروطها ـ وعليه أن يراعي وضع المرشح للعضوية فيطالبه بتنفيذ شروط العضوية شرطاً شرطاً ، لا عن طريق الأمر بل عن طريق الإقناع . يقنعه أن يدفع الزكاة إلى الجماعة ، وأن ذلك أجود في خدمة الإسلام مبيناً له حجج ذلك ، ثم يذكر له بعد ذلك أن ذلك من شروط العضوية . يقنعه أن الاشتراك بمجلات الجماعة مفيد للاطلاع على كل ما هو جديد من أمور الإسلام والمسلمين ، ثم يبين له أن ذلك من شروط العضوية ... وهكذا . ويقنعه كل فترة بالتحقق بشرط من شروط العضوية ، وأول ما يبدأ به ـ مع الدراسة ـ الشرط السابع وهو الالتزام بورد يومي من الذكر المأثور والقرآن ، لأن الالتزام بالذكر يساعد على التحقق بكل الإسلام ، ومتى أكثر الإنسان من الذكر فتلك تباشير السير السليم ، ثم بعد ذلك هو مُخيَّرٌ بالبداءة في التركيز على شرط لاحق .

وعلى الأخ المربي أن يلاحظ أن بعض الأمور تحتاج إلى تكرار كثير كي ترسخ في النفس ، ولذلك نلاحظ أن المعنى القرآني الواحد مذكور في القرآن مرات وبأساليب متعددة وبطرق عرض مختلفة كل ذلك ليرسخ في الذهن ، فعلى المربي أن يكرر بعض الأمور حتى تصبح بديهيات في عقل الأخ ، إذ أن تكراره كلها يدل على أهميته ، فلا يكفي مثلاً أن يمر على بحث الذكر مرة ثم لا يعود إليه مرة أخرى ، إن هناك قضايا يمر عليها أثناء الدراسة الرسمية ، ويلفت النظر إليها ابتداء ، ويلفت النظر إليها إذا جاءت مناسبتها ، ويلفت النظر إليها عند غفلة أو حدث تقصير فيها . إن وجود المربي النموذجي في عملية التذكير هو الشيء الأهم ، وهذا يقتضي أن يتصبر في الأخ شروط أي عضوية بروح صبراً ، ولا يصح أن يغلبنا النظر إلى المظهر فننسى المخبر ، أو الصورة دون الحقيقة ، أو إلى العمل دون النية والإخلاص .

إن الإخلاص لله فى الحركات والسكنات والخطوات هو الذى ينبغى أن نشغل به سرائرنا ، ومحاسبة النفس على هذا الأساس هو الذى ينبغى أن نعتاده ، وما لم نحقق ذلك فى أنفسنا وفى إخواننا فيا حسرتا على أنفسنا وعلى إخواننا ، إننا إذا لم نُرِدْ الله فى كل عمل خير نعمله لا نكون قد فعلنا شيئاً ، ومن ثمَّ كان إصرارنا على البداءة بالذِكر وقراءة القرآن لأنه لا يحرق أمراض القلب ولا يحقق الإخلاص شىء مثل الذِكر ، فما من مرض من الأمراض إلا والغفلة عن الله سببه ، ولا شفاء من مرض إلا باستيقاظ القلب ، ولا يقظة للقلب إلا بالذِكر

وفى الحديث الصحيح : « مَثَلُ الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت » . والصلاة ذروة الذِكر فرائضها وسُنَنها المكتوبة والنافلة ، فلا بد من تعويد الأخ عليها : الفريضة والسُّنَّة ثم قراءة القرآن والذِكر المأثور . ورسالة المأثورات للأستاذ البنا فيها الكفاية فى هذا الموضوع ، فلا بد من دراستها ولا بد من تطبيقها ، وأرقى أورادنا فى الذِكر « الوظيفة الكبرى » ، فإن لم يكن فالوظيفة الصغرى ، فإن لم يكن فورد الدعاء المذكور فى رسالة المأثورات : وهو مائة مرة استغفار ، ومائة مرة صلاة على الرسول ﷺ ، ومائة مرة لا إله إلا الله ، و « قل هو الله أحد » ثلاث مرات . ولسهولة تطبيق هذا الورد ولأهميته فى التربية فإنه يمكن الابتداء به حتى يتم حفظ الوظيفة الكبرى أو الصغرى ، ومع الوظيفة الكبرى والصغرى تنبغى المداومة عليه . وهذه بعض النصوص الواردة فى الندب على مفرداته .

١ ـ روى مسلم وأبو داوود عن رسول الله ﷺ قال : « إنه ليُغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم مائة مرة » .

٢ ـ روى النسائى عن أنس عن رسول الله ﷺ قال : « مَن صلّى علىَّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشر صلوات وحُطّت عنه عشر خطيئات ورُفِعَت له عشر درجات » .

وروى الطبرانى فى الكبير : « أن رجلاً قال : يا رسول الله ؛ أجعل ثلث صلاتى عليك ؟ . قال : نعم . قال : الثلثين . قال : نعم . قال : فصلاتى كلها . قال : إذن يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك » .

قال الهيثمي عنه : لم أعرفه عن رسول الله ﷺ ـ قال : « مَن صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ومن صلى عليّ عشرة صلى الله عليه بها مائة ، ومن صلى عليّ مائة كتب الله بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار ، وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء » .

وروى الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد كل رواته ثقات ما عدا واحداً ـ

٣ ـ روى الشيخان ومالك والترمذي عن رسول الله ﷺ قال : « مَن قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكُتِبَت له مائة حسنة ، ومُحِيَت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » .

٤ ـ روى البخاري عن أبي سعيد الخدري : « أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ « قل هو الله أحد » يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له ـ وكأن الرجل يتقالُّها ـ فقال ﷺ : والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثُلث القرآن » .

ويُلاحَظ أن هذه الأذكار الأربعة وردت مُطْلقة ومقيَّدة . ففي الاستغفار مثلاً يقول عليه السلام : « من لازَمَ الاستغفار جعل الله له من كل هَمّ فرجاً ، ومن كل ضيقٍ مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » . والبقية الإطلاق فيها واضح من خلال ما نقلناه . وإذن فلا حرج لو كرَّر إنسان هذا الورد مرات ومرات في اليوم .. كان يُعَدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد : « رَبِّ اغفر لي وتُبْ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم » مائة مرة . وفي ورد الدعاء هذا جلاء القلب في الاستغفار والحفظ من الشيطان ، وتجديد الإيمان بلا إله إلا الله وفي الحديث الصحيح : « جَدِّدوا إيمانكم . قيل : وكيف نُجدِّد إيماننا يا رسول الله ؟ قال : « أكثروا من قول لا إله إلا الله » . وفيه كذلك الخروج من كل ظلمة سواء أكانت ظلمة شهوة أو شُبهة بالصلاة على رسول الله ﷺ لأن جزاء الصلاة على رسول الله ﷺ أن يُصلّي الله علينا ، وإذا صلى الله علينا أخرجنا من الظلمات إلى النور : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (١) .

---

(١) الأحزاب : ٤٣

ولا بد مع هذا أن يكون للإنسان صلة بكتاب الله : روى الشيخان والترمذي وأبو داوود عن ابن عمرو بن العاص قال : « قلتُ : يا رسول الله : في كَمْ أقرأ القرآن ؟ . قال : اختمه في شهر » . إننا طلاّب آخرة وما لم ننجح في جعل الإنسان طالب آخرة ، وما لم نُنقذ أنفسنا وإخواننا من جهنم ، فماذا فعلنا ؟ . إن مهمتنا أن نسير نحو الجنة ، وكل ما نعمله إنما هو من أجل الوصول إلى مرضاة الله ، فإذا نسينا ذلك لم نعد حزب الله ولا الجماعة الإسلامية ولا الإخوان المسلمين . ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

هناك أخلاق لا يمكن أن يرافقها عمل جماعي ، وهي المشار إليها بالحديث : « إذا رأيتَ شُحاً مُطاعاً وهوىً مُتّبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكَ بنفسك ودع عنك أمر العوام » . وفي عملة التربية لا بد من ملاحظة هذه المعاني التي بوجودها لا يقوم عمل إسلامي عام ولا جماعة ، وإنما نص النظام على أن من شروط عضوية النصير ، دفع الزكاة والتبرع الرمزي للجماعة ، والالتزام بمواقف الجماعة ، وضرورة الذِكر والتِلاوة من أجل التحرر من هذه المعاني .

فلا بد أن نُحرّر الشخص في المراحل الأولى من الشُح بتعويده على الكرم والإنفاق ، ومن إتباع الهوى بتعويده على الخضوع للنص والحكم الشرعي ، ومن إيثار الدنيا بربطه بالآخرة وتوضيحها في قلبه ، ومن الإعجاب بالرأي بالخضوع لرأي الجماعة المتمثلة بقيادتها .

وخلال عملية التربية على العضوية الأولى يجب على المربي أن يلاحظ العضو أو الأعضاء . فالإنسان يُعرف من فلتات لسانه ، والمنافق يُعرف والمؤمن يُعرف : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ ﴾ (٢) . وعلى المربي أن يُعالج ما يبدو له من انحراف بالكتاب ، والنصيحة ، والمذاكرة ، والتورية ، والمصارحة ، فقد تُعالج إنساناً مغروراً إما

---

(١) القصص : ٨٣ (٢) محمد : ٣٠

بأن تضع بيده بحث الغرور من « الإحياء » ، أو يركز على هذا الخلق فى جلسات متوالية ، أو تُصارح صاحبه فيما بينك وبينه ، وعلى المربى ألا يقتصر على الجلسات الرسمية مع العضو أو الأعضاء ، بل عليه أن يخالطهم ويعيش معهم فى بيوتهم وفى أماكن جلوسهم وعملهم ، وأن يخرج معهم فى رحلات ، وأن يمتزج بهم امتزاجاً كاملاً ليكتشف أنفسهم اكتشافاً تاماً ، وهو خلال ذلك كله : المربى والناصح والمتواضع والقريب والبعيد بآن واحد . حتى إذا وثق الثقة الكاملة بإنسان وأقام هذا الإنسان شروط العضوية كلها عندئذ يرشح اسمه لإعطاء الصفة ، والجهة المختصة تدرس الأمر ثم تبت بعد ذلك إيجاباً بالقبول أو سلباً بالتأخير على ضوء التحقق بالشروط ووجود الثقة الكاملة ومرور الزمن الكافى ، وهو ستة أشهر على الأقل منذ بداءته فى السير ، فإذا قررت الجهة المختصة إعطاء الصفة يُبلَّغ العضو ذلك رسمياً وعُرِّف الشروط تفصيلاً وأُخِذ منه الوعد بالالتزام الدائم بهذه الشروط ، ثم يُبيَّن له أنه الآن مُخيَّر بين أن يبقى عضواً نصيراً أو أن يسير فى طريق التربية على العضوية الثانية ، فإذا اختار البقاء فى العضوية الأولى فقط طُلِبَ منه الاستمرار بالحلقة الخاصة والعامة ، أما إذا اختار السير فالباب مفتوح أمامه . وفى الفقـرة التالية تفصيل سير العضو المُنَفِّذ ، أو العامِل ، أو المجاهِد على حسب ما يُصطلح عليه فى التسمية .

وههنا سؤال هو : هل يمكن إعطاء صفة « العضو النصير » إذا لم يستكمل منهاج الحلقة الخاصة أو منهاج الأسرة ؟ . أما منهاج الحلقة الخاصة فيمكن إعطاؤه الصفة قبل استكماله على شرط أن يكون منتسباً إلى الحلقة الخاصة ومثابراً عليها وجاداً فى تحصيل منهاجها وأعطى تعهداً بالاستمرار على ذلك ، على أنه لا يصح أن يُعطى صفة العضوية الثانية إلا باستكماله ، أما منهاج الأسرة فلا بد من استكماله .

٢ - العضوية الثانية - المُنَفِّذ أو العامِل أو المجاهِد :

الهدف من رحلة التكوين للعضو المُنَفِّذ الوصول إلى مسلم استكمل مواصفات

التقوى والطاعة والجهاد . فما من رسول من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - إلا وقال : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [1] . التقوى وطاعة القيادة الصالحة هما لُباب الأمر ، والعمل الجهادى ذروة التقوى ، وبه تظهر الطاعة ، والسير فى هذه المرحلة صوفى بحت من الناحية الروحية ، وعسكرى بحت من حيث وجوب الطاعة كما يقول الأستاذ البنا . إذ بدون استعداد عند كل فرد فى الجماعة للجندية بالاستعداد للطاعة المتعارَف عليها ضمن النظام لا يكون شىء . ولا يكون شىء ما لم تَنْقَ القلوب من محبة الرئاسة بالاقتناع أن جسداً لا يمكن أن يكون كله رؤوساً ، ولا بد من رأس ، والرأس هو مَن قدَّمه الصف ، وما لم يكن كل فرد منضبطاً بالصف وحريصاً على الجندية لا يتم الاتفاق على عمل ولا على قيادة . ومن ثَمَّ كانت رحلة التكوين للعضو المُنَفِّذ تدريباً على الطاعة ، الطاعة فى ماذا ؟ . الطاعة فى شؤون الجهاد وفى شؤون التقوى ، ومن ثَمَّ كانت هذه الرحلة تدريباً يومياً على العمل وتدريباً يومياً على التقوى .

والمفروض أن يمر الأخ فى هذه المرحلة على دورات : دورة روحية ، ودورة أمنية . والدورة الروحية يستمد برنامجها من كتاب « تربيتنا الروحية » . والدورة الأمنية يستمد برنامجها من رسالة « نظريتنا الأمنية ودروس الأمن ». والمنهاج الخاص للأخ المُنَفِّذ هو :

١ - كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » .

٢ - رسالتا « التعاليم » و « الجهاد » .

٣ - معالم فى الطريق .

٤ - دراسة حرة فى سورتى « الأنفال » و « براءة » من الظلال .

وإذا كان عند الأخ قدرة على الدراسة المنفردة فإنه يُكلَّف أن يدرس منفرداً كل الفقرات ، ويحسن أن يكون عند المُوجِه جدولان تدريبيان : جدول للتدريب

---

(١) آل عمران : ٥٠ . الشعراء : ١٠٨ - ١١٠ - ١٢٦ - ١٣١ - ١٤٤ - ١٥٠ - ١٦٣ - ١٧٩ . الزخرف : ٦٣

وفى آخر كل جلسة يفتح الأخ
الجهادى ، وجدول للتدريب العملى والقلبى . ويضع تحت رقم كل اسم فى
الجدول الأول ليعرض جوانب العمل الجهادى ، ثم يفتح الجدول الآخر
الأسرة علامة على نوع الجهاد الذى سيُنَفِّذه فى الأسبوع ، ويضع تحت رقم كل اسم فى الأسرة
ليعرض جوانب التطبيق العملى اليومى ،
علامة على نوع من الأعمال يرغب الأخ أن يلتزمها خلال الأسبوع القادم ، ثم
يسأل كل أخ عما فعله بالتزاماته السابقة ، ومن خلال رؤية الجداول يعرف الأخ
المربى نوعية التقصير الذى يقع فيه الأخ . أو الجوانب التى لم يشارك فيها
ليحاول إقناعه بها ، ومن خلال عملية التدريب هذه نلاحظ ما هو الشىء الذى
أصبح خُلقاً ، وما دام شىء من هذه المعانى لم يصبح خُلقياً فينبغى التركيز
عليه . هذا جانب من جوانب الرحلة والمسألة فى رحلة تكوين الأخ المُنَفِّذ أوسع
من هذا ، إذ هناك شروط لا بد من توافرها . ومجموعة الشروط التى تعطى
باستكمالها صفة العضوية التنفيذيه فى اجتهاد بعضهم هى :

١ ـ أخذ صفة العضوية الأولى .

٢ ـ دراسة المنهاج المقرَّر للمرحلة والالتزام السلوكى بما فيه .

٣ ـ المداومة على الاجتماعات المقررة (حلقات ـ أسر ـ فِرَق) إلا من عُـذر .

٤ ـ الاشتراك فى صندوق الحج إن كان ، وإلا فعليه أن يضعه فى حسابه .

٥ ـ أن يبذل جهداً كاملاً من أجل إصلاح من له ولاية عليه ، حتى يكونوا مسلمين حقاً ، وأن يكون بيته خالصاً من أدران الجاهلية وسلوكها وعاداتها ومفاهيمها ، والمنكرات عامة « إلزام المنزل مبادئ الإخوان المسلمين » .

٦ ـ الانتساب إلى فِرَق الرحلات إذا دُعِىَ لذلك .

٧ ـ التزام التحدث بالعربية الفُصحى إن كان قادراً على ذلك .

٨ ـ أن يبتعد عن أمكنة الشُبهات ، كالسينما والمقاهى التى فيها المنكرات والنوادى المشابهة ، وأن يكون كسبه حلالاً « البُعد عن كل ما هو غير إسلامى فى العبادات وفى المعاملات وفى شأنه كله » .

٩ ـ الاشتراك المالى المُحدَّد للجماعة ، والقيام بالواجبات التعاونية الأخرى .

١٠ ـ أن يتعرف على الناس فى دائرة شُعبته ، ويفتح معهم صلة علاقات إسلامية .

١١ ـ أن يكون مستعداً ـ فى الأحوال العادية ـ لتفريغ ساعة فى اليوم ، ويوم فى الأسبوع ، وشهر فى السنة ، ـ إن لم يكن عنده عذر ـ ويعطى هذا كله عند الطلب .

١٢ ـ أن يُنَفِّذ ما يُؤمر به وما يُكلَّف ـ ما دام فى حدود المعروف .

١٣ ـ أن يسعى لتكون له الَّلياقة الجسمية الكاملة بإتقانه فروعاً من الرياضة العملية .

١٤ ـ الترفُّع عن كل مظهر من مظاهر العصبية ، للأسرة أو البلد أو القوم أو الجنس أو اللَّون أو الحِرفة ، جَداً أو هَزلاً .

١٥ ـ أن يكون الولاء عنده واضحاً سليماً ، والإقبال على الله ، والذلة على المؤمنين ، والعزة على الكافرين ، والرغبة فى الجهاد والاستعداد له ، وأن يتحرى السُّنَّة المطهرة ـ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ـ فى الأقوال والأفعال ، ومن ذلك : قيام اللَّيل ، وأداء الجماعة إلا لعُذر قاهر ، والزهادة والعزوف عن مظاهر المُتع الفانية .

إن أقل مدة زمنية ـ يمكن أن تُعطى فيها صفة العضوية التنفيذية ـ سنة . فعلى المربى أن يلاحظ ذلك ، وعليه أن يضع نصب عينيه الأهداف والشروط والواجبات ، من أجل أن يُحقِقه بها ، ومن أهم ما ينبغى أن يعود عليه فى هذه المرحلة : كتمان ما ينبغى كتمانه والحديث عما ينبغى التحدث عنه ، فمن طبيعة الإنسان أنه يرغب أن يتحدث عن ذاته ، وأن يتحدث عن أفعاله ، وأن يتحدث عما يعرف ، وأن يرى الآخرين قدراته ، أو معرفته ، وأن عنده ما ليس عندهم . وكل ذلك خطير فى العمل ، فعلى المرء أن يعتاد القدرة على ضبط

نفسه ، فيتكلم بالقدر اللازم ، حتى يكون أمير سره ، وعلى الأخ المربى أن يلاحظ هذا . ففى كل عمل تدريبى عليه أن يتحقق أن أخاً - ما - لم يُحَدِّث إنساناً خارج الأسرة بشىء .

ومن صفات هذه المرحلة أنها عملية ، وعلى المربى أن يلاحظ التطبيق أثناء دراسة منهاج المرحلة ، أو التكليف ، فلا ينتقل من تكليف أو قراءة من فقرة إلى فقرة ، إلا بعد التأكد من تطبيقها والتخلّق بها ، زيادة على ما ذكرناه فى جدولى التدريب . فأثناء دراسة التعاليم مثلاً ، يلاحِظ كل نقطة ، ويلاحظ انصهار الأخ بها ، من الإخلاص إلى التضحية إلى الطاعة إلى الثقة ، فلا يجوز للأخ المربى : أن يُهمل عملية التدريب ، أو عملية الاستيعاب الدراسى وتطبيق ما يدرس ، أو ملاحظة الشروط والتحقق بها شرطاً شرطاً . إن مشكلة المسلمين الأولى فى عصرنا هى حب الدنيا وكراهية الموت . وقد عَبَّر عن ذلك رسول الله ﷺ واصفاً حال أمته - عندما تصبح غثاء كغثاء السيل - إن سبب ذلك : « حُبُّ الدنيا وكراهية الموت » .

ولذلك كان الحل الذى هو أساس الحلول لمشاكل هذه الأمة ، أن تصبح عند كل مسلم إرادة الموت - فى سبيل الله - يقظة ، ومظهر ذلك شيئان : استعداد نفسى ، وإعداد . « مَن مات ولم يَغز ولم يُحدِّث نفسه بالغزو مات على شُعبة من النفاق » . ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ (١) . والشىء الأول من مهمة المربى أثناء التربية على العضوية التنفيذية هو هذا . وأهم وسائل التهيئة النفسية كثرة الذكر ، وكثرة التفكر فى اليوم الآخِر ، وقراءة قصص الشهداء ، وتلاوة القرآن ، وتذكُّر ما أعدّهُ الله للمجاهدين والشهداء من أجر . والمربى الذى لا ينجح فى هذا الموضوع لا يصلح للتربية أبداً ، وإن ميزان نجاح المربى فى عصرنا هو هذا . ولا يصلح أن تُعطى صفة العضوية التنفيذية لأخ إذا لم يتحقق بهذه المعانى : « الجهاد سبيلنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » .

---

(١) التوبة : ٤٦

لاحظنا أن من شروط العضوية التنفيذية أن يستفرغ الإنسان جهده فى إصلاح من له ولاية عليه ، من زوجة أو بنت أو ولد . واستفراغ الجهد يظهر بمظاهر متعددة :

١ ـ أن يدرسهم ، ويوجههم ، ويعلمهم ، ويقرئهم بعض الكتب فى العقائد والسُنَّة والأخلاق والفقه مما يحتاجونه .

٢ ـ تخصيص يوم لهم فى الأسبوع ، يعقد لهم فيه حلقة يكون فيها ذكر ومذاكرة وتوجيه ، أو واحد منها .

٣ ـ إرسالهم لحلقات العلم الموثوقة ، إذ ربما استفادت المرأة ـ توجيهياً ـ من غير زوجها أكثر مما تستفيد منه ، وقد خصَّص الرسول ﷺ درساً للنساء . فإذا كان هذا كافياً للإصلاح ـ كان بها وإلا استُعملت وسائل أخرى ـ وقد ينجح بعد هذا كله ، وقد لا ينجح ، وعليه أن يبقى مستمراً فى المحاولة والإنكار ولو لم يُفلح . ويُعطى صفة العضوية التنفيذية متى بذل كامل الجهد فى الحالات التى لم يفرض عليه الإسلام الطلاق بالنسبة للزوجة ، والإسلام لم يفرض على الزوج الطلاق بمجرد الفسق ، بل بالرِّدة ، وقد يجتمع صلاح الزوج مع كفر الزوجة ، وهذه امرأة نوح وامرأة لوط مَثَلان ، وقد أباح الإسلام الزواج باليهودية أو النصرانية ، فليس شرط الإسلام أن تكون الزوجة صالحة ، وكل ذلك دعا إلى التساهل فى إعطاء صفة العضوية التنفيذية بعد الجهد ، لأنه فى دعوة جامعة تضم المسلمين لا بد أن يكون فى المسألة سعة ضمن قواعد الشريعة وأحكامها ، حتى لا تُجمِّد الجماعة نفسها ، وإننا لنخشى أن يأتى اليوم الذى تندر فيه المرأة المسلمة الملتزمة بالإسلام ـ كما هو حاصل فى بعض الجهات ـ فاقتضى ذلك التوسعة فى هذا الشأن مع اشتراط بذل الجهد . وعلى هذا فإن القيادة لا يجوز لها أن تمنح إنساناً صفة العضوية التنفيذية إلا بعد أن يتأكد لديها أن هذا العضو قد بذل كامل جهده فى الإصلاح ، وهو بالنسبة للزوجة فى وضع لا يفرض عليه أن يُطلِّق ، وبدون هذا القيد فإننا نخشى أن تصبح العضوية التنفيذية رمزاً على التساهل .

ومن شروط العضوية التنفيذية : ألا يكون فى البيت مُنْكَرٌ أو شىء من عادات الجاهلية ، ويدخل فى ذلك ألا تكون هناك صورة بَشر أو حيوان معلّقة فى البيت ، ويدخل فى ذلك ألا يكون فى البيت شىء من شعارات أهل الكفر والفسوق . ويأتى هنا موضع « الراديـو » و « التليفزيـون » ويختلـف وضـع « التليفزيون » عن « الراديو » فى شدة الفساد من قُطر إلى قُطر ، والأصل فى « الراديو » ألا يُستعمل فيما لا يجوز . والأصل فى « التليفزيـون » فى أوضاعنا الحاضرة ألا يدخل البيت لأنه مفسدة لا شك فيها . ومن مفاسده نظر الزوجة والبنت إلى صور الأجانب وعوراتهم : فى حفلات المصارعة والملاكمة وفيما هو أشد من ذلك . ومن مفاسده أنه ينقل صوراً غريبة إلى بيوتنا ـ بواسطة الأفلام وغيرها ـ وهو يُنَمّى فى النفس حب اللّهو ، والشهوة ، والدنيا ، والتقليد ، وهو مقتلة للوقت ملهاة عن الخير ، وخطره الخفى على صحة الأولاد وأخلاقهم كبير ، فلا ينبغى لأهل التقوى أن يُدخلوه بيوتهم ، ولا بد لأهل الله أن يتحملوا وأن يمنعوا أنفسهم كثيراً من شهواتها ، حتى المباحة ، فضلاً عما فيه شُبهة ، فضلاً عما هو حرام . « إن درء المفاسد مُقدَّم على جلب المصالح » والمفسدة فى « التليفزيون » ـ فى وضعه الحاضر ـ قائمة لا بد من تجنبها ، والمسألة مُعَقَّدة من الناحية العملية . وعلى الأخ المربى أن يلاحظ كل هذه القضايا وهو يربى على عضوية التنفيذ .

* * *

فإذا ما استوعب الأخ دراسات المرحلة وشروطها ولوازمها وأهدافها وتحقق بذلك كله رُفع اسمه إلى الجهة المختصة لتُقَرِّر ، فإذا قرَّرت إعطاء الصفة أعطته إياها ، وخيَّرته بين السير فى طريق عضوية النقيب أو الاقتصار على عضوية التنفيذ ، فإذا اختار السير فى طريق العضوية التالية سير به إليها .

٣ - العضوية الثالثة - « النقيب » :

إن إعطاء أحد صفة عضوية النقيب يعنى إعطاء حق التربية والتكوين ، وأخذ البيعة ، وإخراج القيادات ، والمشاركة فى اتخاذ القرارات ، ومعرفة أسرار الجماعة ، وحتى حق القيادة نفسها ، وذلك يقتضى تأنياً وتربية عالية ، وثقة مطلقة ، وصفات كثيرة ، ولا يصلح لذلك إلا القليل . يقول عليه الصلاة والسلام : « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة » . إن العضو النقيب هو هذه الراحلة المفقودة أو النادرة . إن الطراز الصالح لهذا النوع من العضوية هو مَن عنده استعداد لمثل ما يلى :

١ - الذى يستطيع استيعاب ثقة « حزب الله » استيعاباً تاماً ، والمستعد للالتزام بما فيها إلتزاماً كاملاً .

٢ - الصالح للقيادة : وأصدق ميزان لصلاح الإنسان فى القيادة ، قدرته على قيادة أهل بيته فى طريق الإسلام .

٣ - القادر على الصبر : لأن طريقنا طويل وصعب ، وقد تمر فترات لا نستطيع فيها إلا الصبر ، ومن القدرة على الصبر عدم الاستعجال . قال موسى لقومه فى قوله تعالى : ﴿ اسْتَعِينُواْ بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ ، إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

٤ - الموثوق والقادر على كسب ثقة الناس : فمن يُشك به لا يجوز أن يعرف شيئاً ، والذى لا يستطيع أن يكسب ثقة الناس لا يصلح للقيادة ، إن الناس يؤمنون بالشخص أولاً : بعقله وتفكيره وسلوكه واستقامته .

٥ - القادر على الكتمان وحفظ السر : فالكتمان هو الأداة التى تستطيع بها الجماعة الحركة المطلقة ، والذى لا يستطيع أن يكتم سراً ، أو لا يستطيع ضبط عواطفه أو لسانه ، لا يصلح للقيادة .

٦ - الذى لا يستعجل الشىء قبل أوانه : فلا يستعجل الثمار قبل أوان نضجها ، « لأن من استعجل الشىء قبل أوانه عُوقِبَ بحرمانه » فنحن

---

(١) الأعراف : ١٢٨

لا نستعجل إعطاء الصفة إلا بمقدار النضج ، ولا نستعجل تنظيماً قبل وجود لوازمه ، ولا نستعجل تنفيذاً لم يأت دوره ، ولن نستعجل إقامة الدولة قبل استكمال شروطها .

٧ ـ الحليم الرحيم : فغير الحليم الرحيم لا يصلح لسيادة على المؤمنين : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١) .

٨ ـ وخُلقان آخران لا يقوم بدونهما أمر دين ولا دنيا ولا يصلح أحد بدونهما لقيادة أو إمرة : الشجاعة والكرم . فمن لا يملك شجاعة أو كرماً ، من المصيبة أن يتصدى لقيادة الناس .

إن غير القادرين على التأني لن يتحملوا السير معنا ، ولن يصلحوا لحركتنا . وانه بدون الثقة بأشخاصنا لا تكون حركتنا قابلة للنمو والاستمرار . وبدون الكتمان لا نستطيع الانتشار في أمتنا طولاً وعرضاً . وبدون الصبر لا تتكامل حركتنا شيئاً فشيئاً . وبدون الشجاعة والكرم سيكون الفشل نصيب الكثير من أعمالنا . وبدون حلم ورحمة لا يتجمع الناس على أحد . ومن ثمَّ كان ميزان نجاحنا في العمل هو وجود العضو النقيب المتوافرة به الشروط الكثيرة ، فلنحرص على أن نُوجده ، ولنتأن في إعطاء الصفة .

* * *

إن منهاج العضو النقيب :

١ ـ ان يأخذ حظه من كل باب من أبواب الثقافة ، التي حُددها قسم « جند الله ثقافة » . وباختصار : تحصيله المنهاج العام للمرحلة الثانية في الحلقات .

٢ ـ دراسة الرسائل التالية :

(أ) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين .

(ب) تربيتنا الروحية .

---

(١) آل عمران : ١٥٩

(جـ) نظريتنا الأمنية ودروس الأمن .

(د) في آفاق التعاليم .

(هـ) النظام والخطة والوثائق واللوائح .

(و) دروس في العمل الإسلامي المعاصر .

(ز) جولات في الفقهين الكبير والأكبر .

أما شروط العضوية - في اجتهاد بعضهم - فهي :

١ - أخذ صفة العضويتين السابقتين .

٢ - دراسة المنهاج المقرر للمرحلة ، والالتزام السلوكي بما فيه .

٣ - أن يكون مسيطراً على مَن له ولاية عليه - من زوجة مسلمة وبنت وولد - سيطرة إسلامية كاملة ، ويظهر ذلك باللباس والعمل .

٤ - أن ينجح في مجموع مهمات يُكلَّف بها في حقل الدعوة العملي والتنظيمي .

٥ - أن يحرص على الزيّ والهيئة الإسلاميين ، والكمالات الإسلامية ، والسُنّة إلا إذا كان عمله الإسلامي يقتضي غير ذلك .

٦ - أن يكون أميناً على السر ، مُقدِّماً مصلحة الجماعة على مصلحته ، ومُقدِّماً رأي الجماعة على رأيه ، قادراً على ضبط عواطفه وانفعالاته ، متزناً في تعامله مع الآخرين .

٧ - أن يقوم بجولة طويلة في قطره أو جولات ، منفرداً أو مع آخرين ، للتعرف على أكبر قدر من الأرض والناس ، مع الدعوة إلى الله - إن لم يكن مانع - بالشكل المناسب ، والتعرف على كل الاتجاهات في القطر .

٨ - أن يعطي البيعة على الطاعة في العُسر واليُسر ، والمكره والمنشط ، للقيادة المنبثقة عن الأنظمة المعتمدة للجماعة .

٩ - أن يمر على دورة روحية مقدارها عشرة أيام .

وقد اشترط أن يُحصِّل العضو النقيب جميع جوانب الثقافة الإسلامية ، لكيلا يكون عنده فراغ يُملأ بانحراف ، خاصة فى عصرنا الذى كثرت فيه سبل الضلال . وقد ورد : « تكون فتن لا ينجو منها إلا من أحيا الله قلبه بالعلم » . ـ وقد رأينا ناساً يتركون الجماعة إلى دعوات جانبية أو منحرفة ، لعدم وضوح الموقف السليم من هذه الدعوات ومضمونها ـ وهذا شىء خطير ، لذلك كان لا بد من الثقافة الكاملة .

والرسول ﷺ ـ القائد الأول والأسوة ـ خيَّر نساءه بين الطلاق أو البقاء عنده على الطريقة التى ارتضاها الله له ، ونزل فى ذلك قرآن . فرجل قيادى فى « حزب الله » لا بد أن يكون ضابطاً أسرته ضبطاً محكماً على شرائع الإسلام وسُنَنه ، فى اللباس وغيره ـ وقد اعتبر عمر ابنه غير صالح للقيادة المسلمين لأنه لم يُطلِّق زوجته عجزاً ـ فشىء عادى إذن أن لا تُعطى صفة عضوية النقيب لإنسان لا يسيطر على من له ولاية عليه فى الإسلام .. ومن شروط عضوية النقيب أن ينجح الأخ فى مجموع مهمات قيادية يقوم بها . ومن صور ذلك أن ينجح فى تربية أسرة أنصار حتى تُعطى لهم صفة العضوية . أو أن ينجح فى تعليم حلقة حتى يعطيها منهاج الحلقة الخاصة مرحلة أولى ، أو أن ينجح فى إدارة فرقة ـ دعوة وتبليغ ـ فترة من الزمن .

وقد نُصَّ على دورة روحية مقدارها عشرة أيام ، تُعيِّن برنامجها القيادة ، وتكون قبل إعطاء الأخ صفة العضوية القيادية ، وقد كان الأستاذ البنا ذكر : « أن يضع نوع من الإخوان نفسه تحت تصرف مكتب الإرشاد خمسة عشر يوماً » ، فخفِّف ذلك انسجاماً مع سُنَّة الاعتكاف ، وأجود ما تُقضى فيه هذه العشرة أيام فى معتكَف ، وأن تُملأ فى الذِكر والعبادة ، وليس شرط الاعتكاف أن يكون فى رمضان ، ولكنه لو كان فى رمضان يكون أجود .

* * *

أما موضوع الزى والهيئة فهو موضوع دقيق وحساس ، ويرمز إلى أمور كثيرة ، والمسألة كما يلى :

كلما رق الحس الإسلامى ازداد تمسك صاحبه فى السُنّة ، وكلما غلظ الحس انسجم الإنسان مع أى وضع ، ولم يعد يرى أن هذا الوضع غريب . إن « البنطلون » يمثل العقلية الأوروبية ، وهو يتنافى ويتعارض مع مجموع آداب إسلامية ، فهو يُشكّل العورة ، ويقضى على السُنّة فى الطهارة ، ويصعب معه تطبيق آداب الطعام ، ولا يلتقى مع العفوية للإنسان ، فأن يجعله المسلم لباس راحته (لباس العمل له وضع خاص) بلا ضرورة غير لائق ، وذلك دليل على أن الحس الإسلامى لا زال بحاجة إلى ترهيف . وإن اللّحية التى ورد فيها حوالى اثنين وعشرين حديثاً ، فيها الآمر بها والناهى عن حلقها ، والمنكِر على حالقها ، والمذكِّر بها ، والمشير إلى مخالفة الكافرين فيها ، والتى حرّم الفقهاء حلقها ، إلا ما ورد عن متأخرى الشافعية ، مما لم ينزل بالمسألة عن السُنّة ، وليس الأصل فى السُنّة أن تُترك . إن اللّحية إذا لم ير المسلم ضرورتها بعد هذا كله ، فذلك دليل على كثافة حسه الإسلامى ، وهو يرى كثرة الأحاديث فلا يفعل ، فكيف إذا أنكرها أو حاربها ؟ إنه فى تلك الحالة مريض الفطرة إلى حد كبير ، إنه لا يوجد شَعْرٌ غير مشترك بين الرجال والنساء إلا اللّحية والشارب ، وهما الفارق بين الطفولة والرجولة ، فلماذا يفر المسلم منهما ؟ هذا كله نضعه فى حسابنا فى هذا الموضوع ، ونضع فى حسابنا كذلك قضايا أخرى. ولذلك طولب بالحرص على الزّى والهيئة ، وأبسط أنواع الحرص : ألا يستنكر على أخ التزم بهذا. وأبسط أنواع الحرص : أن يحرص على تعميم الزّى والهيئة . وأبسط انواع الحرص : أن يلتزم هو بذلك أو بنويه ، أو أن يظهر به فى بعض أحواله . وأقل ما يسقط به فرض إعفاء اللّحية ، أن تستر البشرة إذا لم تكن خفيفة فى الأصل . وأبسط الأزياء العربية القميص والقلنسوة ، أو القميص والعمامة . فالسنة : عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « أنهكوا الشوارب وأعفوا اللّحَىَ » . وفى رواية : « خالفوا المشركين ، وفروا اللّحَىَ وأحفوا الشوارب » . وفى الحديث الصحيح عن عمرو بن العاص قال : « رأى النبى ﷺ علىّ ثوبين معصفرين . قال : أمك أمرتك بهذا ؟ . قلت : أغسلهما يا رسول الله ؟ . قال : بل أحرقهما » . وفى رواية قال : « هذه ثياب الكفار

فلا تلبسهما » . وفى أخرى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ غضب وقال : « اذهب فاطرحهما عنك . قال : أين يا رسول الله ؟ . قال : فى النار » .

إن قضية الزىّ والهيئة ليست ثانوية أبداً ، بل هى قضية مهمة جداً فى موضوع إثبات ذاتية الأمة ونسبتها ـ وهو وإن أمكن التساهل فى التطبيق فى شأنه فى بعض الأحوال ـ إلا أنه لا يجوز إغفال الإيمان والنظرة والنية فيه أبداً .

* * *

إن القدرة على ضبط النفس والانفعالات والاتزان فى التعامل مع الآخرين مهمة جداً فى عضوية النقيب ، إذ أن قضية واحدة يخرج فيها الإنسان عن اتزانه ، قد تُفسد صفاً عريضاً ، وتنقسم بها الجماعة ، فلا بد من ترويض الأخ على هذا الموضوع قبل إعطائه الصفة ، إن العضو النقيب مهمته العطاء « وفاقد الشىء لا يُعطيه » فما لم ينضج الأخ فى كل شىء : فى الإسلام والإحسان والإيمان والتقوى والشكر والعمل والعلم والفقه والوعى والحركة ، فلا يصح أن يعطى هذه الصفة . لا يجوز أن يُعطى هذه الصفة إلا قيادة لها حق إعطاء هذه الصفة .

* * *

وفى حال وجود إنسان مستكمل كل الشروط ، وكل جوانب الثقافة الإسلامية ، فإنه يمكن أن يُستثنى من شرط الزمن إذا ارتأى مجلس الشورى ذلك ، ولكن لا بد من أن يدرس الرسائل الخاصة دراسة مُستوعبة ، وبالشرط الذى ذُكِر .

أما صفة النائب فيمكن أن يُعطاها إنسان استوعَب منهاج الحلقات للمرحلة الثالثة ، ودرس بعض الرسائل الخاصة بذلك ، من مثل رسالة برسم التنفيذ ، والمفروض أن تكون الأجهزة العليا للمركز فضلاً عن الأجهزة العليا للجماعة كلها من نوع الأخوة النواب إن أمكن .

* * *

٣ ـ أسر العمل لتحقيق خط الجهاد :

عندنا فى الإسلام خمسة أنواع من الجهاد ، فُصّلت فى كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » : الجهاد المالى ـ الجهاد التعليمى ـ الجهاد السياسى ـ الجهاد اللّسانى ـ الجهاد باليد ـ . وكنا ذكرنا هناك أن الجهاد باليد فى « دار الحرب » هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باليد على الأرض الإسلامية . وأن الجهاد اللّسانى هو فى حقيقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باللّسان على الأرض الإسلامية . والجهاد التعليمى فى الحقيقة هو نوع من أنواع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما ورد فى حديث : « ما بال أقوام لا يُفَقِّهُون جيرانهم » . إذ خُتِمَ الحديث بقوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾[1] . وأنواع الجهاد تحتاج إلى مال ؛ وذلك الجهاد المالى . ولما كانت عملية التغيير السياسى ترتكز على الحركة اليومية أصلاً فى إطار التنظيم السياسى ، فقد أصبحت أسر العمل شيئاً لا بد منه .

تتألف أسر العمل من مجموعة أعضاء قد حَصّلوا رتبة العضوية العاملة فما فوق ، كل منهم يكون مسئولاً عن نوع من أنواع الجهاد داخل الأسرة : الجهاد التعليمى ـ الجهاد اللّسانى ـ الجهاد المالى ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وعَرِيف الأسرة يُعيَّن من القيادة أو يُنتخب من قِبَل أفراد الأسرة ، وأسرة العمل تعقد مؤتمراً فى الشهر مرة ، تدرس فيه ماذا ستفعل خلال الشهر القادم فى كل نوع من أنواع الجهاد ، ضمن إمكانيات أفرادها ، أو على ضوء التعليمات .

وهذه نماذج على أنواع من العمل الجهادى يمكن تحقيقها فى إطار أسرة العمل :

---

(١) المائدة : ٧٨ ـ ٧٩

١ ـ الجهاد التعليمي : يمكن أن تقوم الأسرة في هذا الموضوع بما يلي :
الدعوة إلى الحلقات العلمية العامة ـ إنشاء الحلقات العلمية الخاصة ـ الإقناع
في السير في طريق العضوية ـ القيام بنشر علم من العلوم بعد أن تنهض
الأسرة ـ تأخذ الأسرة على عاتقها الدعوة في قرية من القرى إلى الحلقات ثم :
تحفيظ الكتاب والسُّنَّة ـ نشر الكتب الإسلامية ـ الدعوة إلى إنشاء مكتبة
إسلامية في كل بيت ـ المحاضرات ـ الخُطب ـ الدروس .

٢ ـ الجهاد اللساني : يمكن أن تقوم الأسرة في هذا الموضوع بما يلي :
مناقشة المنحرفين ـ تخصص وقت أو أوقات للخروج مَثنَى أو ثلاثة للأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة ـ الزيارات للدعوة ـ الكتابة في معالجة
انحراف ـ إيصال المجلات أو الجرائد الإسلامية إلى الآخرين اشتراكاً أو اهداءً
إنشاء مجلة حائطية في مسجد أو مدرسة أو معهد أو في مكان عام ـ تعميم
أفكار صالحة ـ الخُطب والمحاضرات ـ الرحلات للدعوة ـ والكتابة في
الجرائد .

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : تستطيع الأسرة أن تفعل كل ما
يلزم لتحقيق هذا النوع ، سواء في ذلك ما يلزمه من إعداد جسمي ، أو نفسي
أو تدريبي ، أما ممارسة ذلك باليد : فما لم يكن المنكر مفروضة إزالته فرضاً
عينياً على المسلم بحكم الإسلام ، فإنه لا بد من استئذان وإذن .

٤ ـ الجهاد المالي : يمكن أن تقوم الأسرة في هذا الموضوع بما يلي :
إيجاد صندوق للأسرة يُنفَق منه على المشروعات الجهادية (فالرحلات تحتاج إلى
مال ، وإهداء كتاب يحتاج إلى مال) ، وجباية الاشتراكات من الأسرة ، وجباية
الزكوات ، وأن يُنشئ كل فرد من أفرادها في بيته صندوق الدعوة . وعريف
الأسرة مسؤول عن دفع الأسرة نحو الذكر وتذكر الآخرة ، وزيارة القبور ، وعيادة
المرضى ، والقيام بالواجبات اليومية . وما تقدم نموذج وما سوى ذلك كثير مما
يمكن أن يدخل تحت هذه الأطر . إن على الأسرة أن تتحرك أسبوعياً وشهرياً
وسنوياً في أطر الجهاد كلها ، وإن على الفرد في الأسرة وغيرها أن تكون له
أعماله الجهادية اليومية . إن روح الجهاد لا يجوز أن تخبو في جماعتنا أبداً

وعدم وجود الأسرة لا يعنى تعطيل الجهاد ، إن الأخ ـ حيثما وُجِد ـ فعليه أن يجاهد كل أنواع الجهاد ، وَجَدَ من يساعده أو لا ، وإنما الأسرة عامل مساعد .

* * *

ملاحظات

ملاحظة أولى : نشر الكتاب الإسلامى من أهم وسائل العمل الإسلامى ، إذ أن قراءة كتاب من قِبَلِ إنسان فى موضوع قد كتبه ثقة ، أجود بكثير من مناقشة لا تستوعب حجة ، ولا تُحيط بجوانب الموضوع . إن الأخ القادر على أن يضع الكتاب المناسب بيد الإنسان فيقرؤه ، يكون أنجح من غيره ، فى حقل الدعوة فى الغالب . إن نشر الكتاب يحقق الجهاد التعليمى واللّسانى بآن واحد ، لذلك كان جزء مهم من عمل الأسرة أن تندفع نحو نشر الكتاب الذى يمثل فكر الجماعة ، والمهم هو أن يُقرأ الكتاب ، أما مجرد الاقتناء فلا يعتبر هدفاً ، فقد تُعير إنساناً كتاباً فيقرؤه ، وتُهديه إياه فلا يقرؤه ، والمهم هو الاقتناع بالقراءة .

ملاحظة ثانية : رأينا فى أكثر من مكان من دراساتنا ، أن المسلمين ما لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر لا يستحقون رحمة الله ، التى بها يُؤلّف الله بين قلوبهم ، بل يستحقون أن يضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ويستحقون لعنة الله ـ والعياذ بالله ـ . ولذلك فقد كان من الأهداف الرئيسية للجماعة القيام بالجهاد بأنواعه ، لأن الجهاد بأنواعه هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الأرض الإسلامية ، والمفروض أن يمارس الأخ عملية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بشكل دائم ، ولكن من طبيعة الإنسان أن يقوى على الخير إذا وجد من يساعده ، فذلك يعطيه جراة وشجاعة . وقال موسى عليه السلام فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى * يَفْقَهُوا قَوْلِى * وَاجْعَلْ لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى * هَارُونَ أَخِى * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى * وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى ﴾ [1] . ولذلك فإن على الأسرة

---

(١) طه : ٢٥ ـ ٣٢

أن تُخصص لنفسها يوماً يخرج فيه أفرادها مثنى مثنى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، تجتمع الأسرة فى مكان ، ثم تتواصى بالحق والصبر ، وتتواصى بتصحيح النية فى خروجها ، وتتواصى بالحكمة فى العمل كى لا تقع فى صدام ، وتتذاكر فى نوع من المنكرات التى يمكن أن تصادفها ، وكيف تعالجها ؟ ثم ينطلق الأفراد . وخلال الجولة يمكن أن يدعوا الأفراد إلى الخير ، وإلى حلقات العلم ، وإلى الصلاة والذكر .. إذ الدعوة إلى الخير نَهيٌ عن المنكر بشكل عفوى ، وتجتمع الأسرة بعد ذلك لتتدارس عملها . وينتج عن هذا العمل وغيره ـ مما مر ـ أمور كثيرة كلها صالح : منها أن يتأصل فقه المعروف والمنكر فى الأنفس ، ومنها أن تبقى الجماعة فى حال حركة ، ومنها تشكيل رأى عام صالح ، ومنها معرفة أهل الشر ودراسة أمرهم ، ومنها تعويد الأفراد على الجرأة ضد الباطل ، ومنها إعداد الجماعة لتصفية المنكر ، ومنها دخول الفرد فى صراع عملى مع الفساد فى المجتمع ، ومنها ـ وهذا أهمها ـ أن الجماعة بذلك تستحق رحمة الله وتستحق نصره . ومنها أن يحس الفرد بأنه قد حقّق شيئاً . ولا تنسى الأسرة وهى تقوم بهذا الشأن نفسها ، فالله تعالى يقول : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾[1] . ومن مراجع فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : الجزء الثانى من « إحياء علوم الدين » فقد تكلم فيه بما لا مزيد عليه .

إن الأسرة قد تستطيع إزالة المنكر بواسطة غيرها ، فقد تجد منكراً عاماً فتقوم بدراسته وطرق إنهائه ، وقد تجد أن وسيلتها إلى تغييره الاستعانة بشخصيات فى البلد ، أو ببعض أصحاب النفوذ ، أو غير ذلك ، ومَن فكّر فى إزالة المنكرات قد يفتح الله عليه فى ذلك كثيراً من الأبواب لإنهائها .

يذكر الأستاذ البنا ـ رحمه الله ـ فى مذكراته « مظاهر النشاط الشهرى والأسبوعى » وقد مر معنا كلامه من قبل مختلطاً بغيره ، فلننقل كلامه هنا مجرداً .

---

(١) البقرة : ٤٤

يقول تحت عنوان « مظاهر النشاط الشهرى » ما يلى : « يقترح المكتب أن يحدد الإخوان لأنفسهم أياماً معينة من كل شهر لتنفيذ البرنامج الآتى :

١ - يوم النصيحة : وفيه يُقسِّم الإخوان أنفسهم ليقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالتى هى أحسن ، فيعرفون مواطن الضعف الخُلُقى فى الأفراد المجاورين لهم فيزورونهم ، ويبذلون لهم النصيحة فى رفق وهوادة ، وينهونهم عن المنكر ، ويزيِّنون لهم الخير والفلاح . ويُستحسن أن تكون هذه النصائح فردية سرية ما أمكن ، لنجاحها وضمان التأثر بها ، والله المستعان .

٢ - يوم الآخرة : يصقل به الإخوان قلوبهم وأنفسهم ، يخرجون بها من عالم الضوضاء إلى عالم الطمأنينة ، ويزورون مدينة الآخرة ، يخرجون إلى المقابر للعظة والاعتبار ، ويحاسِبون أنفسهم على ما قدَّمت ، ويستغفرون ربهم ، وكفى بالموت واعظاً .

٣ - يوم العيادة : يُقرِّر الإخوان هذا اليوم لعيادة المرضى من المسلمين ، فيُدخِلون عليهم السرور ، ويُوطِّدون دعائم الألفة .

٤ - يوم التعارف : يُقيم الإخوان كل شهر حفلاً تتجلى فيه البساطة بقدر الإمكان ، يجتمعون فيه بإخوانهم الذين لا تُمكِّنهم ظروفهم من التردد على دارهم كثيراً ، فيكون هذا الحفل كرباط يزيد فى أواصر الإخوة بينهم .

ويقول تحت عنوان « مظاهر النشاط الأسبوعى » ما يلى :

(أ) ليلة الدرس : يُخصِّص الإخوان ليلة فى الأسبوع لمذاكرة ملخص الدرس الذى سيُلقيه فضيلة الأستاذ المرشد .

(ب) ليلة الكتيبة : حيث صفاء الأرواح فى سكون الليل ، وحيث النفحات القُدسية فى السَّحَر ، وحيث فيوضات الرحمن ، وحيث التحرر من عادات الراحة والترف ، والاستعداد لتحمل المشقة ومقاومة النفس فى سبيل الله .

(جـ) يوم المعسكر : الجندية - التدريب - الاستعداد للجهاد المقدس - ، ذلك ما يعنى به الإخوان كل العناية ، فيه يتكوَّن الجيش الإسلامى ، وبه

نستطيع أن نحقق الأمل ونرفع اللواء عالياً ، نرجو أن يكون لهذه الناحية أكبر قسط من اهتمام الإخوان ، فيضعوا لأنفسهم كل أسبوع عرضاً عسكرياً يتدربون فيه ، أو رحلة يزورون بها البلدان المجاورة ، ويكونون نموذجاً حسناً ومثلاً عالياً للناس . ويشترط أن تستعد الفرقة فى كل رحلة لإقامة الصلوات فى الخلوات » .

* * *

ولا شك أن الظروف التى كتب بها الأستاذ البنا كلامه غير ظروفنا ، والمهم هو المحافظة على الجوهر مع تكييف العمل حسب الظروف ، ولكن البلاء كل البلاء أن تضيع حركتنا الجوهر بسبب الظروف ، ولا يُحفظ علينا الجوهر إلا بسيرنا فى الخطوط المتوازية الثلاثة التى ذكرناها ، والتى يحققها نظام الحلقات ونظام أسر التكوين ونظام أسر العمل . إنه بنظام الحلقات والأسر وبالمنهاج والنظام تسير الخطوط المتوازية الثلاثة فى دعوتنا جنباً إلى جنب ، وبذلك استحقت أن تكون دعوة جامعة تسع الناس - ونسأل الله أن يُحيى بها الإسلام - . وللمحافظة على الجوهر - مع ملاحظة الظروف - نقترح تنفيذ البرنامج الآنف على الشكل التالـى : أن توجد فى كل منطقة سكنية أسر عمل ، هذه الأسر تضع برنامجاً شهرياً لها يشمل :

١ - تنشيط العمل التعليمى والحلقات العلمية العامة والخاصة فى المسجد والبيت للرجال والنساء والأطفال ، مستعينين بكل الإمكانيات العلمية الموجودة فى دائرتهم ، والدعوة لذلك .

٢ - الدعوة إما فى مجموعة من القرى ، أو فى قرية تُعيَّن لهم ، ويختارون الطريقة المناسبة : - العمل الفردى - الزيارة - الخروج جماعة للدعوة .. ومن الدعوة : الخروج للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٣ - التكوين والتربية : يخرجون فيها إلى المقابر أفراداً أو جماعة ، ويقومون اللّيل فُرادى أو جماعة ، ويتواصون بالأوراد المأثورة ، وقراءة القرآن ، ويتذاكرون أمر القيام بالمناسبات والواجبات اليومية ، كما يلاحظون مَن عنده

أهلية للتكوين ، فيسيرون به أو يكلفون من يسير به كفرد أو كأسرة ، وإحياء المناسبات الإسلامية وإعطائها حقها .

٤ ـ الجهاد المالى : يتبرعون شهرياً لصندوق الأسرة ، ويتفقون على إقامة صندوق مالى للدعوة لا يُمَس إلا عند الاضطرار ، يدفعون اشتراكاتهم للمركز ، ويتفقون على جباية الزكوات من كل مَن يشارك فى الحلقات ، ومن أنفسهم ، ويوزعونها فى دائرتهم .

٥ ـ العمل السياسى : يلاحظون ما يجد فى منطقتهم ، ويتعرفون على أصحاب الفعاليات فيها ، يقدمون التقارير عن الصغيرة والكبيرة فى المنطقة .

٦ ـ العمل الرياضى والفتوة : تتفق الأسرة على الواجبات الرياضية خلال الشهر ، كأن يتواصى الأفراد أن يقوموا يومياً برياضة معينة : كالجرى فى المحل ، أو المشى الطويل ... أو غير ذلك ، أو يتفقون على إقامة مخيم ذى برنامج محدد ، أو يتفقون على رحلة صيد ، أو يتفقون على دراسة كتاب ، أو على تدريب ، أو على إعداد ما ، بحسب ما تحتاجه أمتنا فى جهادها الشرس مع الاستعمار والصهيونية ويحاولون أن يحركوا معهم فى بعض هذه المعانى المنتسبين إلى الحلقات لتدريبهم وتقريبهم .

* * *

الفصل الخامس

العمل العام والتكوين الفردى

من الأشياء التى يثور حولها جدل بين بعض الإسلاميين : قضية العمل العام والتكوين الفردى ، ولكلٍّ وجهة نظر . والذى نراه فى هذه المسألة : أنه لا بد من العمل العام على ضوء الخطوط العامة للعمل ، ولا بد من الاتصال الفردى والتكوين ، إذ أن العمل العام يُوجِد مناخاً ملائماً للاتصال الفردى والتكوين ، وعدا عن هذا فإن مبررات العمل العام كثيرة ، منها :

١ ـ إن العمل الفردى والتكوين الكامل لا يحتمله عامة الناس ، فلا بد أن يكون لنا منفذ على الحياة العامة وعلى عامة الناس بالعمل العام .

٢ ـ إنه بالعمل العام تبقى قضية الإسلام ومعانيه العامة حية فى الأنفس ، غير مُستغرَبَة فى القلوب .

٣ ـ إن التكوين الفردى يحتاج إلى وقت طويل لاستيعاب العدد الكثير ، فلا بد خلال ذلك من عمل عام يُذكّر الناس بالحد الأدنى من الخير الذى لا بد منه .

٤ ـ ثم إن العمل العام سُنَّة متبعة ، ولذلك شُرِعت لنا خُطبة الجمعة ، وسُنَّ الاجتماع على القرآن والعِلم والذِكر ، وبدون فشو العلم بالعمل العام يضيع العلم ، وإذا ضاع العلم بالإسلام ضاع الإسلام . ومشهورة كلمة عمر بن عبد العزيز لأئمة الأمصار : « فإن العلم لا يضيع حتى يكون سراً » . إنه بدون العمل العام تغيض حيوية الإسلام وحيوية المسلمين . ولكن العمل العام

لا يُكوِّن رجالاً كُمّلاً ، ولا صفاً منتظماً ، ولا قوة مُوحّدة تعرف بعضها وتنطلق باتجاه واحد ، لذلك كان لا بد من الاتصال الشخصى والتكوين الفردى .

إن التكوين الفردى إذا كان كاملاً تكون بداياته صغيرة ونهايته هائلة لا يتصورها النظر البادء . ولتصور المسألة نضرب المثال التالى :

داعية كامل بدأ الدعوة واقتصر فى دعوته على رجل واحد حتى أوصله مستواه ، ثم بدأ الاثنان من جديد كل منهما مع إنسان واحد ، ثم تكررت العملية خمسين مرة ، فكم يكون العدد بعد ذلك ؟ . يكون عدد الرجال الكُمّل (١٥٫٣٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠) ، وهو رقم كبير جداً . ولا شك أن الفترة الزمنية التى تحتاج إليها مثل هذه العملية طويلة ، ومَن يموت خلالها كثير . فالمسألة فى الواقع غيرها على الورق ولكن المثل يبقى فى كل حال مُبيِّناً أهمية البداية ، التى تقوم على أساس الكمال والتكميل والدأب فى ذلك ، وبذلك ندرك أهمية التكوين الفردى على المدى البعيد ، وهذا الذى يغفله كثير من الدعاة . كثيرة هى الحالات التى يوجد فيها داعية واحد ومدعوون كثير ، ولكن قليلة هى الحالات التى يصبح فيها الداعية أثنين ، والاثنان أربعة ، والأربعة ثمانية ، والمليون ، مليونين ، وكما نصل إلى مثل هذه النتيجة فى التكوين الفردى ، فإننا نصل بواسطة هذا التكوين - وما يترتب عليه من صلات شخصية - إلى نتائج مهمة كلها ضرورى للعمل الإسلامى ، فبواسطة الصلة الشخصية يستطيع الإنسان أن يثق أو لا يثق ، وعلى ضوء الثقة يستطيع أن يقول ما يريد ، وبالصلة الفردية يستطيع الداعية الكامل أن يعالج أمراض الإنسان مرضاً مرضاً ، ويُصفيه تصفية تامة ، ويرتقى فيه إلى كل خُلُق ، وبالاتصال الفردى يكون أخذ وعطاء ، وكمال وإكمال ، وإفادة واستفادة .

ولهذا أو ذاك الذى قدّمناه عن العمل العام ، لا يبقى مبرر للنقاش حول أيهما أجود . العمل العام أو الاتصال الفردى ؟ . كلاهما لازم وضرورى ، فكم محاضرة أتاحت اتصالاً فردياً ، وكم درس عام أتاح الاتصال الفردى ، وكم عظيم أخرجته حلقة عامة ، ولا ينبغى أن يكون هذا على حساب هذا إلا لعاجز

عن الجمع بينهما ، وليس فى العجز كمال ، والمهم أولاً وقبل كل شىء والذى لا ينجح بدونه عمل عام ولا خاص : هو شخصية الداعية الإسلامى وكماله ، فالناس كأفراد أو جماعات إنما يؤمنون بالشخص أولاً ، ثم بما يدعو إليه ، وما يغيب عن الناظر من بعيد لا يغيب عن الذى يرى من قريب . لذلك كانت البداية أكثر من النصف ، ووجود المسلم الأول من الأهمية بالمكان الأول ، وقد أمر رسولنا صلى الله عليه وسلم أن يقول : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [1] . وقال موسى عليه السلام : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] . ولذلك كانت الدعوة التى بدأها رسول الله ﷺ والأصحاب الذين كوّنهم خير ما كان وما يكون .

* * *

---

(1) الأنعام : ١٦٣

(2) الأعراف : ١٤٣

الفصل السادس

الربط العام والربط الخاص

نلاحظ أن المسلمين فى حياة رسول الله ﷺ كان لهم ارتباطان : ارتباط عام بمؤسسات الإسلام وحلقاته ، وارتباط خاص بالجماعة الإسلامية وقياداتها ـ يظهر ذلك فى الولاء الكامل والطاعة الكاملة ـ كان لهم ارتباط عام فى المسجد فى الصلاة ، وحلقات العلم ، وحلقات القرآن ، وحلقات الوعظ ، وفى كونهم مسلمين ، وفى خُطبة الجمعة . وكان لهم ارتباطهم الخاص بنبيهم عليه الصلاة والسلام ، وكان مظهر كمال إيمانهم قوة ارتباطهم بالقيادة الإسلامية والجماعة الإسلامية طاعةً وولاءً .

هكذا كان الأمر : ارتباط عام على أقوى ما يكون ، وارتباط خاص على أقوى ما يكون . من أمثلة الارتباط العام : الارتباط بصلوات الجماعة وصلاة الجمعة ، وحضور جلسات الوعظ العام ، الذى كان يُخصّص له رسول الله ﷺ يوماً للرجال ويوماً للنساء ، ومن أمثلة الربط العام ما كان يفعله الصحابة رضى الله تعالى عنهم : فقد كان أبو موسى الأشعرى يُقسّم الناس فى مسجد الكوفة حلقاً حلقاً يُقرئهم القرآن . ومن أمثلة الربط الخاص : أن الأشعريين كان لهم أمير هو الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ ، ويوم العقبة الثانية أمر رسول الله ﷺ أن يختار الأنصار منهم اثنى عشر نقيباً يكونون مسؤولين أمامه عن أقوامهم ، ويوم حُنين كان على كل عشرة من المسلمين عَرِّيف ، وكل مسلم كان يشعر أنه جزء من الجماعة الإسلامية ، وأنه عضو فى حزب الله ، ولاؤه للجماعة ، وعداؤه لأعدائها ، وكل منهم أعطى البيعة على الطاعة لقائد حزب الله وإمامه رسول الله ﷺ .

وبقى الناس فى زمن أبى بكر وعمر على ذلك ، يشعرون أنهم جماعة واحدة وحزب واحد ، ولهم قيادة واحدة قد أعطوها البيعة على الطاعة ، ويربط الجميع فيما بينهم ولاء قوى ، وكان الناس طرفاً من حياة عثمان رضى الله عنه كذلك ، ثم حصل الدس اليهودى ، وكانت الفتنة ، ثم كان ما كان . والآن لا زلتَ ترى كثيراً من المسلمين مرتبطين ارتباطاً عاماً فى الإسلام وأهله ، فى الصلاة وحلقات العِلم العام ، وحتى حلقات العِلم الخاصة ، ولكن الربط الخاص الذى مظهره الولاء والطاعة لجماعة المسلمين - لا لمجموعة منهم - لم يعد موجوداً على أساس الإسلام والجماعة الإسلامية ، وإذا وُجِدَ فضمن حدود ضيقة ، أما أن يكون المسلمون جميعاً جماعة واحدة يخضعون لقيادة واحدة ، ويربطهم فيما بينهم ولاء متين ، فهذا غير كائن . ونتج عن ذلك أن استطاع أهل الضلال والدجل والانحراف والنفاق والكفر أن يكسبوا هذا الولاء السائب ، وأن يربحوا طاعة الجماهير الإسلامية ، القابلة للانحراف بسبب ضعف الوعى والجهل والسيوبة وعدم الربط .

ولذلك فإن على حزب الله أن يُعيد الأمر إلى نِصابه فى هذا الموضوع ، بأن يُعيد الربط العام على أشدُه بحلقات العلم والوعظ وبالحلقات الخاصة ، وبأن يُعيد الربط الخاص القائم على أساس الولاء والطاعة والانضباط بواسطة نظام الأسر والتنظيم الدقيق .

* * *

الفصل السابع

قضايا رئيسية فى عملية التكوين

إن هدفنا العام فى التكوين هو الوصول إلى الشخصية الإسلامية الكاملة ، التى ورثت عن رسول الله ﷺ أقصى ما يمكن من صفات الكمال ، هذه الشخصية هى التى نسميها فى مراتب العضوية : الأخ النائب ، التى يصل إليها الأخ عبر عضوية النقيب . فمهمتنا أن ننقل الأخ من حالة إلى حالة ، حتى نوصله إلى هذا الكمال ، وما الأنظمة والمناهج إلا طريق عملى للوصول إلى مثل هذا الأخ ، ليكون ضمن الصف آخذاً محله ، ومن أجل ذلك نحب أن نُذَكّر بقضايا رئيسية لها علاقة فى هذا الموضوع ، هذه القضايا تخص الأخ النقيب بشكل أوّلى :

١ ـ موازين النجاح فى تربية العضو النقيب .

٢ ـ معوقات السير التربوى .

٣ ـ طرائق التربية .

* * *

أولاً ـ موازين النجاح فى تربية العضو النقيب :

إن أهداف التربية على العضوية القيادية هى : إيجاد الأخ المتحقق بالأخلاق الإسلامية العليا ، والذى يملك الطاقة القيادية القادرة على الإنتاج ، والذى اجتمع له مع الثقافة الإسلامية المتوارثة الثقافة الإسلامية المعاصرة والمعرفة بالعصر وتياراته ، والذى يمتلك القدرة على النقل والتطبيق ، ويقدر نجاح المربى

فى الارتقاء بالعضو ضمن هذه الأطر كلها يكون نجاحه . وبقدر تحقق الأخ فى هذه الجوانب تكون صلاحيته لعضوية النقيب ، وتكون احتمالات نجاحه فى تحمل مسؤولياتها متوافرة :

(أ) الأخلاق :

إن أخلاق المؤمن تظهر فيما يلى :

١ - فى الأعمال : المؤمن يصوم تطوعاً ، ويزور المقابر ، ويقرأ ورداً يومياً من القرآن الكريم ، ويقرأ ورداً من الأذكار والدعاء ، فضلاً عن كونه مقيماً لفرائض من عبادات الجهاد .. المؤمن يُصلى جماعة فى المسجد ، ويُميط الأذى عن الطريق ، ولا يُكثر الضحك والمزاح ، ولا يهزل الهزل الرخيص . المؤمن يقف عند الشريعة ، ولا يتعرض للتهم ، ولا يلعب بالشطرنج أو النرد ، ويتحرى السُنّة فى أفعاله كلها : فى الأكل والنوم والمشى ودخول المسجد وغير ذلك .

٢ - فى معاملة الغير : المؤمن بار بوالديه ، محسن لجاره ، يرحم ذا الرحم الأيتام والأرامل ، ويُصلح بين الناس ، ويعاون على الخير ، ويزور المرضى ، والمؤمن لا يتتبع عورات الناس ، ويُحسن الظن بالمسلمين ، وهو حسن البشر ، إذا لقى يبدأ بالسلام ، ويصافح الغائب ، ويرد التحية بأحسن منها ، ويستأذن فى دخول البيوت ، يألف ويُؤلف ، يُعظّم كبير المسلمين ، ويُوقّر عالمهم ، لا ينسى إخوانه من الهدايا ويُكافىء على هداياهم . المؤمن يفى بالوعد ، حليم يقبل المعذرة ، يعفو ولا يُشَهّر ، سمح إذا اشترى وإذا اقتضى .

٣ - فى المظهر الشخصى : المؤمن ليس مختالاً فخوراً ، ولا متكبراً ولا مستعلياً على المسلمين ، ولا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يدّعى ما ليس فيه ، تعلوه السكينة ، فهو فى الزلازل وَقور ، وفى الرخاء شكور ، ولا يُفرط فى الزينة ، ولا يلبس الحرير والذهب وما نهت الشريعة عنه ، ويتحرى فى زيه وهيئته زى وهيئة رسول الله ﷺ .

٤ ـ **فى العبادات القلبية :** المؤمن متجرد ، قانع زاهد ، ورع خاشع ، خائف من عذاب الله ، راج رحمته ، متواضع لله ، كاظم للغيظ ، شاعر بالغُربة فى هذه الحياة الدنيا ، متوكل لا يعرف الغرور ولا العُجب ، يكره المدح ، مخلص لله فى أعماله كلها ، بائع نفسه لله ، تسره حسنته ، وتسوؤه سيئته ويشفق منها ، يرضى لله ويسخط لله .

٥ ـ **الطاقة القيادية :** إن القيادة فى الإسلام مسؤولية ، وخدمة صرفة لدين الله وليست رئاسة دنيوية . والتنظيم يقتضى بالضرورة تصنيف الأعضاء إلى تابع ومتبوع ، وأمير ومأمور . والغرض من هذا حُسن أداء العمل ، والقيام بالمهمة حسب المطلوب . فصلاة الجماعة لا تتم بلا إمام ومأموم ، لقد حمَّلنا الله سبحانه أمانة الدعوة والقيام بأعبائها ، وهذا يقتضى منا التنظيم الدقيق ، والتنظيم يستلزم توزيع المسؤوليات حسب القابليات ، ليبقى الجميع مشدودين إلى غاية واحدة ، هى الحرص على القيام بأعباء الدعوة ابتغاء مرضاة اللّه عز وجل ، إن جماع الصلاح للعمل ـ أى عمل ـ : القوة والأمانة : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [1] . وبعض الأعمال تحتاج إلى مزيد من القوة كقيادة الجيش . وبعض الأعمال تحتاج إلى مزيد من الأمانة كالقضاء والمال .

وإن جماع الصلاح لعمل خاص : الحفظ والعلم : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ ، إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [2] . ونحن علينا فى التربية أن نُنمى طاقات الأخ على العمل القيادى بشكل عام ، ونؤهله لاختصاص ـ ما ـ إذا أردنا تكليفه به ، مع ملاحظة أن الأصل فى الإسلام ألا يستشرف أحد للإمرة ، وأن يطيع من أمِّرَ عليه ، وألا يُوسد الأمر إلى غير أهله .

ومن مظاهر القدرة على القيادة :

(أ) التمكن من الربط بالفكرة وأهلها .

(ب) العمل الدائم ، والاستمرار الدائب ، والصبر بلا يأس .

---

(١) القصص : ٢٦ (٢) يوسف : ٥٥

(جـ) لين فى غير ضعف ، وقوة فى غير عنف ، وقدرة على الأناة ، وقدرة على الصمت ، وقدرة على الكلام ، وكل ذلك فى محله .

(د) الحرص على الإخوان وتفقد المنقطعين .

(هـ) القدرة على الخُلطة والألفة الموجهة الفاعلة .

(و) عدم الإكثار من استعمال الأمر والنهى ، مع القدرة على التربية والتوجيه وضبط النظام .

(ز) الإحسان فى استعمال الوقت ، والحذر والفطنة اللبقة ، والحس الصحيح .

(ب) القدرة على الإنتاج :

ومظهر القدرة على الإنتاج شيئان :

١ ـ كسب عضو جديد .

٢ ـ الارتقاء بالعضو القديم .

(جـ) العلم والثقافة والمعرفة :

هناك الثقافة التى حُدِّدت بكتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » ، ثم هناك معرفة الواقع ـ واقعنا كله :

١ ـ واقع التنظيمات الإسلامية الأخرى فى الداخل والخارج ، وقراءة انتاجها لتجنب الأخطاء وللاستفادة من التجارب ، ولمعرفة موقفها منا .

٢ ـ واقع الحركات الإسلامية السابقة لأخذ العبرة .

٣ ـ واقع الوضع الداخلى فى البلد ، وواقع السياسة الدولية العالمية ، عن طريق قراءة الجرائد والمجلات السياسية وأخبار المؤتمرات مع الحذر . وهناك علم إقامة الدول ، وتاريخ عمليات التنفيذ السابقة والمعاصرة .

وهناك قضية التعرف على أصناف الناس ممايخدم قضيتنا :

(أ) معرفة رجال الأحزاب .

(ب) رجال العلم والأدب والأعيان .

(جـ) رجال الحكومة وكبار الموظفين لمعرفة المخلص الأمين من غيره .

(د) أصحاب الفعاليات الاقتصادية والسياسية .

فعلى الأخ المربى أن يدرب الأخ على الاتصال بزوار بلده ، وعلى السفر والتعرف والزيارات ، وتتبع الأخبار ، ودراسة كتب التراجم والمذكرات ، والاطلاع على ما يُكتب عن واقعنا العام ، وتتبع أخبار الحوادث السياسية والانقلابات ، والتعرف على تاريخ القُطر القريب ، وحضور المحاضرات والندوات ، وهناك العلم الذى يساعدنا على الكتابة وعلى إقامة الحجة ، وهناك الكتب التى تُغنينا بالتجارب العالمية الضخمة من مذكرات كبار السياسيين والمحاربين فى العالم .

(د) القدرة على النقل والتطبيق :

يجب أن يربى الأخ على القدرة على نقل ما عنده للآخرين ، فيكون قادراً على نقل الآخرين للشرع وربط كل شىء فيه جوازاً وعدماً ، ويكون قادراً على تطبيق الشرع على ما يجرى جوازاً أو عدماً فى كل قضية من القضايا ، بحيث يبقى مَن حوله دائماً مشدودين إلى الإسلام وحركة أهله ، هذه جوانب خمسة كل منها هام فى عملية التكوين ويجب أن تُلاحَظ .

ثانياً ـ معوقات النضج الإسلامى :

(أ) المناخ الجاهلى غير الملائم : بمؤسساته ومظاهره وفساده وفسوقه ونزواته . وهذا أقسى وأعتى من الجيوش بأسلحتها وفتكها .

(ب) رواسب الجاهلية فى الأنفس : إن كُلاً منا قبل أن يسير فى الطريق إلى الله ، كان متأثراً إلى حد ما بهذه الجاهلية ، إما بتعبيراتها ، أو سلوكها ، أو تصوراتها ، أو مظاهرها ، أو وسائلها العملية بسبب ما يسمع أو يقرأ أو يرى ، وكثيراً ما تبقى الجاهلية مؤثرة بنا ، أو ضاغطة علينا ، أو فارضة نفسها على أوضاعنا بعد سيرنا فى حزب الله ، وهذا كله يؤثر على النضج ويعرقله ،

إذ يجب أن يصفو حزب الله صفاءً تاماً عن كل ما هو من أوضاع الجاهلية أو آثارها ومظاهرها ، ومن مظاهر رواسب الجاهلية فى أنفسنا :

١ - استعمالنا لتعبيرات غيرنا ، وقولنا لتصوراته سواء فى تقسيم الناس أو فى النظرة إليهم ، أو باستعمالنا تعبيراتهم فى المدح والذم : ثورى ، انتهازى ، لا عنف ، نقد ذاتى ، برجوازى ، رأسمالى ، اشتراكى ، بروليتارى .

٢ - عدم قدرتنا على التخلص من أمراض النفس ، أو على التحقق بكمالاتها : « الكبر - الخيلاء - عدم قبول النصح - الغرور - الاستعلاء - الغضب والانفعال فى غير ذات الله » .

٣ - رغبتنا فى استعمال طريق الخصوم فى العمل العام : نشر الإشاعات الكاذبة ، الحرص على أصوات الناخبين على حساب الدعوة والعقيدة ، الاستبداد فى الرأى ، المناورات السياسية داخل الجماعة .

فلا بد أن يلاحِظ الأخ نفسه ليتخلص من كل أدران الجاهليـة المنتنة ، ولا بد للإخوان أن يلاحِظ بعضهم بعضاً ، ولا بد للقائمين بأمر التربية من أن يلاحظوا هذه المعانى ويحددوها ، وينبهوا الأعضاء عليها ، ليوجَد الصف الربانى الكامل . والطريقة الوحيدة لإزالة معوقات النضج أو لإعدام تأثيرها هى تأمين المناخ للأخ كى يعيش فيه وينمو . والمناخ الملائم هو :

(أ) الذى يؤمِّن للأخ أكبر قدر ممكن من المعرفة عن الإسلام والثقافة الإسلامية .

(ب) الذى يُوفِّر الصحة الدائمة للعناصر .

(جـ) الذى يجعل الأخ متحركاً حركة جهادية دائمة .

(د) الذى لا يوجد فيه إثم ولا خطيئة ولا منكر .

(هـ) الذى يوجد فيه الجو العملى الذى يُجدِّد حيوية الإيمان فى قلب الأخ .

وهذا لا يتم إلا بالربط فى المسجد علماً وعملاً ، وبحضور الحلقات العلمية والجماعات ، وبسلامة الأسر والتحرك بحركتها ، وبكثرة الاتصالات الخاصة ،

إذ يجب أن يصفو حزب الله صفاءً تاماً عن كل ما هو من أوضاع الجاهلية ، أو آثارها ومظاهرها ، ومن مظاهر رواسب الجاهلية فى أنفسنا :

١ - استعمالنا لتعبيرات غيرنا ، وقولنا لتصوراته سواء فى تقسيم الناس أو فى النظرة إليهم ، أو باستعمالنا تعبيراتهم فى المدح والذم : ثورى ، انتهازى ، لا عنف ، نقد ذاتى ، برجوازى ، رأسمالى ، اشتراكى ، بروليتارى .

٢ - عدم قدرتنا على التخلص من أمراض النفس ، أو على التحقق بكمالاتها : « الكبر - الخيلاء - عدم قبول النصح - الغرور - الاستعلاء - الغضب والانفعال فى غير ذات الله » .

٣ - رغبتنا فى استعمال طريق الخصوم فى العمل العام : نشر الإشاعات الكاذبة ، الحرص على أصوات الناخبين على حساب الدعوة والعقيدة ، الاستبداد فى الرأى ، المناورات السياسية داخل الجماعة .

فلا بد أن يلاحظ الأخ نفسه ليتخلص من كل أدران الجاهليـة المنتشـة ، ولا بد للإخوان أن يلاحِظ بعضهم بعضاً ، ولا بد للقائمين بأمر التربية من أن يلاحِظوا هذه المعانى ويحددوها ، وينبهوا الأعضاء عليها ، ليوجَد الصف الربانى الكامل . والطريقة الوحيدة لإزالة معوقات النضج أو لإعدام تأثيرها هى تأمين المناخ للأخ كى يعيش فيه وينمو . والمناخ الملائم هو :

(أ) الذى يؤمّن للأخ أكبر قدر ممكن من المعرفة عن الإسلام والثقافة الإسلامية .

(ب) الذى يُوَفِّر الصحة الدائمة للعناصر .

(جـ) الذى يجعل الأخ متحركاً حركة جهادية دائمة .

(د) الذى لا يوجد فيه إثم ولا خطيئة ولا منكر .

(هـ) الذى يوجد فيه الجو العملى الذى يُجدّد حيوية الإيمان فى قلب الأخ .

وهذا لا يتم إلا بالربط فى المسجد علماً وعملاً ، وبحضور الحلقات العلمية والجماعات ، وبسلامة الأسر والتحرك بحركتها ، وبكثرة الاتصالات الخاصة ،

والتكليف - غير المجهد - بعمل خالص لله سبحانه ، وبعزل الإخوان المبتدئين روحياً وعملياً عن المشككين والمثبطين والثرثارين والمزّاحين بغير الحق ، وبالتعاون مع الأخ فى أمر زواجه ومعاشه .

وقد تنفرد منطقة دون منطقة وبلد دون بلد بأوضاع غير مساعدة ، فعلى القيادة أن تُرسل مَن يُزيل القصور ، ويُجدد الحيوية ، ولكن إياها أن تُرسل مَن لا يفهم نفسية المنطقة ، ومن لا يقدر على اكتساب احترام أهلها ، فإنه سيزيد الأمر سوءاً - والله أعلم - .

ثالثاً - طرائق التربية :

فى الكلام عن التكوين لا بد من الكلام عن طرائق التربية التى يسلكها المربى فى عملية تربية إخوانه وهذه هى :

(أ) التربية بالحال والقدوة والأسوة : إن هذه الطريقة أم الطرائق وأضمنها وأسرعها ، وذلك أن الإنسان يقتدى بأعمال مُربيه ، وعما يُبديه من حركات وأقوال ، ويُقلّده فيها . إن الأخ لا يكون ثرثاراً عندما يكون مُربيه صامتاً ، ولا يكون هازلاً حين يرى مُربيه جاداً ، ولا يلعب بالشطرنج وغيره عندما يكون مُربيه مُنوَّر القلب مُقبلاً على الآخرة .

(ب) النصيحة ومعالجة العيب : إن المربى يحاول أن يدل إخوانه على عيوبهم بكامل الأدب وبغاية اللُّطف وبمنتهى السرية ليتخلصوا منها ، أحياناً يتكلم بصراحة ، وأحياناً يُطالِب بقراءة كتاب له علاقة بالعيب - كبحث « الغرور » للغزالى - لمن عنده غرور ، وأحياناً يقص قصة ، وأحياناً يُلمّح ، وليس المهم ذكر العيب وإنما المهم تنقية الأخ منه . والسخرية والتشهير حرامان لا يجوز أن يقع فيهما المربى أبداً : ﴿ قَالُواْ اتَتَّخِذُنَا هُزُواً ، قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [1] .

(جـ) التدرج والانتقال : إن إنساناً لا يستطيع أن يحصل على شىء دفعة

---

(1) البقرة : ٦٧

واحدة ، لا فى الأخلاق ، ولا فى العلم ، لذلك لا بد من التدرج الدقيق فى التطبيق فى الفروض النوافل ، وفى العمل الجهادى : من الزيارة إلى الدعوة الفردية ، إلى الدرس والحلقة .. وفى العلم : من الكتاب ، إلى السُّنَّة ، إلى العقائد .. خطوة خطوة حتى يتم الوصول . أما اذا كان الدفع نحو الوصول إلى الكمال سريعاً شديداً فقد يحدث ذلك فترة ، ثم يؤدى إلى انقطاع .

رابعاً ـ تعويد الأخ على إنجاز المهمات والنجاح فيها :

العادة أن النجاح الصغير يدفع نحو النجاح الكبير ، والذين لا ينجحون فى الجزئيات لا ينجحون فى الكليات . وعلى هذا فإن مهمة المربى أن يدفع الأخ نحو أهداف قريبة ليحققها : دعوة إنسان للدعوة ، إنهاء منكر بالوسائل الحكيمة ، جلب إنسان إلى حلقة ، تتبع وضع من الأوضاع وتقديم تقرير فيه ، الإشراف على تنظيم رحلة للدعوة إلى الله .

خامساً ـ حمل الأخ على التفكير لتنمية ملكاته على حل المشاكل ، وإبداء الرأى ، والمشاكل العملية فى سير العمل ضمن المرحلة التى فيها الأخ :

وعلى المربى أن يكون كثير المشاورة قادراً على البت بآن واحد ، ولا ينجح مُربٍّ إلا إذا كان إخوانه يثقون فيه ثقة تامة . فالثقة هى التى تنبع عنها الطاعة ، و « حزب الله » كتنظيم يهمه أكثر ما يهمه الطاعة والتقوى ، ولقد قال كل رسول لقومه : ﴿ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [1] . وبالطاعة يتميز المسلم المنظم عن غيره ، إذ المنظم عنده قدرة على الجندية والطاعة ، وغير المنظم ليس كذلك ، ومن ليس قادراً على الجندية لا يكون قادراً على القيادة ، ومن ثَمَّ يبقى المسلمون بلا قيادة . إن المربى بسلوكيته الرائعة وفهمه الجيد ومثاليته الرفيعة ، هو الذى يحل مشكلة الفوضى عندما يستطيع أن يربى المسلم على الطاعة المبصرة الخيِّرة .

* * *

---

(١) آل عمران : ٥٠ ، الشعراء : ١٠٨ ـ ١١٠ ـ ١٢٦ ـ ١٣١ ـ ١٤٤ ـ ١٥٠ ـ ١٦٣ ـ ١٧٩ ، الزخرف : ٦٣

الفصل الثامن

أفضليات فى العمل

طرحت مرة تساؤلات على بساط البحث بين العاملين للإسلام : ما هى نقطة البداية ؟ ماهو الواجب الأول ؟ ونقول :

إن نقطة البداية فى العمل ، هو البحث فى المنطقة والمجال عن الأعضاء الذين يصلحون أن يكونوا أعضاء نقباء أو نواباً ، ثم تكوين هؤلاء تكويناً صالحاً ، ثم يكون الانطلاق ، على أن يُوجِد هؤلاء الأعضاء المناخ المناسب للعمل . فهذه قضايا ثلاث :

١ ـ البحث عن العضو النقيب أو النائب فى المنطقة والمجال : العمل من خارج المنطقة فى المنطقة . ومن خارج القرية فى القرية ، ومن خارج مكان العمل فى العمل ، لا يعطى ثماراً ولا يمتن جذوراً ، كما يعطيها ويمتنها لو أن العامل فى المنطقة من المنطقة ، والعامل فى القرية من القرية ، والعامل فى المجال من المجال ، خاصة إذا كان العامل عنده قدرات جيدة ورؤية واضحة . إن ابن المنطقة أدرى بالمنطقة وابن القرية أدرى بها ، وابن المجال أدرى به . قال تعالى : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ [1] ، ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ﴾ [2] . إن الجماعة لا تعرف المنطقة حق المعرفة إلا اذا كان لها ركائز من أبناء المنطقة ، ولا تستطيع أن تطمئن إلى السير إلا اذا كانت المسألة كذلك ، ولذلك جرت الحكمة الإلهية ـ كما أشرنا ـ أن يُرسِل الله للأقوام رسولاً منهم وذلك قبل رسالة رسولنا ﷺ العامة ، مما يدل على أهمية ذلك فى العمل . ولذلك فإن

---

(١) هود : ٥٠

(٢) هود : ٦١

أهم شيء في العمل هو البحث عن العناصر المؤهَّلة للوصول إلى عضوية النقيب أو النائب في المناطق والبلاد والقُرى ومجالات العمل ، والتركيز عليها من أجل إيصالها إلى العضوية القيادية . إن علينا أن نبحث وأن ننقب عن أصحاب الاستعداد من أجل التركيز عليهم ، ليكونوا أداة نقل الدعوة كاملة إلى كل منطقة ، وإلى كل قرية ، وإلى كل بلد . وأن نقل الدعوة يحتاج إلى عناصر مقبولة موثوقة معدلة ، لأن ذلك أقرب إلى سير الدعوة ، فالناس يؤمنون بالشخص أولاً ثم بدعوته ، وما لم يكن ناقل الدعوة على كمال من جهة ، ورؤيته للأمور واضحة من جهة أخرى ، فإن الدعوة يُخشَى عليها من عدم السير ، وإذا سارت خُشِيَ عليها من العثار . لذلك لا بد من تكوين العضو القيادي ، بعد العثور عليه على كل مستوى وفي كل مجال ـ بقدر المستطاع ـ ، وحيث لا يكون لنا عضو نقيب ، فإن علينا أن نُفرز عضواً نقيباً ليبدأ البحث والتنقيب والعمل والاتصال والتكوين ، ولو أننا فرزنا للعمل أكثر من واحد لكان ذلك أجود . قال تعالى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ (١) . وهذا أقوى للعمل نفسه ، ليكون أكثر من أخ على علم بمدى السير في هذا القطاع ، فإذا ما حدث لعضو حدث تابع الثاني العمل .

٢ ـ نقطة البداية إذن صناعة الرجال ، إن كثيراً من الدعاة يشغلون أنفسهم ابتداءً بمشاريع جزئية عمرانية . أو غير عمرانية تعالج جزءاً من المشكلة ، أو تعالج مشكلة ، وكثيراً ما يستفرغون طاقاتهم بأمور مردودها قليل ، وإذا صلحت النية فكل ذلك طيب . ولكن البداية لا يصلح لها شيء من ذلك ، إن العاملين في الجماعة الإسلامية لا يصح أن يستنفذوا طاقاتهم في الابتداء إلا في تكوين الرجال ، ريثما يتكوَّن الصف العريض ، الذي يمكن أن يعمل في تكوين الرجال ، وفي الوقت نفسه يستطيع القيام ببعض المشاريع الأخرى . إنه عندما يكون في المركز الواحد عشرة عاملين ، ثم نحاول أن نُقيم مشروعاً ـ ما ـ ففي الغالب أن ذلك يؤدي بنا إلى أن نترك الشيء الأساسي ، الذي هو الدعوة

---

(١) القصص : ٣٥

والتكوين ، لنُفرغ طاقاتنا فى جوانب جزئية . إن المرحلة الأولى فى العمل لا يجوز أن يكون لنا هَمٌّ فيها إلا البحث عن الرجال وتكوينهم ، ولا نتبنى من المشاريع إلا ما يحقق لنا مثل هذا الغرض ، وقد نتبنى فى مرحلة الابتداء مشروع تفريغ دعاة ، مثل هذا لا بأس به ، لأن هذا يساعدنا على وجود عناصر تنتج فى حقل تكوين الرجال وقد نتبنى مشروع سلسلة محاضرات ، أو إقامة دورات تعليمية إسلامية ، أو نفتح حلقة فى مسجد ، لأن ذلك يساعدنا على الوصول إلى الرجل الذى نضمه إلى الصف ، ثم نربيه التربية الكاملة فما كان من العمل من مثل هذا فذلك صالح فى ابتداء الأمور ، وما كان غير ذلك فلا ، إلا إذا كان حلاً لمشكلة أخ من إخواننا ، أو شىء لا بد منه لصالح العمل . إن صناعة الرجال مُقدَّمة فى الابتداء على بقية الأعمال ، وتبقى هذه خطة عمل لنا حتى يُوجَد عندنا فائض فى الرجال عندئذ نفكر فى إنشاء المشاريع وغيرها .

إنك لا تستطيع أن تفتح مدرسة قبل وجود ملاكها الإدارى والتدريبى ، ولا تستطيع أن تُغرق نفسك فى مشاريع طويلة وكبيرة ومتعددة وليس عندك الرجال الأكفاء لمثل هذا ، وإذا وُجِدَ الرجال الذين يكفون هذه المشاريع فعلينا أن نفكر : هل هذا سيكون على حساب العمل الأساسى أم لا ؟ وهل سيكون على حساب توسع الدعوة أم لا ؟ وهل المهم التوسّع فى العمل أم إتقان العمل بحسب المرحلة التى نحن فيها ؟ . إن شيئاً لا يصح أن يصرفنا فى الابتداء عن تكوين الرجل تكويناً حقيقياً وكاملاً وسليماً .

٣ ـ ثم يكون الانطلاق على ضوء ما مر فى الفصول السابقة .

* * *

الباب الرابع

الواجبان الدائمان ..
التكميل والاستكمال

١ ـ لا شك أن هناك أفضليات فى العمل الإسلامى ، هذه الأفضليات تحددها أشيا، كثيرة . فمثلاً عندما تكون فى موسم من مواسم السنة ـ كرمضان ـ فأنت مُطالَب بأن تعطى هذا الموسم حقه فى العمل : إما فى حقل الدعوة ، أو فى حقل التعليم ، أو فى حقل التربية ، أو فى حقل توجيه إخوانك إلى ما ينبغى فعله ، أو فى حقل تفريغ ذاتك لمقتضيات هذا الشهر فى الله ولله ، وهكذا تجد نفسك فى أفضلية ينبغى أن تراعيها .

وقد تجد نفسك ـ فجأة ـ أمام أحداث تمر على قُطر من أقطار الأمة الإسلامية ، وتستشعر أنك لست أمام خيار فى ألا تفعل شيئاً ، وفجأة تجد نفسك مضطراً لأن تُوَجه طاقاتك نحو موقف ـ ما ـ تجاه هذه الأحداث ، ويصبح للموقف تجاه هذا الحدث أفضلية تفرض نفسها عليك ، أفضلية تتوجه الطاقات كلها من أجله .

وقد تجد نفسك ـ فجأة ـ أمام ظاهرة مرضية داخل الجماعة أو فى الأمة ، فتستشعر أنك أمام أفضلية مفروضة عليك : هى أن تعالج هذه الظاهرة أولاً وقبل كل شىء ، وتستشعر أنك لا تستطيع أن تتجاوزها ، ولذلك تُوَجه طاقاتك كلها من أجلها .

هذا كله وأمثاله كثير : يجعلك أمام أفضلية ـ ما ـ إما بسبب وقت ، أو بسبب مرحلة ، أو بسبب وضع داخلى أو خارجى . ولا شك أن من جملة مظاهر

التوفيق الربانى أن تكون القيادات الإسلامية مدرسة لما ينبغى فعله فى كل مرحلة ، وقادرة على ما ينبغى فعله فى كل مرحلة ، وسائرة فى الطريق الصحيح لتحقيق أهداف كل مرحلة بما يُرضى الله - عز وجل - . غير أن هناك مهمتين دائمتين بقدر الانتباه لهما ، وبقدر إعطائهما لوازمهما يكون نجاحنا الآنى والمستقبلى . وبقدر إهمالهما لا يمكن أن يتم شىء ، ولا أن ننجح فى شىء . ومن ثمّ ينبغى أن نُعطى هاتين القضيتين أفضلية خاصة وبشكل دائم ، لأنه من خلال الاتقان لهما ، يسهل علينا أن ننفذ واجبات كل مرحلة على أعلى مستوى ، هاتان القضيتان هما : قضية تكميل الإنسان ، واستكمال الأجهزة .

٢ - إنه بقدر ما يكون عندنا إخوة وأخوات مستكملون لجوانب إيجابية تكون إمكانياتنا كبيرة . وبقدر ما يكون عندنا أعضاء مستكملون لمواصفات كمال ، ولميزات عمل تنصب كلها فى البناء يكون الإنتاج كبيراً . وبقدر ما يكون عندنا أعضاء مستكملون لشروط الكمالات الربانية يكون سيرنا مُرضياً عند الله - عز وجل - . إن مليون صفر لا تخرج عن كونها صفراً واحداً ، وألف رجل كل منهم بألف يعدلون مليوناً من الرجال .

هذا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أمد عمرو بن العاص بأربعة رجال وأعلمه أنه أمده بأربعة آلاف . والرسول ﷺ قال فى الحديث الصحيح : « الرجال كإبل مائة ، تكاد لا تجد فيها راحلة » . إن تكميلنا لإخواننا - ليكون كل منهم راحلة - هو الواجب الدائم الذى يتوقّف عليه نجاحنا فى كل شىء ، وعندما نهمل هذا الواجب فإن أمورنا كلها تكون إلى تقهقر وتراجع . وإنه بقدر ما يكون عندنا أجهزة قادرة على أن تفعل شيئاً - ما - فى قضية - ما - إذا كانت مصلحة تقضى ذلك ، وبقدر ما تكون أجهزتنا متعددة بتعدد لوازم العمل أو بتعدد مقتضياته ، وبقدر ما تُوجَد عندنا الأجهزة ذات الكفاءة العالية فى معالجة كل ما يُتصور أن يمر علينا ، أو نحتاجه حالاً واستقبالاً ، قبل السلطة وبعدها ، إنه بقدر ما يكون عملنا مكافئاً للواجبات الكثيرة الملقاة على عاتقنا : نكون جاهزين لتحمل ثقل كل مرحلة ، ومستعدين دائماً لتجاوز مرحلة

والانتقال إلى غيرها . ومن ثمّ فكل الأفضليات يتوقف نجاحها على هاتين الأفضليتين اللتين ذكرناهما .

٣ ـ إن هناك كثيراً من الحركات الإسلامية تفشل فى التكميل ، فتفشل وتضيع وتنتهى ، تصل فى الدنيا إلى الخذلان ، وفى الآخرة إلى النار . وإن هناك كثيراً من الحركات الإسلامية تفشل فى العمل المكافئ، لروح العصر فتتلاشى وتضيع . لنلاحظ الحديث الشريف الصحيح الذى أطبق الشرّاح على أنه فى شأن الخوارج : يقول عليه الصلاة والسلام : « يخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام ، قولهم من خير قول البرية ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، إيمانهم لا يجاوز حناجرهم ، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم ، فإن لقاتلهم أجراً يوم القيامة » ـ أو كما قال عليه السلام . فى هذا الحديث يحدثنا رسول الله ﷺ عن طائفة لم تستطع أن تنتقل من مرحلة الدعوى اللسانية إلى مرحلة الإيمان القلبى ، فالإيمان عندهم لم يجاوز الحناجر . فلو عجزنا ـ لا سمح الله ـ عن الانتقال بالمسلم من مرحلة الدعوى اللّسانية إلى مرحلة الإيمان القلبى الذوقى الشعورى ، أو عجزنا أن نجعل العمل الإسلامى ينبثق عن قوة إيمان بدلاً عن أن ينبثق عن قوة نفس فإن هذا العجز سينتهى بنا ـ والعياذ بالله ـ إلى كوارث فى الدنيا وعذاب فى الآخرة .

ولو أننا وقعنا مثلاً فى دائرة الفراغ التالية : نعمل لنكسب أخاً فى مرحلة من مراحل الدراسة ، فتُفَجّر حماسه فى مرحلة ـ ما ـ ، ثم نجدنا عاجزين عن استيعابه وتفجير طاقاته فيما بعد ، لنجده يتلاشى شيئاً فشيئاً ، حتى ينتهى إسلامياً . فكيف يكون حالنا وقتذاك ؟ إن صفنا فى هذه الحالة يبقى فى مرحلة واحدة لا يتجاوزها ، فلا نمو للأفراد حتى يكملوا ، ولا نمو لأجهزة الجماعة حتى تستطيع أن تحقق الأهداف من خلال العناصر والأجهزة القادرة على ذلك .

٤ ـ ولا شك أن هناك تلازماً بين التكميل والاستكمال ، فبقدر ما نكمل الأعضاء نستطيع أن نستكمل الأجهزة ، لأن الأجهزة المبنية على رجال غير مكمَلين ولا مؤهَلين : هى صور لا حياة فيها ولا حيوية ، وهى أعجز من أن

تستطيع أن تفعل شيئاً فى اللحظة المناسبة . إننا حركة تجديدية فى هذه الأمة ـ بإذن الله ـ ، ولا تجديد بلا رجال أخذوا حظهم من الكمالات الإسلامية ، ولا تجديد بلا أجهزة قادرة على أن تجدد كل ما فى هذه الأمة ، وقادرة على أن تُغيّر كل جزئية من جزئيات مسيرة هذه الأمة نحو الأكمل ، وقادرة على أن ترفع راية الإسلام على كل صعيد من أصعدة العمل : بما يغطى احتياجات كل مرحلة من المراحل . ولسنا أمام خيار !! فإما أن نكمل ونستكمل ، وإما أن نُضَيِّع ونضيع فى هذه الدنيا وفى الآخرة .

ومن أجل هذا ومن أجل ما سبق أفردنا الكلام عن هاتين النقطتين ولوازمهما فى هذا الباب .

* * *

البحث الأول

الاستكمال

المراد بالاستكمال : استكمال الأجهزة . واستكمال الأجهزة قضية لا تنتهى ، فكل مرحلة تحتاج إلى أجهزتها . فمرحلة ما بعد الحكم تحتاج إلى أجهزتها ، ومرحلة ما قبل الحكم تحتاج إلى أجهزتها ، وكلا المرحلتين يحتاج إلى أجهزة متعددة متطورة متجددة فى كل جزء من السير .

وكل جهاز يحتاج إلى تأهيل خاص للقائمين أو القائمات عليه . فليس الهدف الجهاز ، وإنما الهدف أن يحقق الجهاز الهدف الذى أنشىء من أجله . وبقدر ما يكون الاختيار للجهاز صحيحاً ، وبقدر ما يكون التأهيل عالياً ، وبقدر ما يقوم الأخ بواجبه ، وبقدر ما يكون الجهاز يشكل احتياجاً حقيقياً للجماعة : يكون الأجر والإنتاج وجودة البناء وقرب كماله .

* * *

وعندما نشعر أننا بحاجة إلى جهاز ، فعلينا أن نحدد مهمة هذا الجهاز وواجباته وحقوقه وصلته ببقية الأجهزة ومحله فيها . ثم لا بد من ملاحظة الخصائص التى ينبغى أن تتوافر بعناصر هذا الجهاز . ووضع البرامج والمناهج اللازمة لتأهيلهم من أجل أن ينجحوا فى مهمتهم . ثم وضع كل ما يلزم بين أيديهم للنجاح فى مهماتهم من الناحية المادية أو المالية أو البَشرية .

والأجهزة الرئيسية التى نحن بحاجة اليها :

١ ـ جهاز التعريف .
٢ ـ جهاز التكوين .
٣ ـ جهاز التنفيذ .
٤ ـ الجهاز المالى .
٥ ـ الجهاز السياسى .
٦ ـ جهاز الدعوة والإعلام .

والجهاز لا يكمل دفعة واحدة ، ولا ينضج دفعة واحدة ، ولا تتضح خطوط العمل به إلا بعد فترة من البدء ، والاستفادة من تجارب الإخوة فى كل مكان . ومن ثمَّ ينبغى على كل مستوى ـ من مستوى الشُعبة إلى مستوى مكتب الإرشاد ـ أن تُعَمم التجارب ، وأن تُوضع تجارب الأخ الأقدم فى الجهاز أو المنتقل من الجهاز إلى غيره تحت تصرف العاملين الجُدد فى الجهاز . وليس هذا الكتاب محل تفصيل فى هذه الشؤون ، فلنكتف بهذا القدر .

* * *

البحث الثانى

التكميل

إذا اعتبرنا التكميل والاستكمال هما الواجبان الدائمان ، فإن التكميل هو الواجب الأول فيهما . لأن استكمال الأجهزة يتوقف على تكميل الأعضاء الذين يملأون هذه الأجهزة ، ويعطونها حياتها ، ويؤثرون فى نجاحاتها .

ويدخل فى التكميل :

١ ـ التكميل فى الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والصبر .

٢ ـ التكميل فى الأخلاق والآداب .

٣ ـ التكميل فى التدريب الجسمى .

٤ ـ التكميل فى التدريب الأمنى .

٥ ـ التكميل فى التدريب الروحى .

٦ ـ التكميل فى الثقافة الإسلامية .

٧ ـ التكميل فى الثقافة المعاصرة .

٨ ـ التكميل فى التأهيل للعمل الإسلامى .

٩ ـ التكميل فى مقامات السير إلى الله .

١٠ ـ التكميل فى التدريب الدعوى العملى .

١١ ـ التكميل فى مراتب العضوية .

١٢ ـ التكميل فى الاختصاص الحياتى ليكون صاحبه إنسان قمة فيه .

فعملية التكميل عملية متعددة الجوانب ، ولا بد أن نعطيها مداها من كل جوانبها . وعلى العضو نفسه أن يبذل جهداً دائماً ليكمل نفسه ، ولا ينتظر

العضو أن تأتيه الأوامر من غيره ، ولا ينتظر الكمال من خلال التسويف دون بذل الجهد ، ولا ينتظر العضو أن يحدث الكمال بشكل مفاجىء - وقديماً قالوا : « مَن لم تكن له بداية مُحرقة لم تكن له نهاية مُشرقة » .

إن هناك كثيراً من الأمور متوقفة على الجهد الفردى . وهناك بعض الأمور تحتاج إلى أخذ من الآخرين . وقسم كبير من أمور التكميل يستطيع الإنسان أن يأخذه دون أن تكون الجماعة شرطاً فيه : فمثلاً يستطيع الإنسان أن يُتقن الفقه من خلال الفقهاء ، والتجويد من خلال القرّاء ، والنضج الروحى من خلال الاجتماع بالصالحين دون أن يرتبط بهم برباط يُقيّده ، وما فاته من أحدهم يستطيع أن يحصله من آخر ، والكمال الجسمى يستطيع أن يُحَصّله من النوادى القائمة .

وهناك بعض الأشياء هى التى لا بد فيها من الجماعة ليكمل الإنسان بها ، وإنما قلنا هذا لا لنحلل الجماعة من مسؤولياتها ، ولكن لنسارع فى عملية التكميل ، بأن يبذل كل عضو - أخاً أو أختاً - جهده فى نفسه ، وألا يُعَلّق أمراً من الأمور على الغير ، مع التسليم أن على الجماعة أن تبذل جهداً كاملاً فى هذا . ولنبدأ التذكير بجوانب التكميل :

١ - التكميل فى الإيمان والعمل الصالح :

أقسمَ اللّه - عز وجل - بالعصر على أن الإنسان - رجل أو امرأة - فى خُسر إلا اذا اجتمع له الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ ﴾ [1] . ومن مظاهر التواصى بالحق : الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ولذلك نجد أن الفلاح أعطاه اللّه - عز وجل - للدعاة إلى الخير الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر . قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [2] . ومن هذا كله

---

(١) سورة العصر (٢) آل عمران : ١٠٤

تُدرك أنه لا فلاح عند الله إلا بالإيمان والعمل الصالح ، والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتواصى بالصبر على ذلك كله . ولذلك كان تكميل الإنسان فى هذه الشؤون هى البداية الصالحة لسير يضع فيه الإنسان قدمه فى الجنة بإذن الله .

* * *

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ [1] . ذكر النسفى فى تفسيره أن المراد بالأرض هنا : أرض الشام . فإنها موعود بها الصالحون من عباد الله ، ولا يُحكم بصلاح فرد أو جماعة إلا اذا اجتمع له إيمان وعمل صالح . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ [2] . وقد اعقب الله ـ عز وجل ـ آية الوراثة بقوله : ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ [3] . دلّ ـ سبحانه ـ بذلك على أن قضية الصلاح مرتبطة بموضوع العبادة . ومن مجموع هذا نفهم : أن وراثة الشام هى لمن اجتمعت له العبادة باجتماع الإيمان والعمل الصالح ، فإذا اجتمعت هذه المعانى فى جماعة فإن لها إرث الشام ـ على القول بأن المراد هنا بالأرض بلاد الشام ـ . ولكن قد يكون المراد أوسع من ذلك ـ وهو اتجاه عند المفسرين ـ فالأرض كلها يرثها الصالحون ، وفى الله أمل ، وعلينا أن نُحسن العمل .

* * *

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ [4] . ومن هذه الآية نفهم أنه من اجتمع له الإيمان والعمل الصالح هو وحده الذى لا يظلم مخالطه ، وإذ

---

(1) الأنبياء : ١٠٥ ـ ١٠٦
(2) العنكبوت : ٩
(3) الأنبياء : ١٠٦
(4) سورة ص : ٢٤

كان العمل الجماعي يقتضي خُلطة ومخالطة . فإن انعدام الظلم في العمل الجماعي لا يتم إلا إذا وُجِدَ استغراق بالإيمان والعمل الصالح . ومن ثمَّ كان الاحتراق في قضايا الإيمان والعمل الصالح شرطاً لقيام عمل جماعي إسلامي ، يتحقق فيه العدل ، وينتفي منه الظلم .

* * *

الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر هي الأساس وهي البداية والنهاية . ومن أجل الوصول إلى ذلك نقترح أن يعتمد لهذا النوع من التكميل : سلسلة الأصول الثلاثة ، ورسالة المأثورات ، ومبدأ التناصح ، وأشياء أخرى .

فأوراد الأخ في هذه المرحلة ثمانية :

وِرد الصلاة ، ووِرد الصوم ، ووِرد الإنفاق ، ووِرد الذِكر ، والوِرد القرآني ، ووِرد العلم والمطالعة الهادفة ، ووِرد التناصح ، ووِرد الاجتماع على الخير . فإذا ما استمر الأخ على هذا الأوراد ، رُجِيَ له أن يتحقق بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر ليكون من الصالحين .

وههنا تفصيلات ولفت نظر ، فلننطلق قليلاً في ذكر بعض المتفرقات التي تصب في هذه الشؤون .

* * *

لنتساءل : ما هي الترتيبات المقترحة للتحقق بهذا النوع من الكمال ؟

أول هذه الترتيبات هو دراسة سلسلة الأصول الثلاثة ، فقد كان الهدف الأول من التكليف بإخراج هذه الدراسات هو تعميق قضية الإيمان ، فلتكن دراسة هذه السلسلة إحدى هذه الترتيبات ، وقد جمع الأستاذ البنا ـ رحمه الله ـ رسالة المأثورات لتكون جامعة لأورادنا اليومية نحن الإخوان المسلمين . وذكر فيها أورادنا القرآنية وهي : وِرد الحفظ ، ووِرد السماع ، ووِرد التلاوة ، وذكر وِردنا

الجماعي اليومي والمتمثل بالوظيفة الكبرى أو الصغرى ، وذكر في آخر الرسالة ورداً سمّاه « ورد الدعاء » وهو : مائة استغفار ، ومائة صلاة على الرسول ﷺ ، ومائة مرة « لا إله إلاّ الله » . كما ذكر مجموعة من أذكار الصلوات ، فأذكار الأوقات والحالات . ومن ثمّ كانت دراسة هذه الرسالة والالتزام بما فيها إحدى هذه الترتيبات كذلك . وقراءة القرآن تقتضي إتقاناً لتلاوته ، وهذا يقتضي إتقاناً لعلم التجويد .

* * *

وأول ما يدخل في العمل الصالح : الصلاة والإنفاق والصوم والحج . ومن ثمّ كان لا بد من تركيز على الصلاة : فرائضها ونوافلها . وعلى الإنفاق : فريضته ونافلته . والصوم : فريضته ونافلته . وكذلك الحج ـ وهي قضايا تعرضت لها سلسلة الأصول الثلاثة ـ والتواصي بالحق يقتضي أن يعرف المسلم الحق وأن يُوصي به ، وأن يقبل الوصية فيه . والتواصي بالصبر يقتضي أن يكون الأخ صابراً ، وآمراً غيره بالصبر بآن واحد ، وهذه قضايا تقتضي دراسة والتزاماً وتذكيراً يومياً حتى تقوم .

إنه من خلال دراسة الأصول الثلاثة واستيعابها ، ومن خلال دراسة رسالة المأثورات والالتزام بما فيها من أوراد نُقبل بها على الله بقراءة القرآن والأذكار الجماعية والفردية ، ومن خلال إقام الصلوات والإتيان بنوافلها والمداومة على قيام اللّيل ، ثم اعتياد الإنسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويصبر في شأنه كله ويُوصي غيره بذلك . إنه من خلال هذا كله نطمع أن ننضج في نقطة البداية هذه .

وعلينا أن نُركز كثيراً على قيام اللّيل . فالرسول ﷺ يقول : « ... وصلاة الرجل في جوف اللّيل شعار الصالحين » . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾[1] . (أخرجه الترمذي من حديث طويل ، وقال عنه : حسن صحيح) . وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ

---

(1) السجدة : ١٦

قال : « عليكم بقيام الليل فإنه من دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله ، ومنهاة عن الآثام ، وتكفير السيئات ، ومطردة الداء عن الجسد » .
(رُوِىَ هذا الحديث بأكثر من سند ، وأحد أسانيده على شرط البخارى) .

* * *

إن ميزان النجاح فى هذه المرحلة أن يُتقن الإنسان تلاوة القرآن بإتقان علم التجويد ، وأن يكون للإنسان وِرده القرآنى من الحفظ والتلاوة ، وأن يكون له مع وِرده القرآنى ، وِرده من الذِكر المأثور : كالوظيفة الكبرى ، ووِرد الدعاء ، وأذكار المناسبات . وأن يكون له ـ مع هذا ـ : صلاته ، وصيامه ، وإنفاقه فى سبيل الله ، وقيامه ، وأوراد صلواته ، مع إتقانه للمواضيع المتعلقة بالأصول الثلاثة ، مع الممارسة العملية للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والصبر على ذلك كله .

* * *

إن التكميل فى هذه الجوانب كلها تعتبر إنضاجاً رائعاً للمسلم فى قضية هى من أهم القضايا .. ومما يُعين على النُضج فى هذه الأمور مخالطة أهلها والأخذ عنهم . فالبحث عن الصالحين والعُبَّاد والزُهَّاد والاجتماع بهم ـ مع الالتزام فى الجماعة وتمحيص ما يقولون ـ يساعد على النُضج ، والدراسة والحفظ وسؤال الإنسان عما أشكل عليه للعالِمين به ، يُساعد على النُضج ... وحضور دروس العلماء ، وحلقات الذِكر المأثور ، والخروج مع الدعاة إلى الله ، ومجالسة أهل الفضل والتأدب بآدابهم : كل ذلك يساعد على النضج . كم من صالح فى زاوية من الزوايا لو تردد عليه الإنسان نقله ذلك إلى سمو روحى كبير . وكم عالِم لو تردد عليه الإنسان لحصَّل الكثير .. وأخيراً نقول مؤكدين : إن القرآن ، وعلم التجويد ، والمأثورات ، وسلسلة الأصول الثلاثة ، والإقبال على العمل بما يُعَلِّم الإنسان : هى لوازم التكميل لهذه المرحلة .

* * *

فإذا أردنا أن نتحدث عن هذا الموضوع بشكل مُفَصَّل قلنا : لا بد لنضج الأخ ـ في كل ما ذكرنا ـ من إقبال على الصلاة والصوم والإنفاق ، ولا بد له من وِرد قرآنى ، ولا بد له من وِرد فى الذكر ، ولا بد له من وِرد من العلم ، ولا بد له من وِرد من التناصح أو التواصى . ويدخل فى وِرد العلم : رسالة المأثورات ، ورسالة في التجويد ، وكتاب الأصول الثلاثة ، ويدخل فى الوِرد القرآنى : وِرد الحفظ ، ووِرد التلاوة . وإذا كان الأخ حافظاً غير متقن ، يصبح وِرد الحفظ فى حقه وِرد تمكين ، ويدخل في وِرد الذكر : وِرد الدعاء ، ووِرد الوظيفة الكبرى أو الصغرى ، مع ملازمة أذكار المناسبات ، ويدخل فى ذلك أوراد الصلوات ، ويدخل فى الإقبال على الصلاة : إقامة الفرائض وسُنَنها الراتبة ، وإقامة الوتر ، وملازمة قيام اللَّيل ، وسُنَّة الضُحى . ويدخل فى الإقبال على الإنفاق : أنواع الصدقات . ويدخل فى الإقبال على الصوم : الإقبال على الفرائض والنوافل .

* * *

ومَن تأمل فيما ذكرناه يستشعر أن قسماً من هذه المعانى يحتاج إلى جهد فردى ، وقسم يحتاج إلى جهد مشترك . فالتناصح والتواصى يحتاج إلى جهد مشترك ، وبعض الدراسات تحتاج إلى جهد مشترك .

ولذلك اعتبرنا ورد الاجتماع أحد أوراد هذه المرحلة . ومن ثَمَّ كانت فكرة الالتحاق بحلقة أو أسرة من أهم الأمور التى يحرص عليها المسلم . ويحرص عليها الإخوان المسلمون ، ليتعاون المسلمون على إنضاج بعضهم : إيماناً ، وصلاحاً ، وتواصياً .

* * *

إن الالتزام بورد من الذِكر هو الطريق العملى للوصول إلى ذِكر دائم . والذِكر الدائم يكمل الصلاة ، والذِكر الدائم مع الصلاة مع قراءة القرآن أعمال صالحة تُنمّى الإيمان . والإنفاق عمل صالح وتنمية للإيمان . والاجتماع على الخير

عمل صالح ويُنمّى الإيمان . وفى الاجتماع تناصح وتواصٍ فتحقق أدب التواصى . وهكذا يتكامل السير لتحقيق الإيمان والعمل الصالح والتواصى من خلال مجموعة الأوراد المعتمدة .

* * *

فإذا أردنا أن نبرمج هذه الأمور ، فإن الطريق إلى ذلك هو أن نخصص لأنفسنا يومياً وقتاً للدراسة والمذاكرة والتواصى المشترك ، وليكن ذلك الوقت قليلاً حتى لا نمل . وهذا الوقت نستطيع تقسيمه وتوزيعه على التلاوة ، ودراسة المأثورات ، ودراسة الأصول الثلاثة . ويخصص جزء من الجلسة لدراسة الواجبات الفردية : باستعراض جدول الواجبات وتُختم الجلسة بشىء من التناصح والتواصى المشترك ، لنألف ونتقن النصح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وهذا كله غير البداية والنهاية المعتادتين : بالفاتحة وتلاوة العصر ، وقولنا : « سبحانك اللّهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلاّ أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » . وأما بالنسبة لدراسة الأصول الثلاثة : فبالإمكان أن نقرأها قراءة حرفية مع الشرح ، وبالإمكان أن نقرأها قراءة حرفية بلا شرح ، وبالإمكان أن يُلقيها الأخ النقيب إلقاءً كدرس عادى من الدروس ، ويترك بعد ذلك للإخوة دراستها حرفياً ، ويقدمون بها اختباراً ، وقد يجمع بين إلقاء بعض المعانى وقراءة بعض الفقرات ، وقد يكتفى الأخ بالتلخيص ، وقد يكتفى بالانتقاء ، وقد يكتفى بالمطالعة الفردية ، وقد يُكلّف بعض الإخوان بالتحضير والإلقاء . ويحكم هذا كله وضع الأسرة أو الحلقة أو الفرد .

وعلامة النجاح فى هذا التكميل : أن ينضج إيمان الأخ - الإيمان القلبى والإيمان العقلى - وأن ينضج علمه ، وأن يتقن تلاوة القرآن ، وأن تصبح قضايا الذكر والعلم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مألوفة له ، معتادة لديه .

* * *

والدورات عامل مساعد على الإسراع بالإنضاج . والاعتكافات ، والخلوات والاستغراق فى الأذكار ، وفى أنواع منها ، وإعطاء المناسبات حقها ـ كرمضان أو العشر الأوائل من ذى الحجة ـ . كل ذلك عوامل مساعدة فى التكميل .

وسنة كافية للنضج فى هذه المعانى كلها لتصبح حالاً للإنسان . وقد تُختصر السنة بأقل ، وقد يُضاف إلى هذا المنهاج منهاج آخر . وقد يُشارِك الأخ فى هذا ، ويأخذ غيره كثيراً من معان أخرى . وساعة فى اليوم كافية للجلسة المشتركة .

وهناك أفضليات فى ورد حفظ القرآن : فالسورة والآيات التى فيها ندب خاص تقدم فى الحفظ على غيرها ، وكذلك أولها تقديماً وأكثرها ندباً . وعلى المربى أن يلاحظ احتياجات الأخ الروحية ، فإذا رأى عنده جفافاً روحياً طلب منه أن يستغرق فى الأوراد والأذكار : كأن يطلب منه أن يذكر « لا إله إلا الله » كذا ألفاً ، على حسب ما يرى من احتياجات قلبه وروحه .

* * *

ويمكن أن يتم التكميل من خلال التكليف الفردى لبعض عناصر المجموعة : أن يكملوا بعضهم فى موضوع يتقنه أحدهم . وهذا يظهر عندما يكون أفراد المجموعة متفاوتين فى شأن : كأن يكون أحدهم مثلاً يتقن علم التجويد وآخرون لا يتقنونه . فبالإمكان فى هذه الحالة أن يُكَلَّف المتقن تعليم غير المتقن . وبهذا تختصر المجموعة عملية التكميل من خلال تكافلها وتكاملها .

وعندما تكون مجموعة هذا شأنها ، فبالإمكان أن يعين المربّى شيئاً للدراسة المشتركة ، ويكون تركيزه الأكبر على القضايا العملية فى السير إلى التكامل فى شئون الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، لتنضج المجموعة كلها ، سواء أكانت أسرة أو غير ذلك .

وهذا النوع من التكميل لا تختلف فيه المرأة عن الرجل كثيراً . فالمرأة المسلمة ينبغى أن تأخذ حظها من علم الأصول الثلاثة ، وحظها من الأذكار ، وحظها من الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ... وهكذا .

وأثناء دراستنا لسلسلة الأصول الثلاثة علينا أن نلاحظ الفهم والاستيعاب والقُدرة على النقل وإقامة الحجة . وبشكل عام : فالتكميل فى قضية ما ، يقتضى منا أن نصل بالأخ إلى حالة لا يحتاج معها إلى عودة إليها بعد انتهاء المرحلة إلا كمُعَلِّم لها ، وأن تتم بحيث يمكن البناء عليها ؛ أى البناء على أن الأخ مستكمل لها .

* * *

والتكميل فى هذه الأمور الثلاثة التى مرت بنا ، هو نقطة البداية فى تغيير نفسيات الأمة ، ونقطة البداية فى الاستخلاف فى الأرض ، ونقطة البداية فى الربح الدنيوى والأخروى ، ونقطة البداية فى صلاحية الإنسان للعمل الجماعى ، وهى فى وضعها الذى ذكرناه يمكن أن تدعو إليها كل إنسان . فمن خلال حلقة عامة - هذا مضمونها ، وهذا شعارها - يمكن أن يُوجَد أساس - ما - للانطلاق بالإنسان إلى آفاق الدنيا والآخرة .

وهذا النوع من التكميل يمكن أن نربطه بسير المرحلة الأولى من التربية على العضوية فى الجماعة ، وهذا يقتضى أن يُوجَّه الأخ نحو دراسة كتاب مختصر فى سيرة رسول الله ﷺ : كنوز اليقين أو تهذيب سيرة ابن هشام ، ونحو دراسة كتاب : شهداء الإسلام فى عصر النُّبوَّة ، ونحو كتاب « شبهات حول الإسلام » ، وكتاب « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » . كما ينبغى أن يُوجَّه نحو دراسة فقه العبادات ، ودراسة رسالة المسترشدين ، ورسالة فى أصول العقائد . كما يُوجَّه نحو حفظ السور المندوب إليها ندباً خاصاً ، مع حفظ الأربعين النووية .

فإذا اجتمع له دراسة مشتركة فى فقه الدعوة ، كدراسة رسالة « من أجل خطوة إلى الأمام » إذا اجتمع له ذلك مع ملاحظة شروط العضوية ، فإنه بذلك يكون قد طوى منهاج الأخ « النصير » - أى « المساعد والمنتسب » ، وهكذا ينطوى فى الحلقة الدراسية منهاجان : منهاج الحلقة الخاصة ، ومنهاج أخ التعريف . ومن المستحسن أن تكون دراسات اللُّغة العربية فى هذه المرحلة إحدى

الدراسات ، وهذا يقتضى أن يدرس الأخ كتاباً فى النحو مثل « قطر الندى » وكتاباً فى البلاغة كـ « البلاغة الواضحة » ، وكتاباً فى مفردات اللغة العربية كـ « مختار الصحاح » . هذا وبالإمكان أن نأخذ قسماً كبيراً من منهاج هذه المرحلة من خلال حلقات عامة ، كأن ندرس كتاباً فقهياً فى حلقة عامة . وهكذا تتعاون الحلقة العامة مع الحلقة الخاصة مع أسرة التعريف للإنضاج الكامل .

* * *

بهذا النوع من التكميل على ضوء مرحلة التربية على العضوية ، نكون قد حققنا أكثر من غاية بآن واحد .. دعنا الآن نتصور أن مجموعة ـ ما ـ اتفقت على السير فى طريق التحقق بالإيمان والعمل الصالح والتواصى بالصبر ، وإن مثل هذه المجموعة يمكن أن تتفق مع بعضها على جلسة يومية . هذه الجلسة يمكن أن يكون برنامجها على الشكل التالى : تبدأ الجلسة بالفاتحة ، تُثَنَّى بقراءة شىء من القرآن ، مع أخذ حكم من أحكام التجويد من خلال قراءة رسالة فيه إذا لم تكن المجموعة متقنة لذلك ، تُثَلَّث بقراءة شىء من رسالة المأثورات ، ثم بقراءة صفحة أو صفحات من سلسلة « الأصول الثلاثة » ثم تنتهى الجلسة بجلسة تواص وتناصح ، ويكون جزءاً رئيسياً من جلسة التواصى والتناصح استعراض التكاليف اليومية الفردية التى تخدم برنامج هذه المرحلة . وشىء عادى أن يكون فى البرنامج اليومى الفردى مجموعة الأوراد التى لا بد منها للنُضج فى هذه المرحلة :

١ - وِرد الصلاة : فرائضها ، سُنَنها الرواتب ، الوتر ، سُنَّة الضحى ، قيام الليل .

٢ - وِرد الصوم : فرضه ، نوافله : كصيام يوم الاثنين والخميس ، أو أحدهما ، أو ما هو أكثر من ذلك .

٣ - وِرد الإنفاق : زكاة ، هدية ، هبة ، إطعام ، صدقة عامة .

٤ - وِرد الذكر : أذكار الصلوات ، وِرد الدعاء ، الوظيفة الكبرى أو الصغرى ، وِرد الرابطة .

٥ ـ الورد القرآني : ورد التلاوة ، ورد السماع ، ورد الحفظ والتمكين .

٦ ـ ورد العلم والمطالعة : وأهم شيء يركز عليه في هذا الورد ما له علاقة في برنامج المرحلة ، أو ما يشكل جزءاً من الثقافة الإسلامية المتعددة الجوانب .

٧ ـ ورد التناصح : أن يُقدّم كل أخ لإخوانه ، أو لأحدهم نصيحة لبقية حكيمة ، أو يُنبههم إلى خُلقٍ خاطىء ، كما يُحاسَب الأخ هل قام بهذا الورد خارج الجلسة ؟ . وهكذا تُستعرض هذه الأوراد يومياً . وما أداه كل أخ في نهاية الجلسة . ثم تُختتم الجلسة بتلاوة سورة « والعصر » ويقولنا : « سبحانك اللّهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك » .

* * *

ولعله مما مر أدركنا أننا نحتاج إلى جدولين : جدول للجهد الفردي وجدول للجلسة اليومية أو الجلسة المشتركة : سواء أكانت يومية أو أسبوعية . مع ملاحظة أن الجلسة الأسبوعية لا تُربّى ولا تُعَلّم ، ومن ثمّ ينبغي أن تُخصص الجلسة الأسبوعية لمدارسة أمور الجماعة ، أو أوامرها ، أو نشراتها ، أو تعميماتها ، أو رسائلها الخاصة . وأن تكون مع ذلك جلسة يومية في هذه المرحلة للإنضاج على الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر ، حتى تصبح أخلاقاً للأخ ، فتصبح جزءاً من ذاته ، ولا يستقر له قرار حتى يؤديها يومياً .

وما ذكرناه من الكلمات السابقة نموذج ، والعبرة للمضمون . إذ أن ثقافة الأخ وإمكانياته ودراساته تتحكم في البرنامج : فمثلاً يمكن أن يكون جدول الجلسة : البدء بقراءة الفاتحة ، ثم الاشتغال بجانب علمي من برنامج هذه المرحلة : إما بالتجويد ، أو برسالة المأثورات ، أو بسلسلة الأصول الثلاثة . فإذا انتهى شيء وأتقن انتقل إلى الشيء الثاني . ثم تبدأ جلسة التناصح : بسؤال الإخوة أو بعضهم عن الأوراد الثمانية وما فعله كل منهم في كل واحد من هذه الأوراد . كما يمكن أن يجتمع التجويد مع رسالة المأثورات في جلسة

واحدة ، أو المأثورات مع قراءة فى الأصول الثلاثة ، والمهم أن تسير المجموعة بما يحقق الوصول إلى النُضج فى الأمور الثلاثة التى علّق الله - عز وجل - عليها النجاح علماً وعملاً وتحققاً .

* * *

إن الأوراد الثمانية ينبغى أن يعتادها الأخ حتى يلقى الله - عز وجل - عليها . وعليه أن ينضج فى الجانب العلمى أو العملى ، حتى يكون قادراً من خلال القدوة والأسوة ومن خلال التعليم أن ينقلها للآخرين .

وأهم ما ينبغى أن يُلاحَظ فى ورد العلم : أن يكون العلم على ضوء البرنامج العام للدراسات الإسلامية ، وبرنامج المرحلة هو المُقدَّم .

وأهم ما ينبغى أن يُلاحَظ فى الورد القرآنى : أن يكون للأخ ورد يومى من التلاوة - جزء من القرآن كحد أدنى - وأن ينوى أن يحفظ كتاب الله . فالأمر سهل إن وُجِدت النية بعد توفيق الله عز وجل .

وأهم ما ينبغى أن يُلاحَظ فى ورد الإنفاق : أن يكون الإنفاق هادفاً فى خدمة الدعوة .

وأهم ما ينبغى أن يُلاحَظ فى أوراد الذكر : الالتزام اليومى بحد أدنى لا يقل عن ورد الدعاء ، وأن يُلفت نظر الأخ إلى الإكثار من الأوراد التى نُدبنا إليها بشكل مطلق : كالاستغفار ، والصلاة على الرسول ﷺ ، و « لا إله إلا الله » ، وأمثال ذلك حتى يحترق بكل منها ، بأن يذكر كلا منها عشرات الآلاف - على مدى من الزمن - لتظهر آثار ذلك فى تنوير قلبه .

وأهم ما ينبغى أن يُلاحَظ فى ورد التناصح : أن يعتاد تقديم النصيحة لمن حوله بكياسة وحكمة وبساطة ، وأن يعتاد على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

* * *

ولنختصر الكلام فى هذا النوع من التكميل : إنه من واجبات الإنسان أن ينضج فى أمر الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر . وهو أمر بدهى فى ذهن المسلم ، ومن ثمَّ نستطيع أن ندعو إلى هذا كل مسلم بشكل مفتوح .

طريق النُضج فى هذه الأمور الثلاثة : أن يلتزم الإنسان بثمانية أوراد يومية - وبعضها أسبوعية - ورِد الصلاة ، ورد الإنفاق ، ورِد الصوم ، الورد القرآنى ، ورد الذكر والعلم والمطالعة ، ورد التناصح ، وورد الاجتماع .

وكنا قد ذكرنا أنه يدخل فى ورد الصلاة : فرائضها ، وواجباتها وسُنّتها ، ونوافلها ، ومن ذلك السُنَن الرواتب ، وقيام اللّيل ، وسُنّة الضُحى .

ويدخل فى ورد الإنفاق : الزكاة ، والاشتراكات فى خدمة الإسلام ، والصدقات ، والهبات .

ويدخل فى ورد العلم : الدراسات المشتركة ، وحضور الحلقات العامة ويدخل فى ذلك ورد المطالعة الهادفة ، والمفروض أن يتكامل السير فى ورد العلم والمطالعة : بحيث يُحصّل الإنسان ما يُسقط به فرض العين عن نفسه .

ويدخل فى ورد الذكر : أن يكون له ورده اليومى كحد أدنى . ويدخل فى ورد الذكر : أوراد الصلوات ، والأذكار المطلقة ، وأذكار المناسبات .

ويدخل فى الورد القرآنى : ورد التلاوة لجزء من القرآن يومياً ، وورد الحفظ أو التمكين اليومى .

ويدخل فى ورد التناصح : الدعوة إلى الخير ، والمناصحة الفردية ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ويدخل فى ورد الصوم : صيام رمضان ، وصيام شىء من النوافل أسبوعياً - كصيام يومى الاثنين والخميس أو أحدهما -.

* * *

وورد العلم والمطالعة ينبغى أن يكون هادفاً : بحيث يجتمع فيه التعرف على الأصول الثلاثة ، وإتقان تلاوة القرآن بإتقان رسالة فى علم التجويد مع التطبيق ، ودراسة رسالة المأثورات وحفظ ما يلزم حفظه منها ، ودراسة شىء من السيرة أو حياة الصحابة ، ودراسة شىء من الحديث الشريف وحفظ بعض الأحاديث ، ودراسة بعض سور القرآن وحفظها إن أمكن ، ودراسة شىء من الدراسات الإسلامية الحديثة ، ودراسة شىء عن التآمر على الإسلام ، ودراسة شىء من رسائل فقه الدعوة من خلال جلسات عامة وخاصة ، ومطالعة فردية ، ودراسات مشتركة .

إنه من خلال هذا كله يمكن أن يُوجَد أساس النُضج فى موضوع الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصى بالحق والصبر . وفيما يلى جدول الجلسة المشتركة والجدول الفردى المذكورَين آنفاً :

	الجـــــدول الفـــردي					جدول الجلسة المشتركة	
ورد الصلاة	فرائض	سُنن رواتب	سُنة قيام الليل	الوتر	سُنة الضحى	الفاتحة	
ورد الصوم	رمضان	الاثنين	الخميس	الأيام البيض	الأيام الأخرى	رسالة المأثورات	قراءة وحفظ ما يلزم حفظه
ورد الإنفاق	الزكاة	الاشتراك	صندوق الدعوة	هبة، هدية، إطعام	صدقة مطلقة	الأصول الثلاثة	إلقاء أو قراءة أو اختصار أو تبادل في الإلقاء
ورد الذكر	أذكار الصلاة	ورد الدعاء ورد المناسبات	الوظيفة الكبرى أو الصغرى	ورد الرابطة	الأوراد العلاجية	التناصح والتواصي والمحاسبة	على ضوء الجدول المرفق وعلى حسب احتياجات الأعضاء، ولتحريك الحياة العامة .
الورد القرآني	ورد الحفظ والتمكين	الوظيفة الصغرى أو الكبرى	ورد السماع	وردالتلاوة		تجويد	علم وتطبيق من خلال التلاوة .
ورد العلم والمطالعة	تفسير أو ...	سيرة أو ...	حديث شريف أو ...	فقه أو ...	تربية أو ...	الخاتمة	قراءة سورة العصر مع دعاء، ختم الجلسة .
ورد التناصح.	استعراض هذا الجدول	نصيحة داخل الجلسة	أمر بمعروف، ونهي عن منكر	نصائح : أهل، جيران			

وبمثل هذا نرجو أن يتم التكميل على الإيمان والعمل الصالح والتناصح .

ولننتقل إلى النوع الثانى من أنواع التكميل .

٢ ـ التكميل فى قضايا الأخلاق والآداب :

من المراجع الرئيسية لهذا النوع من التكميل : رسالة « التعاليم » ، وكتاب « أخلاقنا الاجتماعية » للدكتور السباعى ، وكتاب « خُلُق المسلم » للشيخ الغزالى ، وكتابانا « جند الله ثقافة وأخلاقاً » و « من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك » .

وقبل ذلك كله :

« القرآن الكريم » و « رياض الصالحين » وكتاب « الأذكار » .

* * *

وفيما يلى لمحات متفرقة عن هذا النوع من التكميل لعلها تساعد فيه :

نحن المسلمين حددت أخلاقيتنا الجماعية نصوص ، وفصلت فى أخلاقنا الفردية نصوص ، ودلتنا النصوص على الصغيرة والكبيرة فى آداب كل دائرة من دوائر الحياة ، وفى كل وضع من الأوضاع دون استثناء . وقد عَبَّرت عن هذه القضية أدق تعبير هذه الحادثة : أخرج الإمام مسلم وأصحاب السُّنَن : « أن المشركين قالوا لسلمان رضى الله عنه : قد علَّمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة . قال : أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، أو أن نستنجى باليمين ، أو بأقل من ثلاثة أحجار ، أو برجيع ، أو بعظم » . ونحن كجماعة نحرص أن تكون هى جماعة المسلمين ـ الناجية عند الله ـ وأن تكون وسلة النجاة لبقية المسلمين : فلا بد أن يكمل أفرادها ويُكَمِّلوا غيرهم فى الآداب والأخلاق .

(١٠ ـ المدخل)

فى كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » أبرزنا الأخلاق الأساسية للمسلم ، وما يدخل فى كل خلق من الأخلاق . وفى رسالة « من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك » أبرزنا أن الاخلاقية العامة للجماعة المسلمة حددتها مجموعة آيات من سورة الشورى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [1] . ولئن ركزنا على هذه المعانى فإن ذلك لا يغنى عن غيرها ، لأن رسول الله ﷺ كان خلقه القرآن . وإذن لا بد من استيعاب لمعانى القرآن وتحقق بها ، ولا بد من تحقق بالسُّنَّة ، وهذا باب واسع ، علينا أن نفطن لكلياته وجزئياته ودقائقه .

وخلال العصور نما علم الآداب الإسلامية ، وسار أحياناً بعيداً وأحياناً قريباً من الكتاب والسُّنَّة . وفى كثير من الأحيان كان نمو هذا العلم رشيداً معتدلاً ، ومن مظاهر نمو هذا العلم الرشيدة : دقائق الآداب التى استنبطها المفسرون والمحدثون من القرآن والسُّنَّة . ومن مظاهر نمو هذا العلم الرشيدة ما استنبطه أئمة السلوك إلى الله المعتمدون المستقيمون : كالجنيد رحمه الله . ومن هنا ندرك أن مظنة معرفة هذا النوع من الآداب الراقية : هى كتب التفسير ، وكتب الحديث وشروحها ، وكتب السير إلى الله المعتمدة المحررة على مذاهب أهل السُّنَّة والجماعة فى التوحيد والفقه .

---

(١) الشورى : ٣٦ ـ ٤٣

إن الأدب هو مظهر الكمال الظاهرى والباطنى للإنسان فى علاقته مع الله وفى علاقته مع خلقه . وسوء الأدب هو مظهر نقص النفس الظاهرى والباطنى للإنسان فى علاقته مع الله - عز وجل - ومع خلقه . ومن ثمّ تكون عقوبات الله وعقوبات الخلق لمسىء الأدب شديدة أحياناً ، لأن الحكم على الإنسان وهو يسىء الأدب ليس من حيثية تركه لكمال ، ولكن من حيث يُعَبِّر هذا الترك عن نقص فى الباطن ، ولذلك قالوا : « والله ما فاز من فاز إلا بحسن الأدب ، وما سقط مَن سقط إلا بسوء الأدب » .

* * *

والأدب له ثلاث دوائر : دائرة الأدب مع الله ، ودائرة الأدب مع الأحياء ، ودائرة الأدب مع الأشياء . والكتاب والسنة تحدثا عن هذا كله :

أما الأدب مع الله فواضح . وأما الأدب مع الخلق فالكتاب والسُّنَّة تحدثا : عن أدب المسلم مع المسلم ، وعن آدابه مع أهله وجيرانه ، وعن آدابه مع غير المسلم ، وهناك كلام عن الآداب مع الجن . وهناك كلام عن الآداب مع الحيوانات والأحياء . وكذلك هناك كلام عن آداب مع الشجر ، وآداب عن ترك الإسراف فى الماء ، وعن عدم البول فى الماء الراكد ، وعن النهى عن اتلاف المال ، وعن عدم لمن الأشياء . كان بعضهم يقول : « إنك لو أسأتَ الأدب مع الاشياء فإن الأشياء لن تخدمك : ألا ترى أنك لو توضأتَ بإبريق ثم القيته بعيداً قاذفاً اياه ، فإنه يخدمك مرة أو مرتين ثم ينتهى ؟ !! وقُلْ مثل ذلك فى كل شىء » . فإذا كان هذا مآل سوء الأدب مع الأشياء ، فكذلك سوء الأدب مع الحيوان فإنه تضييع له ، فكيف بسوء الأدب مع الإنسان ؟ !! .

* * *

إن كثيرين يسقطون عن الله لسوء أدبهم . وكثيرين يعاقبون لسوء أدبهم . وكم من إنسان كان فيالذروة فأساء الأدب مع الله - جل جلاله - وإذا به يسقط سقوطاً مريعاً : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى

الأرضِ واتَّبعَ هواهُ فمثلُهُ كمثلِ الكلبِ إن تحمل عليه يلهثْ أو تتركْهُ يلهثْ ذلكَ مثلُ القومِ الذينَ كذَّبوا بآياتنا فاقصصِ القصصَ لعلَّهم يتفكَّرونَ ۝ ساءَ مثلاً القومُ الذينَ كذَّبوا بآياتنا وأنفسَهم كانوا يظلمونَ ﴾ [1] . يقال إن هذه الآيات تحدثت عن إنسان أساء الأدب مع الله ، فدعا على موسى عليه السلام وقومه .

وإذا كان الأدب له هذا المقام ، فأدب اللسان – من مجموع الآداب – يكاد يُشكّل تسعين بالمائة من مجموع الآداب . ومن ثمّ كان بعض الصحابة يقول : « يا لسان : قل خيراً تسلم ، واسكت عن شر تغنم ، من قبل أن تندم » . وورد فى الحديث : « وهل يَكُبُّ الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ».

ولا يستجر الإنسان لسوء الأدب شىء كالشهوات الحسية والمعنوية ، ولا يجره لسوء الأدب كالهوى والميول العاطفية ، بل لا يستعبده شىء مثل هذه المعانى . ومن ثمّ كانت سيطرة الإنسان على هذه المعانى والتعامل معها ، من خلال ضبطها على مقتضى الشرع : من أهم ما ينبغى أن يتخلّق به المسلم ، ومن أهم ما ينبغى أن يُركّز عليه المربى .

* * *

ومن أبرز أخلاق المسلم التقوى والطاعة – فكل رسول من الرسل – عليهم الصلاة والسلام – كان يركز على قضيتين رئيسيتين : هما التقوى والطاعة . ومن ثمّ قال نوح لقومه : ﴿ فاتَّقوا اللَّهَ وأطيعونِ ﴾ [2] . ونفس الكلمة قالها هود وصالح ولوط وشعيب – عليهم الصلاة والسلام – كما نرى ذلك واضحاً فى سورة الشعراء . ومن ثمّ فإن هدفاً كبيراً هو الوصول إلى أن يتحقق الأخ بالتقوى ولاطاعة ، وهما قضيتان مرتبطتان بالتكميل الأول الذى ذكرناه فى الفقرة السابقة « التكميل فى الإيمان والعمل الصالح » فلا بد من ذلك الأساس للوصول إلى السير فى هذا الطريق .

---

(1) الأعراف : ١٧٥ – ١٧٧ (2) الشعراء : ١٠٨

« التقوى والطاعة » : هما علامتا النجاح فى التكميل هذه المرحلة . التقوى لله ظاهراً وباطناً ، والطاعة للجماعة . ومن المعلوم أن الطاعة فى الجماعة للشورى ، وإن نجاحنا فى هذه المرحلة علامته : أن تصبح الطاعة للصف مَلَكة عند الأخ . وأن تصبح التقوى لله ـ تعالى ـ مَلَكة عند الأخ . ولكن لهذا الموضوع آفاقه البعيدة ، ومعانيه الكثيرة ، ومرتكزاته الكبيرة فى قضية التكميل فى الأخلاق والآداب .

* * *

إن كل كمال يحتاج إلى علم وعمل حتى يتم ، فكذلك هذا المقام مقام التكميل فى الأخلاق والآداب لا بد فيه من علم وعمل . والكتب المناسبة لهذه المرحلة : رسالة « التعاليم » وكتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » ولا شك أن التحقيق فى كل ما يدرسه الأخ هو أساس النجاح وعلامته .

* * *

وجوهر السير فى هذه المرحلة هو : الإقبال على الفرائض ، والإكثار من النوافل للوصول إلى محبة الله ، والتواضع المؤمنين للوصول إلى الذلة عليهم ، والمفاصلة مع الكافرين للوصول إلى العزة عليهم ، ونية الجهاد والاستعداد لتحقيق الجهاد فى سبيل الله ، وإعطاء الولاء النظرى والعملى لجماعة المسلمين . لان هذه خصائص حزب الله ، والتكميل فيها يقتضى مع الدراسة النظرية : برنامجاً يومياً أو أسبوعياً يلتزم به السائرون . ان الخُلق الرابع من أخلاق حزب الله هو الجهاد كما ذكرت آيات المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ه إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ه وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [١] .

(١) المائدة : ٥٤ ـ ٥٦

١ - التقـــوى .

٢ - الطاعة للجماعة على ضوء القواعد والشورى .

٣ - الإيمــــان .

٤ - التوكـــل .

٥ - اجتناب الاثم والفواحش .

٦ - الاستجابة لله .

٧ - الصـــلاة .

٨ - الشورى : ممارستها والخضوع لها .

٩ - الانفاق فى سبيل الله .

١٠ - الانتصار من الظالمين .

١١ - الصبر والعفو .

١٢ - المحبـــة لله .

١٣ - الذلة على المؤمنين .

١٤ - العزة على الكافرين .

١٥ - الجهـــاد .

١٦ - تحرير الولاء لله ، ولرسوله ﷺ ، ولجماعة المسلمين .

١٧ - التوبـــة .

١٨ - العبـــادة .

١٩ - الصوم والسياحة فى الأرض .

٢٠ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٢١ - الحفظ لحدود الله .

٢٢ - الأدب مع خلق الله جميعاً : الإنسان ، والأحياء ، والجمادات .

وبعد .. فاننا لا نظن أنه قد فعلنا الكثير فيما ذكرناه حول هذا النوع من التكميل . وعلى كل فهذا جدول يمكن أن يُستأنس فيه ولنتذكر ما مر معنا من مراجع .

جدول التدريب الأخلاقى

التقوى مع المحبة	فى السير فى طريق ذلك .
الطاعة للجماعة	فى تنفيذ الأوامر العليا ، وفى تنفيذ ما اتفق عليه .
التوكل	من خلال التنفيذ المتقن اليومى .
اجتناب الإثم والفواحش	
الشورى	من خلال الاعتياد على النزول على رأى الأكثرية فى كل مناقشة عملية .
الانتصار من الظالمين	من خلال التعاون على رفع ظلم أو الوقوف كفى وجه ظالم .
الصبر والعفو	وخاصة عند الغضب والإكساءة ، والاعتياد شعلى ضبط النفس فى الغضب وعند الإساءة .
الذلة على المؤمنين	التواضع - الخدمة - عدم رفع اصوت مع الإخوة - الصبر على سوء الأدب - العفو عند الإساءة .
العزة على الكافرين	بالاعتياد على الترفع عن محاولة التقرب إليهم أو مخالطتهم إلا ضمن مصلحة أو خطة .
الجهاد	التعليمى - السياسى - الجهاد باليد - المالى .
تحرير الولاء	لا ولاء إلا لجماعة المسلمين - الطاعة وربط المصير .
التوبة	الاستغفار اليومى .
العبادة	صلاة - ذكر - قراءة قرآن .
الصوم	
السياحة فى الأرض	داخل القُطر وخارجه مع الدعوة إلى الله .
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	فى دائرة الأسرة - دائرة النقابة - دائرة الجوار .
الحفظ للحدود	
الأدب مع الله	
الأدب مع الأحياء	الرفق .
الأدب مع الأشياء	الرفق .

٣ - التكميل الجسمي والتدريبي :

نحن حركة متهمة اتهاماً ظالماً بالأرهاب : لانه لم يثبت علينا خلال خمسين سنة من تاريخنا أن قيادة رسمية من قياداتنا أصدرت أمراً يمثل ما يتهمنا الناس به . (مع ملاحظة ان الأرهاب شيء والحرب العادلة شيء آخر) .

إن أعدائنا يخلطون بين أمرين : بين كوننا نعتبر أن من واجبنا تجاه أمتنا أن يبقى روح الجهاد والاستعداد له حيين في نفوس أمتنا ، وخاصة وأمتنا مبتلاة بأعداء كثر . وأن من واجبنا تجاه أنفسنا أن نُكَوِّن أنفسنا تكويناً راقياً . وكل من واجبنا تجاه أمتنا وواجبنا تجاه أنفسنا نحن مُكَلَّفون به شرعاً أمام الله . وكما أن التدريب عند كثر من الأمم لا يعني بالضرورة القتال ، فهناك أمم يعترف العالم على حيادها ، ومع ذلك تُدرِّيب أبنائها .

فكذلك لا يعني الاعتناء بالرياضة والكشفية عن الإخوان المسلمين الخروج على القانون العادل بالضرورة ، ولذلك فلا يصح أن يُعتبر تأسيسنا للنوادي الرياضية والكشفية يُشكِّل خطراً على النظام .

* * *

لقد درجت جماعة الإخوان المسلمين على أن يتلازم في سيرها وجود المساجد مع المركز مع النادي الرياضي مع النادي الكشفي مع الشركة الاقتصادية : كقضايا لا بد منها لاعادة بناء الأمة . وكل نظام عادل يرحب بهذا كله .

أما الذين يخافوننا !! فانهم يخافون لأنهم ظالمون ، ولأنهم لا يريدون للإسلام أن يسير في طريقه العفوي نحو الوجود الكامل . نقول هذا الكلام لنستبق أي تفكير خاطئ في شأننا ، ونحن ندعو المسلمين كي يكملوا في فريضة فرضها الله - عز وجل - عليهم ، وهي تدريب الأجسام قياماً بحق الله - عز وجل - فاذا اتضح هذا نقول : إن على المسلم أن يكمل نفسه نفسياً وجسمياً وتدريبياً ليحقق فريضة الجهاد .

وقد رأينا ـ فيما مر ـ مظاهر من التكميل الروحى ، وكل ما سيأتى فى هذا البحث يساعد على هذا النوع من التكميل . ولذلك فسنقصر كلامنا ههنا على التكميل الجسمى والتدريبى ، وكلاهما يكمل الآخر . إذ أن اللياقة الجسمية تساعد إلى حد كبير على القيام بأمر الله فى الجهاد . صحيح أن هناك حالات نرى فيها أقل الناس لياقة جسدية ، يستطيعون أن يفعلوا أكثر بكثير من غيرهم ، ولكن هذا يكون حيث يكون كمال نفسى ، أو روحى كبير . وفى موضوعنا : فإن الكمال الروحى هو العنوان الأكبر لسيرنا ، ومن ثَمَّ فإذا وُجِدَت لياقة جسمية وتدريب عال ، فإن الاعمال الكبيرة يُرجى أن تُوجَد بشكل كبير .

* * *

إن مما يتم به التكميل الجسمى أن يمارس الأخ أنواعاً من الرياضة اليومية أو الشهرية أو الفصلية ، وأن يتقن أنواعاً من الرياضة والتردييات الجسدية ، فالتمارين التليينية والتمارين التى يأخذ بها كل عضو حظه مما ينبغى أن يعتاده الأخ ، وأقل ذلك مشى طويل ، أو سباحة ، أو جرى ولو فى المحل ، كل ذلك أو بعضه مفيد ، ثم اتقان الرياضيات التالية : السباحة ، وركوب الخيل ، وركوب الدراجات على اختلاف أنواعها ، سَوق السيارات ، الملاكمة ، المصارعة بأنواعها مع اعطائها كل ما يلزم لتكون شرعية غير مُحرَّمة ، كل ذلك مما ينبغى أن يعرفه الأخ ، ان باستطاعة الأخ من أجل أن يكمل نفسه فى هذه الأمور ، أن يتخيَّر لنفسه برنامجاً تدريبياً يكمل به نفسه على المدى البعيد ، كما يستطيع أن يستفيد من المؤسسات الرسمية لتأمين بعض مستلزمات هذا السير ، كما يستطيع أن يستفيد من بعض الفرص التى تعطيها إياه مرحلة من المراحل . كل ذلك يستطيعه الأخ دون أن يحمل الجماعة ثقلاً خاصاً أو تبعات فى هذه الأمور ، إن المسلم يُفترض عليه أن يكون مجاهداً ، وأن يُعد نفسه لذلك نظرياً وعملياً . إن الجماعة جزء من أهدافها أن تجعل كل أخ أو فرد من الأمة على غاية من الكمال فى هذه الشؤون مع تصحيح النية . ونجاح الجماعة فى هذا هو

جزء من نجاحها الكبير فى إعادة تجديد حيوية الأمة الإسلامية .. ولكن الحكومات دأبت أن تنظر إلى مثل هذا بعين الحذر ، مع أن هذا واجب الحكومات نفسها ، فاقتضى هذا من الجماعة أن تعتبر مثل هذه الأمور واجباً فردياً بالدرجة الأولى . إن باستطاعة الأخ أن يخصص لنفسه يومياً ولو ربع ساعة يقضيها فى مجموعة من التمارين الرياضية ، التى تستوعب حاجات الجسم . وإن باستطاعة الأخ أن يخصص لنفسه ولو ساعة فى الأسبوع لمسيرة طويلة ، أو لجرى مستمر . وإن باستطاعة الأخ أن يتفق مع أخوين أو ثلاثة على أن يتدربوا بواسطة من يتقن ذلك على نوع من أنواع الرياضة أو التدريبات ، إلى غير ذلك .

إن الله ـ عز وجل ـ جعل علامة الصدق فى الجهاد إعداد ما يلزم له . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [1] . وإن الله ـ عز وجل ـ جعل الغزو فريضة على كل مسلم . ففى الحديث : « مَن لم يغز ولم يُحدّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » . ومن ثَمَّ كان هذا النوع من التكميل فريضة عينية على المسلم ، كل بحسبه وبقدر ما يستطيع الوصول إليه من وسائل .

فى كتاب « الإسلام » أبرزنا أنواعاً من التدريب القتالى تُكلّف به المرأة المسلمة ، لأن القتال يكون فى بعض الحالات فرضاً على كل من يستطيع : رجلاً كان أو امرأة ، وهذا يقتضى ألا يُغْفَل أمر تدريب المرأة ، ولكن هذا يبقى ضمن إطار دقيق : وهو ألا تقع فى محظور شرعى . ولذلك فإن قضية تكميل المرأة فى هذه الشؤون موضوع ينبغى أن يجتمع فيه جهد الأب والأبن ولازوج والمجتمع النسائى الإسلامى .

فإذا اتضحت هذه الأمور كلها فقد أصبح بالإمكان أن نضع الجدول العملى للتكميل فى هذه المرحلة ، التى تكمل المرحلة السابقة ، ونفترض أن برنامج المرحلة السابقة مُطبّق وملتزم بشكل عام .

---

(١) التوبة : ٤٦

وعلينا أن نلاحظ ونحن نتكلم عن ألعاب القوة : أن علينا أن نكتب عنها كتابات تُخرجها من مصطلحاتها فى أصل نشأتها ، لنعطيها اصطلاحاتنا ، ونحررها من ارتباطاتها الأولى . وهذا يقتضى تأليفاً وتعريفاً وإدخال تعبيرات إسلامية . هكذا يُقال فى المصارعة اليابانية ، وفى الكاراتيه ، وحتى فى التمارين السويدية وغيرها . ونحن فى الجدول المرفق لم نحاول هذا ، لأنه لم يتم هذا حتى الآن ، فالتعريف يقتضى الذكر على حسب الأسماء المعروفة الآن .

وفيما يلى جدول التدريب الجسمى والعملى :

التمارين الشاملة	ركض سباحة ركوب دراجات عادية ركوب دراجات نارية تدريب على قيادة السيارات	تلينية تلينية
ألعاب القوة	مصارعة حرة مصارعة رومانية مصارعة يابانية قتال قريب ملاكمة كاراتيه	
نشاطات حرة		

جدول التدريب الجسمى والعملى

٤ ـ التكميل فى التدريب الأمنى :

كأثر من آثار الشعور أن أمتنا تفقد التربية الأمنية حتى لتكاد أن تكون أمة مكشوفة يعرف كل أسرارها مَن لا ينبغى أن يعرف هذه الأسرار ، ظهر ذلك على أجلاه فى حرب (١٩٦٧) فى بعض الأقطار . وكأثر من آثار الظلم الذى وقع بنا ولا يزال يقع . وكأثر من آثار الأوضاع السيئة التى تمر بها بعض الأقطار ، حتى لتعتبر الدين جريمة فيها .

كأثر من هذا كله كان لا بد للجماعة أن تعتمد نظرية أمنية وتُرَبّى عليها أبناءها وتُرَبّى عليها المسلمين .

وبناء على ذلك فقد كُتِب كتاب « نظريتنا الأمنية ودروس الأمن » وهو كتاب لم يُنشر حتى الآن ، ونرجو أن يُنشر ، وأن يصل لكل مسلم ، ليعتاد المسلم على أن يكون تصرفه دقيقاً صحيحاً .

ريثما يُنشر مثل هذا الكتاب ، فإننا ندعو المسلم أن يقرأ كل ما تصل إليه يده من كتب تتحدث عن قضايا الأمن .

٥ - التكميل فى التدريب الروحى :

نلاحظ أن سيدنا رسول الله ﷺ كانت له قبل النبوّة اعتكافاته الطويلة فى غار حراء ، وخلال فترة طويلة من الزمن كان أصحاب رسول الله ﷺ مُكلّفين بالإكثار من قيام اللّيل ، كما يُلاحَظ أن الاعتكاف السنوى كان سُنّة دائمة له عليه الصلاة والسلام .

وأمام قسوة الشهوات فى عصرنا وطغيان المادة ، فإن الجماعة ركزت منذ نشأتها على الجانب الروحى ، واعتمدت لذلك مبدأ الدورات ، ومن أجل التوضيح الشامل لآراء الجماعة فى هذا الشأن ، بحيث تتبين معالم السير الروحى للجماعة ، وتميزه عن أي سير آخر لتقيده بالكتاب والسُّنّة ، فقد وجد كتاب « تربيتنا الروحية » الذى هو دليل التدريب الروحى والسير الروحى إلى الله فى دعوة الإخوان المسلمين .

* * *

التكميل الثقافى العلمى
(٦ - ٧ - ٨)

هناك دوائر ثلاث فى سيرنا العلمى :

الدائرة الأولى : دائرة الثقافة الإسلامية .

الدائرة الثانية : دائرة الثقافة المعاصرة .

الدائرة الثالثة : دائرة الثقافة التأهيلية لعمل إسلامى .

وهذه الدوائر الثلاث لا بد أن تجتمع فيها المطالعة الشخصية مع التلقى المباشر - خاصة لبعض العلوم - . والتلقى المباشر له أسباب :

فبعضه سببه غموض عبارة بعض العلوم ، وبعضه سببه تعذر الوصول إلى بعض العلوم إلا بالتلقى . ولكن مع هذا يبقى للجد فى المطالعة الشخصية دور كبير فى سرعة الوصول .

وفى عملية التكميل العلمى يُلاحَظ أن هناك اتجاهين : اتجاهاً يركز على علم من العلوم حتى ينضج فيه الإنسان ، ثم ينتقل إلى غيره . واتجاهاً يحاول أن يركز على مجموعة علوم دفعة واحدة ، ينضجها ، وينتقل إلى غيرها .

وكثير من العلوم - كعلم الفقه الإسلامى - يحتاج إلى مطالعة شخصية ومذاكرة وتلق وبيئة مناسبة . وذلك كله لا بد من ملاحظته فى سيرنا التكميلى فى هذه القضايا .

٦ - التكميل فى دائرة الثقافة الإسلامية :

فى كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » أحصينا فى القسم الأول منه مجموعة الأشياء التى يجب أن يأخذ الأخ حظه العلمى منها : فذكرناالكتاب والسُنَّة ، وذكرنا علم الأصول الثلاثة ، وذكرنا علم أصـول الفقه ، وذكرنا علوم التوحيد والفقه والتصوف المُحرَّر ، وذكرنا علوم اللُّغة العربية ، وذكرنا علوم السيرة وحياة الصحابة وتاريخ الأمة الإسلامية ، وذكرنا علم حاضر العالم الإسلامى ، وذكرنا الدراسات الإسلامية الحديثة ، وذكرنا الدراسات التى تخدم الوعى على قضية التآمر ضد الإسلام ، وذكرنا دراسات فقه الدعوة . وكل علم من هذه العلوم يكمل الآخر ، ولا بد منه :

(أ) فالدراسات الإسلامية الحديثة تكمل علوم الفقه والتوحيد والأخلاق . فالفقهاء لم يتحدثوا - مثلاً - عن نظام اقتصادى ، كما ألف الحديث عن هذا العلم فى عصرنا الحاضر . فالدراسات الإسلامية الحديثة هى التى تكمل الدراسات الفقهية القديمة . ومعرفة طرق التآمر على الإسلام تعمق فهم المسلم

لإسلامه ، ومع أن علم الأصول الثلاثة هو جزء من الدراسات الإسلامية الحديثة ، إلا أننا أفردناه فى الذكر لأنه يمثل الكليات الكبيرة بالنسبة لغيره ، فهو يكمل علم التوحيد والفقه ، إنه بالنسبة لكثير من الدراسات الإسلامية الحديثة كالتصور الكلى بالنسبة للتصورات المتفرعة عنه ، أو المكملة له ، أو المفصلة فيه ..

(ب) وقد يتوهم الكثيرون صعوبة أخذ مثل هذا العدد الكثير من العلوم أو الدراسات . وهذا من قصور الهمة ، وعدم ألفة المطالعة وضعف الرغبة فى طلب العلم . ثم نحن لا نطالب كل الناس بمثل هذا ، ولا نطالب كل الناس بأن يأخذوا حداً أعلى من ذلك كله ، بل نطالب على الأخص الطبقة القيادية . وحتى هذه الطبقة نطالب بعضها بحد - ما - من كل علم . والقليل هم الذين نطالبهم بحد عالٍ من ذلك .

وقد أشرنا فى هذا الكتاب لبعض صور السير الثقافى : فعندنا مرحلة ما قبل البلوغ ، ومرحلة ما بعد البلوغ ، ثم عندنامرحلة المبتدىء ، ثم المتوسط ، ثم ما فوق ذلك ، وكل مرحلة متقدمة تدخل فى طياتها ما قبلها .

والإخوان أنواع : نوع معك من مرحلة ما قبل البلوغ ، ونوع يسير معك بعد البلوغ ، ونوع استعداده عال من البداية لأن يدرس أعلى الدراسات ، ونوع استعداده ضعيف أو متوسط ، ونوع عنده جد ونشاط ، ونوع ليس كذلك .

إن المرحلة المتوسطة من الدراسة هى مرحلة الأخ النقيب . والتى يُطالب بها جزماً بالحد المتكامل من الثقافة ، وأما المرحلة العالية فهى لما فوق ذلك .

ومرحلة الحد الأدنى : هى التى يُطالب بها المجاهد أو النصير وقد مرت هنا تفصيلات السير الثقافى من قبل .

(جـ) ونحن نتمنى أن يتوسع الأخ فيما بينه وبين نفسه إلى أقصى حد ، كما نتمنى أن يكون مجموع الجهد الذى يبذله الأخ لنفسه مُغنياً له عن أن تبذل الجماعة معه جهداً لذلك . ولكن على الجماعة أن تتأكد من أن كل عضو قد حصّل ثقافة المرحلة التى هو فيها ، أو ثقافة العضوية التى سيُعطى صفتها .

وإذا كان هناك من قصور فعليها أن تعطيه إياه ، أو تكلف من يُعطيه إياه ، أو تأمره أن يُحصّله من جهة بعينها .

* * *

ولا نريد هنا أن نكرر شيئاً مذكوراً فى كتاب « جند الله » ولكنا نحب أن نذكر بشىء هو : أن العبرة أن يُحصّل الإنسان المضمون ، فمن حصّل المضمون من أى طريق وبأى كتاب فقد حصّل المراد ، إلا إذا اعتمدت الجماعة كتاباً بعينه ، فعندئذ يكون للأمر شأنه الخاص .

وقد أهملنا فى ذلك الكتاب أن نُشير إلى كتب فى الذروة ، وكتب فى القمة ، لأننا فى الأصل لم نُرد الاستقصاء ، وإنما أردنا ضرب المثل فى الغالب .

إن المهم أن يأخذ الأخ ثقافة إسلامية متكاملة ومحرّرة ، وأن يتابع ما يُنشر فى كتب الجماعة ومجلاتها وصحفها ، فذلك يبقيه على صلة متجددة فى الثقافة الإسلامية .

٧ - التكميل فى دائرة الثقافة المعاصرة :

لا يركز إخواننا عادة على هذه الدائرة ، بحكم أن الإنسان العادى بحكم دراساته المدرسية والجامعية ، واتصاله بما حوله ، وسماعه العفوى لما يجرى ، يأخذ إلى حد - ما - جزءاً من الثقافة المعاصرة ، إلا أن قسماً كبيراً من الناس تفوتهم الثقافة المعاصرة الموجهة ، وهذا شىء لا ينبغى إهماله . ومن ثمّ فإن على الجماعة أن تُوجّه الإخوان - بشكل عام - ، أو بعض الإخوان - بشكل خاص - نحو الحصول على ثقافة معاصرة وخاصة فى الشؤون السياسية ، وفى شؤون قُطر الأخ ، وفى شؤون بلده وما جاورها . وقد يكون من المناسب أن يُوجّه الأخ لقراءة كتب مذكرات كبار الساسة والعسكريين المعاصرين العالميين والمحليين ، فإن ذلك مهم فى فتح آفاق جديدة أمام تصور الأخ ، كما أنه نوع تأهيل لتخريج رجل الدولة المعاصر . على أن هذا كله ينبغى أن يُلاحظ فيه مناعة الأخ أن يقبل فكرة غريبة ، وذلك يكون إذا امتلك الميزان الإسلامى الذى يزن به كل ما يقرأه .

٨ ـ التكميل فى التأهيل لعمل إسلامى :

إن كثيراً من الأجهزة التى يحتاجها العمل الإسلامى تحتاج إلى تأهيل خاص . فعندما تريد أن تفرغ أخاً للتعريف ، عليك أن تؤهله لذلك . وعندما تريد أن تفرغه للتكوين عليك أن تؤهله لذلك . وإذا اختار الإخوان أخاً ليكون نائباً ، فيجب على القيادة أن تؤهله لذلك . وإذا قررت القيادة أن تُفرز أخاً لعمل ـ ما ـ أو لموضوع ـ ما ـ أو لجهة ـ ما ـ ، فعليها أن تؤهل الأخ للنجاح فى مهمته . وإذا قررت القيادة إيجاد جهاز لتحقيق هدف ، فينبغى أن تؤهل أفراد هذا الجهاز ، وتضع تحت تصرفهم كل ما يستطيعون به تحقيق الهدف ، وكل ذلك يقتضى علماً وتربية بآن واحد ، إنه لا يصح أن يستلم أخ أسرة أو فرعاً أو شُعبة أو مركزاً أو غير ذلك من شؤون الجماعة دون أن يمر على دورة تؤهله للنجاح فى عمله .

٩ ـ التكميل فى باب السير العملى فى مقامات الإسلام :

فى السير فى دين الله هناك مقامات خمسة نادراً من يتفطن لها ، ومن يعرف محلها فى دين الله . فالإسلام هو دين الله الذى وسعت أحكامه الأشياء كلها . وعلى هذا فمسائل الإسلام وأحكامه لا نهاية لها . ولكن ما يُفترض على كل مسلم من مجموع هذه الأحكام إنما هو بعض من كل . وهذا الشىء الذى يُفترض على المسلم تحقيقه والتحقق به : يحتاج إلى علم ، وعمل على ضوء العلم ، وذلك هو الذى ينقل المسلم من مقام إلى مقام . فأول المقامات : الإسلام . وثانى المقامات : الإيمان . وثالث المقامات : الإحسان . ورابع المقامات : التقوى . وخامس المقامات : الشكر . وكل مسلم يُفترض عليه أن يأخذ حظه من كل مقام من هذه المقامات . قال الله تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ .. ﴾[1] .

---

(١) الحجرات : ١٤

إن قبول الإسلام ثم إسلام الجوارح بالعمل المفروض على الإنسان هو المرحلة الأولى فى السير العملى فى دين الله . وخلال ذلك يبدأ نور الإيمان يتسلل إلى القلب حتى يملأه ، وتلك المرحلة الثانية فى السير العملى فى دين الله ، لاحظ قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ . فكأن الإيمان لم يدخل بعد ، وهو على وشك الدخول بسبب إسلام الجوارح . فإذا امتلأ القلب إيماناً وصل القلب إلى مقام الإحسان : « أفضل الإيمان أن تعلم أن الله شاهدك حيثما كنت » . فأفضل الإيمان هو نفسه مقام الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . وبالسير فى مقام الإحسان يصل الإنسان إلى التقوى . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] . وبالسير بالتقوى يصل الإنسان إلى مقام الشكر . قال تعالى : ﴿ .. فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2] . وهو أعلى المقامات . قال تعالى : ﴿ .. وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ ﴾[3] . وقال عليه السلام : « أفلا أكونُ عبداً شكوراً » .

* * *

إن فهم الإسلام شيء ، وأن يأخذ الإنسان حظه من مقامات الإسلام شيء آخر . فقد يأخذ الإنسان حظه من عمل الجوارح ، ولكن قلبه فى واد آخر . ولذلك وَصَفَ رسول الله ﷺ الجوارح فى الحديث الصحيح بقوله : « إيمانهم لا يُجاوِز حناجرهم » . وقد يأخذ الإنسان حظه من الإيمان القلبى ، ولكنه لا يذوق طعم الإحسان . ومن ثمَّ يتحدث الرسول ﷺ عن الخشوع : « أول علم يُرفع من الأرض الخشوع » . وفقدان الخشوع يعنى أن الإنسان لم يُحصِّل شيئاً من مقام الإحسان . وفقدان مقام الإحسان يعنى أن تقوى الإنسان ناقصة . فبقدر رُقِّى عبادة الإنسان ، تكون تقواه . وبقدر النقص فى التقوى ، يكون النقص فى مقام الشكر ، الذى هو ذُروة هذه المقامات .

* * *

---

(١) البقرة : ٢١ (٢) آل عمران : ١٢٣ (٣) سبأ : ١٣

ونحن جماعة مهمتها تجديد الإسلام فهماً وعملاً ، فإذا أفهمنا الناس الإسلام ولم نحققهم بكمالاته ومقاماته ، لا نكون فعلنا الكثير . وإذا دعونا الناس إلى الإسلام ، ولم نأخذ حظنا من مقاماته العملية والذوقية ، نكون كالخوارج - لا سَمَحَ الله - فى كون إيمانهم لا يُجاوز حناجرهم . ومن ثمَّ كان التكميل فى هذه المقامات أحد فرائض هذه الدعوة .

* * *

ولعله وضح من خلال ما مر أن المراد بالإسلام هنا : هو قبول الإسلام والالتزام العملى به . وأن المراد بالإيمان : هو الإيمان الذوقى القلبى الشعورى . وأن المراد بالإحسان : عبادة الله ونحن فى أعلى حالة من الشعور بذاته وصفاته وأسمائه - جل جلاله - . وأن المراد بالتقوى : الملكة القلبية والسلوك النقى المنبثق عنها . وأن المراد بالشكر : الإقبال على الله بالفرائض والنوافل ، بحيث يستعمل الأخ كل ما أعطاه الله - عز وجل - فى أحب ما يحبه الله .

* * *

• من مظاهر التكميل فى المقامات الخمس :

(أ) **التكميل فى مقام الإسلام** : هذا التكميل يقتضى إحصاء لجموع الفرائض والواجبات التى يُكلف بها الإنسان فى نفسه وفيما حوله : من صلاة ، وصوم ، وزكاة ، وحج ، وعلم وتعلم . وإذا كان أباً فما هى واجباته ؟ وإذا كان ذا عشيرة فما هى واجباته ؟ ثم واجباته تجاه جيرانه وإخوانه ، وواجباته فى عمله وحرفته ، وواجباته تجاه ما يواجهه ، وتجاه الظروف التى تواجهها أمته ، وواجباته التى يقتضيها عطاء الله إياه من طاقة عقلية وجسمية . هذا كله ، مع الإقبال على الله بالنوافل ، وترك المحرمات والمكروهات . هذا النوع من السير تدخل به أنوار الإيمان شيئاً فشيئاً إلى القلب طاردة أمامها الظلمات : ظلمات الكفر والنفاق والفسوق والشهوات الآثمة .

(ب) التكميل فى قضايا الإيمان : مر معنا من قبل : محل الصلاة ، محل الذكر ، وقراءة القرآن ، ومحل الإنفاق ، ومحل العلم ، ومحل التواصى بالحق وبالصبر فى قضية الإيمان . فقد سمّى الله - عز وجل - الصلاة إيماناً فى قوله تعالى : ﴿ ... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ... ﴾ [1] . وقال عليه الصلاة والسلام عن الصدقة : « والصدقة برهان » . فهى برهان فى الإيمان . والذكر يستقر به القلب . قال تعالى : ﴿ .. أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [2] . ودراسة الأصول الثلاثة تعميق لقضية الفهم والإيمان العقلى . والتواصى بالحق والصبر علامة الإيمان : « مَن رأى منكم منكراً فليغيره ... فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ، « مَن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » . وهذه قضايا كلها مرت معنا فى المرحلة الأولى من مراحل التكميل ، وهى كلها مرتبطة بقضية الإسلام والإيمان ، ومن ثمَّ فمن أجل قضية الإيمان نحن نطالب بالاستمرار على هذه المعانى مع نقطة نركز عليها . فى الحديث الذى أخرجه الطبرانى وغيره بإسناد حسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الإيمان ليَخْلَق فى جوف أحدكم كما يَخْلَق الثوب ، فاسألوا الله أن يُجدِّد الإيمان فى قلوبكم » . وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد بإسناد حسن عن رسول الله ﷺ قال : « جَدِّدوا إيمانكم . قيل : يا رسول الله : كيف نُجدِّد إيماننا ؟ !! . قال : أكثروا من قول لا إله إلاَّ الله » .

إذن فتجديد الإيمان فى كل مرحلة شىء لا بد منه . وتجديد الإيمان إنما يكون بالإكثار من قول : « لا إله إلاَّ الله » . ومن ثمَّ فإننا نطالب الأخ أن يُفرِّغ بعضاً من وقته كل فترة للإكثار من « لا إله إلاَّ الله » فلو أننا طالبنا الأخ فى كل فترة بأن يقبل على وِرد « لا إله إلاَّ الله » مع أوراده العادية ، فإننا نرجو بذلك أن يبقى قلبه عامراً بالإيمان من خلال اجتماع الأوراد اليومية ، مع الإكثار من « لا إله إلاَّ الله » كل فترة . وعلينا أن نُنبه إلى أن قضية الاطمئنان

---

(1) البقرة : ١٤٣

(2) الرعد : ٢٨

القلبى قضية حِسِّية ، يحسها المسلم . ومن ثمَّ فكل إنسان يدرك من خلال استمراره بالذكر إلى أى حد وصل اطمئنان قلبه ويقينه ، فعدد مرات الذكِر ليست هدفاً - إن لم يكن ورد فيه نص خاص - بل الوصول من خلال الذكِر إلى الكمال الإيمانى العالى هو الهدف . وهذا موضوع يحسه الإنسان بنفسه . وحبذا لو أحيينا سُنَّة الاعتكاف السنوية فى العَشر الأواخر من رمضان لمن يستطيع ، وقضاؤها فى غير رمضان لمن لم يستطعها فى رمضان . وحبذا لو رتب لهذه العَشرة أيام السنوية برنامج شامل ، يخرج به الإنسان منها وقد خرج بأعظم الفوائد الإيمانية .

(جـ) **التكميل فى مقام الإحسان :** مقام الإحسان يعنى شيئين : الأول : فعل الأحسن . والثانى : أن يعمل الإنسان وهو يستشعر كأنه يرى الله ، أو يستشعر أن الله يراه . وهذا يقتضى سيراً راقياً وعملاً راقياً مع شعور قلبى راق . ولا شك أن الوصول إلى الإحسان شىء يحتاج إلى جهد كبير . فأن يختار الإنسان الأحسن دائماً فى أقواله وأفعاله وتصرفاته ، وأن يبقى ذلك خُلقاً دائماً له ، فليس ذلك سهلاً . ثم أن يصل الإنسان إلى هذه الحالة القلبيـــة - وهى حالة الإحسان - فذلك يقتضى منه سيراً قلبياً شاملاً وصعباً . وهذه قضية اندثر العلم فيها وقَلَّ العلماء ، واختلطت على الناس ، لما رافقها من أخطاء وانحرافات وبدع . فاختلط الأمر بين تصوف صاف ، وتصوف خاطىء . ونحن حركة إحدى ملامحها التصوف السَلفى ، فإذا فشلنا فى إيصال الأخ إلى الإحسان الذى هو غاية علم التصوف ، نكون قد فشلنا فى أهم شىء تقتضيه عملية إحياء الإسلام . ولصعوبة الكلام المختصر فى هذا الموضوع ، ولدقة الكلام فيه ، ولكثرة الاختلاف عليه ، فإنه لا يُغنى الكلام المختصر فيه . ولذلك فلا بد من كتاب يعطى تصوفنا وسيرنا إلى الله تطبيقه العملى إرضاءً لله وحده . وقد حاولنا هذه المحاولة فى كتابنا « تربيتنا الروحية » فليُراجَع . على أنه ههنا نحب أن نذكر شيئاً ؛ وهو أن الأستاذ البنا - رحمه الله - ذكر فى مذكراته : « لماذا لم يُقم دعوته على أساس طريقة صوفية ؟ . وبَيَّن أنه فى النهاية من أراد من الإخوان أن يختار لنفسه تربية خاصة ، فهو وما يختار ».

ومن ثمَّ نقول : إنه فى دعوتنا لا حرج على الأخ أن يأخذ السير إلى الله عن أهله ، على شرط أن يكون هؤلاء ، لا يتنكرون لغايتنا فى وقت من الأوقات ، فهم مؤمنون بما نؤمن ، وعاملون لما نعمل ، ويحبوننا ونحبهم ويثقون بنا ونثق بهم ، ولا يقطعون الأخ عن السير الجهادى بحجة السير الروحى وهم مع هذا ملتزمون بالكتاب والسُّنَّة ولكنه يبقى وضعاً شاذاً أن نكون عاجزين عن الوصول إلى مقام الإحسان ، وعاجزين عن إيصال الناس إليه.

(د) **التكميل فى مقام التقوى :** قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1] . فالعبادة إذن طريق إلى التقوى . وبقدر التحقق بمقام الإحسان يكون استعدادنا للتحقق بالتقوى كبيراً . على أن العبادة ينبغى أن نفهمها بمفهومها الواسع من ناحية ، وعلينا أن نستحضر مجموعة الطرق الموصلة إلى التقوى ، كما إن علينا أن نستحضر ماهية التقوى لنتحقق بها - وهو موضوع توسعنا فى شرحه فى كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » فليراجع - وعلينا أن نلاحظ أنه إذا لم نستطع الوصول والإيصال إلى التقوى فلا نجاح لا فى أمر دنيا ، ولا فى أمر آخرة ، والمفروض أن يكون الأخ قد أخذ حظه من التقوى فى مرحلة التكميل الأخلاقى ، التى من بعض برامجها رسالة « التعاليم » وكتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » .

(هـ) **التكميل فى مقام الشكر :** قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [2] . فالشكر هو أعلى المقامات ، لأن التقوى نفسها على علوها طريق يوصل إلى الشكر . ولذلك كان مقام الأنبياء والمطلب من الأنبياء : ﴿ .. اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً ، وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [3] . وفى الحديث المتفق عليه عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلتُ له : لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غُفِرَ لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر ؟ !! . قال : أفلا أكونُ عبداً شكوراً » .

---

(1) البقرة : ٢١ (2) آل عمران : ١٢٣ (3) سبأ : ١٣

ولعل من خلال ما نقلنا ، تتبين لنا حقيقة مقام الشكر . فمقام الشكر هو بذل منتهى الجهد فى القيام بحق العبودية لله ـ عز وجل ـ شكراً لله على ما أعطى . فإذا كانت العامة تؤدى الحد الأدنى من التكاليف ، فالخاصة تبذل كامل الجهد للقيام بوظائف العبودية ، مؤدية الفرائض والنوافل فى كل شأن شكراً لله .

ومن ثَمَّ فالتكميل فى مقام الشكر يقتضى ألا تبقى نعمة مُعطاة إلا وتُستعمل فى مرضاة الله ـ عز وجل ـ على الكمال والتمام . فشكر نعمة العلم أن تعلم ، وشكر نعمة القوة أن تجاهد ، وشكر نعمة اللّسان أن تدعو إلى الله وأن تذكر ، وشكر نعمة المال أن تنفق .. وإقامة الصلاة : فرائضها ونوافلها شكر . والصيام شكر .. وأن يأخذ الإنسان حظه الكامل من مقام الشكر ، فذلك المقام الأعلى ، الذى ينبغى أن تطمح إليه أبصار الصدِّيقين وبصائرهم . وليس للكمال فى هذا الشأن حد ينتهى إليه ، لأن نِعَم الله لا تُعَد . وشكر النعم الظاهرة والباطنة ليس له حد ، وأن يُؤدى ظاهر الإنسان وباطنه وظائف الشكر فليس لذلك حد ينتهى إليه . وعلى الأخ أن يأخذ من ذلك حظوظه كاملة . وبهذا نكتفى من الكلام فى هذا النوع من التكميل فى مقامات الإسلام ، وهو موضوع نكتفى فيه بالإشارة ، لأنه أوسع من أن يُحاط به ، ولكن لا بد من ملاحظته فى بحث عن التكميل .

١٠ ـ التكميل فى التدريب العملى الدعوى :

المفروض من خلال التكميل فى مراتب العضوية أن يكمل الإنسان فى أمر الدعوة إلى الله ، والتربية وتزكية النفس وتعليم الناس ، وذلك يقتضى أن يُوَجّه الأخ إلى الدعوة الفردية ، ويُدرّب عليها من خلال المناقشة وإهداء الكتاب أو الدلالة عليه ، أو من خلال توجيه الخطاب المباشر لإنسان ـ ما ـ ويُدرّب على اللّغة التى يُخاطِب بها كل طبقة من عمال ، لفلاحين ، لطلاب ، لأطفال ، لشيوخ ، لكبار ، لصغار . كما يُوَجّه نحو إتقان الخطابة والمحاضرة والدرس ، ويُدرّب على ذلك ويُعطى آلاته كلها ، ويُدفَع فى هذا الطريق حتى ينضج فيه ويكمل . كما يُوَجّه نحو توجيه الأسرة ، وإدارة الحلقات ، وتربية الكتائب ،

ويُدرَب على ذلك حتى ينضج فيه ويكمل .. وخلال ذلك كله : فعلى المربى والمُوجِه أن يدله على جوانب الخطأ والصواب ، وعلى السلبيات والإيجابيات ، وخاصة على الخطأ فى التعامل مع النفس الإنسانيـــة . كما يُدربه ويُوجهه لأن يُقبل على أمور الدعوة ، وهو فى أعلى درجات الإخلاص والمراقبـــة . وذلك من خلال قضاء فترات قبل ذلك فى ذِكر الله ، أو صلاة على النبى ﷺ ، أو عبادة ـ ما ـ فلذلك آثاره فى تنوير القلوب وهذا موضوع يُلفَت النظر إليه . ولا يُحاط به .

* * *

١١ ـ التكميل فى مراتب العضوية :

هذا موضوع تَفرّق الكلام فيه فى هذه السلسلة كلها ، فلا تخلو رسالة إلا وفيها كلام له صلة بهذا النوع من التكميل ، فليُلاحَظ . وبشكل عام : فلكل درجة من درجات العضوية منهاجها العلمى ، وخصائصها السلوكية ، والتزاماتها التنظيمية ، ومن ثَمّ فلا بد من إحاطة بهذا كلـه ومراعاتـه فى التربية والتحقيق ، ولا بد من التدقيق فيه إذا ما أريد إعطاء إنسان صفة عضوية ـ ما ـ . وعلى كل الأجهزة وعلى كل الإخوان أن يسهروا على ذلك ، وعلى القيادات ذات العلاقة أن تتأكد من أن جهة ـ ما ـ لا تتساهل فى إعطاء صفة . كما أن على كل قيادة ألا تعطى صفة ـ ما ـ إلا لإنسان توافرت فيه خصائصها ، وهضم برنامجها العلمى ، وتعهد بأداء التزاماتها . وههنا ينبغى أن نلاحظ ملاحظة : وهى أنه يُتساهل فى عضوية المشرف ـ إذا اعتمد هذا النوع من العضوية ـ ما لا يُتساهل فى العضوية العاملة . وبناء عليه : فإذا رؤى أن ينتقل إنسان ـ ما ـ من رتبة شرف إلى العضوية العاملة ، فعلى القيادة أن تُفرز له أخاً مهمته تكميله فى كل نواقص العضوية العاملة التى ستُعطى له ، ونواقص ما قبلها . وهذا كله قبل أن يُعطى الصفة ، وعلى ضوء تقرير هذا الأخ يُعطى المرشح الصفة أو لا يُعطاها . ولنكتف بهذا القدر عن هذا الموضوع .

١٢ ـ التكميل فى الاختصاص الحياتى ليكون صاحبه رجل قمة فيه :

إننا لن نستطيع أن نقطع بأمتنا مرحلة التخلف المدنى إلا إذا استطعنا أن نغطى كل اختصاصات الحياة برجال قمة ، يكونون أكفأ خلق الله فى اختصاصهم . وهذا لن يتم لنا على كماله وتمامه قبل أن تنتصر دعوة الحق . ولكننا ندعو إليه ، ونحرص عليه ، وننصح الحكومات فى شأنه ، وندفع إليه إن استطعنا .

ولْيُطالِبْ كل منا نفسه أن يكون رجل قمة فى اختصاصه حيثما تيسَّر له اختصاص حياتى .

وبهذا النوع من التكميل نُغلق هذا الباب .

ولعله وضح به للقارىء ما نريده لأمتنا ، وما نريده لكل مسلم ، بل لكل إنسان . وبناء عليه فإننا نطالِب كل إنسان بالدخول فى الإسلام ، والالتزام به ، ونطالِب كل مسلم أن يضع يده بيدنا .

وليعلم كل مسلم أن الإسلام يزيد ولا ينقص ، فلن يكون فى الدخول معنا إلا الربح ـ بإذن الله ـ ولكنه الربح فى الموازين الربانية : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [١] .

* * *

وبعـــد ..

لقد عرفتَ أيها القارىء الكثير عن دعوتنا وعرفتَ نظرياتنا فى التكوين والعمل ، والتكميل والاستكمال ، وبذلك يتحدد أمامك معنى الالتزام بدعوتنا :

١ ـ أن تُكوِّن نفسك على ضوء خريطة التكوين المعتمدة لدى الجماعة .

٢ ـ أن تتحرك حركة يومية ذات مردود مباشر على الإسلام ودعوته .

٣ ـ أن تُعد نفسك لتكون جزءاً من جهاز يخدم دعوة الحق .

وهذا يوصلنا للحديث عن النظام والتنظيم ، فالتكوين هو المقدمة للوصول إلى الأخ المنتظر .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٠١

الباب الخامس

أضواء حول النظام والتنظيم

عندما يريد أفراد أن يحققوا هدفاً يخالف ما تواضع عليه الناس فليس أمامهم إلا العمل المنظم والتنظيم الصالح . لأنهما الطريق الوحيد لتحقيق الأهداف الكبيرة البنّاءة .

إن الجماعة المسلمة مُكَلَّفة تكليفاً شرعياً أن تحقق أهدافاً منها المحلى ومنها العالمى . وهذه الأهداف قد تواضع الناس على تركها أو محاربتها ، ويتواطأ العالم كله ليحول بين المسلمين وبين تحقيقها . وتتواطأ كل القُوَى العالمية الضخمة على محاربة أهلها . ثم إن التركيب العالمى الكافر كله يتناقض معها . وأمام هذا كله فإنه ليس أمام المسلمين إلا العمل المنظم والتنظيم الصالح لتحقيق الأهداف والآمال لمجابهة القُوَى الباغية . ومن ثَمَّ كان لا بد للمسلم من الارتباط بجماعة منظمة ، ولا بد أن يكون هذا التنظيم صالحاً ، ومن تأمل وجد أن الإخوان المسلمين هم الذين فطنوا لذلك وساروا بالطريق العملى فيه ، ولا زالوا يسيرون .

* * *

● لماذا الارتباط بجماعة منظمة ؟

إن الارتباط بجماعة منظمة فى عصرنا أمر لا مندوحة عنه للمسلم شرعاً وذلك لأسباب كثيرة منها :

١ ـ إن أهداف الإسلام لا تتحقق إلا بهذا الانتساب ـ وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ـ . وقد رأينا أن طريق تحقيق الأهداف هى الجماعة ،

الجماعة ما لم ينتسب إليها المسلمون لا تستطيع تحقيق أهدافها . والمسلمون الذين يأخذون على الجماعة أنها لم تستطع تحقيق أهدافها عليهم أن يلوموا أنفسهم . إذ كيف يلومون جماعة - ينبغي أن يكونوا من أعضائها - على شيء لا يتم إلا بمشاركتهم ؟ !!

٢ - أول صفات المسلمين أنهم يوالون بعضهم ولا يستحقون رحمة الله إلا بهذا الولاء . فقد قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ (١) . والولاء الكامل فى عصرنا لا يتحقق إلا ضمن جماعة . أما إذا بقى الإنسان خارج الجماعة فإن ولاءه يبقى سائباً أو معطلاً ، وهذا لا يصح .

٣ - لا بد للمسلم أن يعطى طاعته لجهة . يقول تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٢) . وأولى من يقدم له المسلم طاعته فى عصرنا هى الجماعة ، لأن قرارات الجماعة أسلم وأحكم وأبعد عن الهوى وأكثر بركة : « يد الله مع الجماعة ، ومن شذّ شذّ فى النار » ، « وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » .

٤ - الانتماء لا بد منه ليحقق الإنسان الإسلام فى ذاته وليُربّى شخصيته . فالإنسان الذى يعيش خارج الجماعة تفوته كثير من الأخلاق الأساسية التى لا توجد إلا إذا عاش الإنسان حياة جماعية ، وكثير من المعانى الإسلامية لا يذوق الإنسان طعم التحقق بها إلا داخل الجماعة .

٥ - قد يستطيع الإنسان تحقيق كثير من الثقافة الإسلامية خارج الجماعة . وقد يستطيع حضور كثير من الجلسات التى فيها بركات وخيرات . وقد يحقق معنى التواصى بالحق والصبر خارج الجماعة . ولكن هذا كله لا يكون على كماله إلا داخل الجماعة ، مع ملاحظة أن هناك أموراً لا يمكن تحصيلها إلا داخل الجماعة : كنظريات العمل الإسلامى المعاصر وغير ذلك .

---

(١) التوبة : ٧١ (٢) النساء : ٥٩

٦ - يقول عليه الصلاة والسلام لحذيفة : « أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قال : فإن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام ؟ قال ﷺ : « اعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » . « والجماعة أن تكون على الحق ولو كنتَ وحدك » هكذا فسرها ابن مسعود رضى الله عنه ، والاعتزال إنما يجب أن يكون للفِرَقِ الضالة ، وعلى هذا فما دامت فئة قائمة بالحق فعلى الإنسان أن يضع يده بيدها .

٧ - إن التنظيم يدفع الإنسان إلى العمل فى أطواره الدنيا والعليا كلها ، فلا تموت حركة الإنسان ، ولا تتعطل بعض طاقاته . وبالتنظيم يضم المسلم قُوَّته إلى قُوَّةِ إخوانه ، فتصبح له مجموعة قُوتهم ، كما أن قُوَّته ترفدهم . وبالتنظيم يكمل الجيل اللاحق عمل الجيل السابق ، فلا يضطر المسلمون للبداءة من الصفر ، ومن خلال التنظيم يتواصى المسلمون بالحق والصبر ويُقيمون أنواع الجهاد ، كما يساعدون بعضهم على الاستقامة الكاملة ، فلا ينجرفون فى خضم التيارات الكبرى . وبالتنظيم يعطى العمل مردوداً أكبر بكثير من العمل المنفرد . ولهذا كله فإن الذين يفرون من التنظيم مخطئون ، لأن الفوضى لا تُعلِّم نظاماً ، ولا تُوجِد انضباطاً ، ولا تُقيم دولة ، ولا تُهذِّب أفراداً ، ولا تحل مشاكل .

ومن ثمَّ فلا بد من التنظيم ولا بد من أن يكون التنظيم صالحاً . لأن التنظيم السيء يكون مُعوِّقاً عن العمل ، شالاً لطاقات الإنسان ، حائلاً بينه وبين الحركة ، حائلاً بينه وبين طاقاته كلها أن تتفجر . وفى مثل هذه الحالة يصبح التنظيم مميتاً ، إذ لا يكفيه أن يجمد الإنسان ، بل يتحرك بجملته ضده لو أراد الحركة . ومن ثمَّ كان من الخطر أن يقوم تنظيم غير صالح بقيادته أو بعناصره أو بأسلوبه . فكما أنه بدون تنظيم لا تتحقق الأهداف الكبرى ، فإن التنظيم السيء لا يكون فيه شيء سوى تعقيد أتباعه وإرباكهم وتجميدهم والسير بهم نحو الأفول ، بل يقتل أتباعه ويجعلهم أعداء لكل صلاح أو إصلاح . ولذلك

فإن الذين يرضون بمجرد تنظيم دون محاولة تطويره مُقصِّرُون . لذا فإن حرصنا على التنظيم الصالح ينبغي أن يكون أكثر من حرصنا على مجرد التنظيم . فما هي شروط التنظيم الإسلامي الصالح ؟

إن من شروط التنظيم الإسلامي الصالح :

١ - أن يكون على رأسه قيادة تعرف ما تريد ، وتعرف الوسائل لتحقيق أهدافها ، ويمكن أن تضع الخطط للوصول إلى الهدف ، وبدون ذلك فإن التنظيم يسير في التيه المؤدي إلى التفرق والضياع .

٢ - أن يرتكز التنظيم على منهاج ثقافي تربوي سليم ، وخطة شاملة . وبدون ذلك يبقى الصف مُعَرَّضاً للانقسام والتمزق والخصومات .

٣ - أن تكون حركة التنظيم نحو الخارج سليمة مستقرة مستمرة متوازنة دائمة ، وبدون ذلك يتعرض التنظيم للركود الذي يرافقه عادة الإحن والخلافات الداخلية .

٤ - أن يضم التنظيم أعضاءه حيثما كانوا . فالعضو الذي تهمله فلا تضمه ولا تحركه تقضي عليه . وعلى هذا فلا يجوز أن يبقى عضو يوماً واحداً غير شاعر أنه في الصف . سواء أكان مستقراً أو متنقلاً . وهذا من مظاهر حرص القيادة على إخوانها . وتلك صفات النبوة : ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾[1] .

٥ - أن تكون الثقة على أعلاها بين القيادة والجند ، لأنه بلا ثقة لا يمكن السير خطوة واحدة .

٦ - أن يأخذ كل إنسان محله المناسب في التنظيم على حسب إمكاناته وطاقاته وكفاءاته واستعداده . إذ أن أخطر قضية تواجه التنظيم فتشله وتقتله : أن يصل إلى مركز القيادة والتسيير فيه من ليس كفؤاً ، أو من يتجاوز الأكفاء . فذلك توسيد الأمر إلى غير أهله وذلك إضاعة الأمانة . وحيثما وُجد هذا فلا يجوز أن يكون في التنظيم الإسلامي . إن وضع العضو في مركز أعلى من الذي يستحقه يجعله متمرداً مغروراً ، حتى إذا وُسِّدَ الأمر إلى

---

(١) التوبة : ١٢٨

أهله كان عدواً لهم بدلاً من أن يكون مساعداً ، إلا من عصمة الله بالتقوى ، كما يؤدى إلى عرقلة أعمال التنظيم ، مما يجر إلى التذمر وفقدان الثقة وحرمان التنظيم من الكفاءة .

٧ ـ أن يحكم هذا التنظيم قواعد معترف عليها متمثلة بنظام تُراعَى فيه كل الأمور السابقة ، إن قضية القواعد المتمثلة بنظام ولوائح فى عصرنا قضية لا بد منها للجماعة الإسلامية للأسباب التالية :

(أ) لا بد داخل الجماعة من تحديد بنية التنظيم وإطاره ومعالم العمل ومسؤولية العامل ، وهذا يقتضى نظاماً ولوائح .

(ب) أن عملية إنقاذ الأمة الإسلامية تحتاج إلى أمور متداخلة : منها الثقافى ومنها الحركى ، لتحقيق التعريف والتكوين والتنفيذ . ولذلك كان لا بد من نظام حتى لا يضيع جانب ، أو يُهمَل ، أو يتعارض مع بعضه ، أو ينطلق منحرفاً عن الغاية .

(جـ) أن إقامة دولة الإسلام لا تتم بلا أنواع جهاد ، ولا جهاد يحقق مثل هذا بلا تنظيم وتنسيق وتعاون ، وهذا لا يتم إلا بقواعد وأسس واضحة ينضبط بها جميع السائرين على هذا الطريق ، وهذا يقتضى نظاماً . ومن ثَمَّ كان وجود النظام ضرورة حية لا يجوز نسيانها ولا تجاوزها ، وواجباً تقتضيه طبيعة العمل الإسلامى فى العصر الحاضر . وينبغى أن يُراعَى فى النظام ما يلى :

١ ـ الاستفادة من تجارب العمل الإسلامى كله .

٢ ـ احتياجات الحركة الإسلامية إلى كفاءة فى الرجال ، ومتانة فى البناء ، وكمال فى الفهم والعلم والسلوك .

٣ ـ أن لا تُعطَى الشورى إلا لأهلها ، وأن لا يُقرِّر مصير الجماعة وأهدافها ويحدد مواقفها إلا المخلصون الواعون من أبنائها ، وألا يصل إلى مراكز القيادة من ليس أهلاً لها .

٤ ـ أن يكون التوسع العام مطرداً مع توسع الطبقة القيادية .

٥ ـ أن يشمل العمل الإسلامى جميع مرافق الحياة .

٦ ـ أن يُقيم الجماعة فى وضع لا يبقى لأحد حجه صحيحة عليها فيه .

٧ ـ أن يصبح التنظيم هو العقل المفكر والمحرك للمسلمين ، والبعيد بنفس الوقت عن الأضواء والضجيج ، ليقود المسلمين إلى النصر ، بأن تكون كلمة الله هى العُليا وكلمة الذين كفروا هى السُفلى .

٨ ـ أن يُؤمّن صفاً لا يخترقه فكر دخيل أو عدو عميل .

٩ ـ أن يُحَرك الأخ فى أطر الجهاد ، بحيث يتم تجديد الطاقات وإطلاقها إلى أبعد مدى ممكن .

١٠ ـ أن يحقق أكبر قدر ممكن من التلاحم بين القيادة والقاعدة ، لأنه بهذا التلاحم تنتقل الثقة من القمة إلى القاعدة ، ثقة لا تردد فيها ولا شك ولا حرج .

١١ ـ أن يحقق أرقى أشكال التنظيم المكافى، لكل وضع ليكفل أقوى أنواع الأمن الداخلى للتنظيم .

١٢ ـ أن يحقق وضعاً سليماً لا يظلم فيه أحد ، ولا تقوم فيه ولاءات شخصية ، أو جيوب جانبية ، أو تيّارات داخلية .

١٣ ـ أن يكون مع هذا كله واقعياً يمكن تطبيقه .

وإن الجماعة لتسعى لذلك كله غير ناسية ولا متناسية أن الأمر ليس سهلاً ، ولكن هل أمامنا خيار فى أن نسير أو لا نسير ؟ إنه بدلاً من أن ننطلق من نقطة الصفر بعد مائة عام فقد انطلقنا منذ خمسين عاماً ولا زلنا نسير ، والأمر أولاً وأخيراً يحتاج إلى توفيق الله ، ثم إلى الإحسان فى النية ، ثم إلى الأخذ بالأسباب ـ فى عالم قفز به استخدام الأسباب إلى قمم كانت أحلاماً ـ .

* * *

تذييـــــل

قضايا يجب أن يلحظها المربون

يحاول بعضهم أن يجعل بعض شعوب العالم عاطفية وبعضها عقلانية . وأن يجعل بعض الناس عاطفيين وبعضهم عقلانيين . والذى نقوله : إن الشعوب فى وضعها الفكرى تكاد تكون متشابهة العواطف . ثم تأتى عوامل كثيرة لتجعل شعباً - ما - ذا خصيصة معينة بفعل المناخ أو بفعل التربية ، أو بفعل الثقافة ، أو بفعل مؤثرات خارجية . وقُلْ هذا كذلك فى كل إنسان . ولا ننكر أن نِسب بعض الأمور عند شعب تختلف عنها عند شعب آخر . ونِسب بعض الأمور عند فرد تختلف فيها عن فرد آخر ، إلا أن كل هذه الأمور تؤثر فيها التربية والثقافة والبيئة والمناخ ، وكل إنسان وكل شعب قابل للكمال فيها . نقول هذا لأن شعوب الشرق الأوسط - وهى محل توسع الإسلام - متهمة بأنها عاطفية ذاتية شخصية ، بينما شعوب الغرب عقلانية موضوعية . والذى نقوله بعد ملاحظة المقدمة السابقة : أن هذا الكلام ليس على إطلاقه - حتى بحسب الواقع - . فشعوب الغرب فى بعض الجوانب أكثر عاطفية : خذ مثلاً على ذلك اندفاع الغربيين وراء عامل الشهوة إلى أقصى حد متصوَّر . بينما نجد هذا فى الشرق أقل . صحيح أن الغربيين - فى بعض الأمور - يبدون أكثر تأملاً ، وأكثر تفكيراً ، وأكثر واقعية ، كشأنهم فى قضايا السياسة بشكل عام ، ولكن هذا ليس خُلقاً ينفردون به ، وإنما هو أثر وضع متطاول كانوا فيه فى مركز الثقل السياسى العالمى . وعلى كل فليس ما هم فيه ميزة دائمة . وليس ما نحن فيه نقيصة دائمة . نقول هذا ليُعلَم أن ما سنذكره من قضايا ، كلها قابل للعلاج :

(أ) يغلب على تصرفات بعضنا الدوافع الذاتية الشخصية ولو على حساب الجماعة والعمل الجماعي . فنجد ولاء بعض الناس لفرد أكثر من ولائهم للجماعة ، وولاؤهم للعواطف الشخصية أكثر من ولائهم للمبادئ . وهذه قضية خطيرة جداً ، فبسبب من ذلك نسمح دائماً للنزعات الفردية أن تنجح على حساب الجماعة والمبادىء . وبالتالي فإن أفراداً يستطيعون أن يحطموا عمل الجماعة إذا امتلكوا بعض المقوّمات . إن شعبنا يحب الكرم « والإنسان عبد الإحسان » ـ كما يقولون ـ ومن ثمّ فإنه من خلال الكرم قد يستطيع إنسان فرط العمل الجماعي . وشعبنا يحب الشجاعة ، ومن خلال تخلق إنسان بخُلُق الشجاعة يمكن أن يستقطب حتى على حساب العمل والجماعة . وشعوبنا للتعلقات القلبية والأسرية والعشائرية محلها فيها . مثل هذه الأمور تجعل العمل الجماعي يضعف . ولذلك فإن علينا أن نعطي معالجة هذه الأمور أهمية كبيرة ، لأن الشعوب ـ بشكل عام ـ تحركها العواطف أكثر من المبادىء ، ومعالجة ما ذُكِر ـ وهو نموذج ـ يكون بمجموعه أمور :

١ ـ أن ننمي أخلاق الشجاعة والكرم عند الصف ، وعند قياداته ـ بشكل أخص ـ حتى لا يغلب صفنا أحد .

٢ ـ أن ننمي عند كل فرد عقلية العمل الجِماعي ، وملاحظة ما يقتضيه من تقديم الولاء الجِماعي على الولاء الفردي أو على الولاء المحصور .

٣ ـ تعميق الثقة بقواعد العمل الجِماعي وقواعد بناء الجماعة ، وبأن الجماعة فيها الخير كله ما دامت مستقيمة على أمر الله ، وبالتالي فمن الابتداء يدرس الأخ : أن الولاء لموجهه أو لأسرة التكوين أو للحلقة العامة لا يجوز أن يكون مُقدّماً على الولاء للجماعة .

ومن الابتداء ينبغي أن يدرس : أنه لا يجوز أن يُباع أو يُشترى على حساب السير الصحيح ، لا بكلمة منمقة ولا بكرم مفتعل فضلاً عن كلمة حلوة أو كرم أصيل .

هذا كله في الأوضاع العادية ، إلا أن هناك أوضاعاً أكثر خطراً : إن أعداء الله بدوائرهم ـ ومن ذلك الدوائر الاستعمارية ودوائر المخابرات ـ تعرف مثل

هذا عن شعوبنا ، ومن ثمّ فهى من خلال عميل تضع تحت تصرفه أموالاً كثيرة ، وتطلق يده للظهور بمظهر الغنى الكريم ، تستطيع أن تجعل هذا العميل يحرك الصف ، وأن يصل إلى الأسرار الكثيرة دون أن يكلف نفسه أن يتصل بأحد ليعرض عليه التعاون على الخيانة والعمالة .

إن الفرد فى الجماعة يجب أن تكون ثقته فى كل ماهو خارج الصف بالقدر الذى يثق فيه الصف ، وكل فرد فى الصف يجب أن تكون الثقة فيه بقدر ثقة الصف فيه . إن مجموع هذه القضايا تحتاج إلى تصحيح دائم ، وإلا فإن الجماعة تشعر فى كثير من الأحيان بسبب الغفلة عن هذه الأمور وكأنها ليست جماعة . إن الجماعة بحاجة بشكل دائم لأن تحرر نفسها ، ولأن تعرف رأسمالها ، ولأن تُنَقّى الصف وتُقوّى تلاحمه ، لأنه من خلال رأس المال ـ فقط ـ يكون التصحيح الدائم ، وهذا يقتضى أن يكون رأس المال واعياً ومتلاحماً .

(ب) نحن كحركة إسلامية لا بد أن نتحرك فى إطار الشباب والصغار ، لأن هذه المرحلة هى أجود المراحل لغرس الإسلام ، لقرب هذه المرحلة من الفطرة ، ولأن هذه الأجيال هى الأقدر على تحمل الأعباء الضخمة دون تفكير فى الأخطار الكثيرة التى تترتب عليها . قال تعالى : ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴾ (١) . وفى الحديث : « مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر » . إلا أن تعاملنا مع الإنسان فى هذه المرحلة يجعلنا فى خطر التعرض لمجموعة من المشاكل كبيرة وخطيرة ، إذ فى هذه المرحلة سنستقبل تفتح الشهوة الجنسية عند الإنسان ، وهى أخطر قضية تحتاج إلى علاج صحيح لضبطها ، فى هذه المرحلة قد توجد العلاقات العاطفية بين الكبار والصغار ، وبين الصغار بعضهم مع بعض .

ولقد كان شيخنا الشيخ محمد حامد ـ رحمه الله ـ يرى أن هذه المرحلة لا ينجح فى التربية عليها إلا كبار الأولياء والمرشدين . فهى تحتاج إلى صلاح

---

(١) يونس : ٨٣

المربى وقوة تربيته ، وكثرة معرفته وخبرته بالنفس البَشرية ، وقدرته على نقلها من حال إلى حال : على ضوء العلم والفتوى البصيرة .

إنها المرحلة التى تترك بصماتها على كل حياة الإنسان . فإذا تم الإحسان فى التربية فيها وضعنا الأسس بذلك لتخريج العلماء ، وتخريج القادة ، وتخريج العبّاد والزُهّاد ، وتخريج المجاهدين المتفانين فى سبيل الله .

ولقد دأبت جماعتنا على أن تفرز أقوى المُربّين لهذه المرحلة ، وعلى أن تحيط هذه المرحلة بأروع أنواع البيئة الصحية ، التى يترعرع فيها الإنسان بين عطف الآباء وحزم المُربّين ورعاية البُناة لجيل الغد وقادة المستقبل . ونرجو أن يستمر ذلك ، وأن يزداد .

ومما يفعله إخواننا عادة لهذه المرحلة :

(أ) تعليق الأخ بالأوراد والأذكار وحضور حلقات العِلم والاستغراق بالعبادة .

(ب) إشاعة جو التعامل الرجولى الذى فقدته كثير من البيئات .

(جـ) توضيح القضايا الفقهية التى تحتاجها هذه المرحلة . وكما تلاحظ القيادة احتياجات هذه المرحلة فى حق الأبناء ، فإنها تراعى ذلك فى حق البنات .

وكلنا أمل أن يتخرج نتيجة لهذه السياسة أمثال مصعب بن عمير والزبير بن العوام وأسامة بن زيد ، وأمثال عائشة وأسماء : طُهر ماء السحاب ، وتطلعات أهل الآخرة .

ومما يلاحظه مربونا فى هذه المرحلة : أن الله - عز وجل - جعل مرحلة ما قبل البلوغ مرحلة تأهيلية ، ليكون الإنسان بعدها مُكلّفاً ، ومن ثمّ فكل ما يلزم من عِلم أو اعتقاد أو سلوك ينبغى أن يُعطاه الناشىء وأن يُؤهّل للقيام به . ولأن الإنسان فى الإسلام مُكلّف بالجهاد ، فإن ما قبل البلوغ ينبغى أن يكون تأهيلاً له . ولذلك ورد فى الأثر عن الصحابة : « عَلّموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ، ومُروهم أن يثبوا على الخيل وثباً » .

وكما أن مرحلة ما قبل البلوغ تدريب على القيام فى شؤون الدين ، فإنها تدريب على ما يحتاجه الإنسان فى أمر الدنيا . ومن ثمَّ فإن على المربّى أن يدفع الطفل نحو إتقان ما يلزمه فى أمر دنياه : من حرفة ، أو حسن تعامل ، أو خبرة ، أو تجربة .

الإحسان فى أمر الدنيا والآخرة ، والإحسان مع الله والوالِدَين ، والإحسان مع الجِوار والناس : كل ذلك مما ينبغى أن يُدرَّب عليه الإنسان فى هذه المرحلة .

(جـ) السكوت عن المنكر وإرضاء الناس بإغضاب الله :

كثيراً مايحدث فى الحركات السياسية خاصة ، أو فى الحركات العامة : أن يلجأ بعض الناس إلى قضية تملق العواطف لكسب المواقف ، أو السكوت عن بعض الناس ضماناً لمواقفهم ، أو خشية من انتقامهم ، وهذا إن كان عند الآخرين فلا يجوز أن يكون فى الدعوة الإسلامية والجماعة المسلمة . إن مجرد تفكير أحد بمثل هذا يُسقطه من الجماعة ومن الصف مباشرة . وفى الجماعات التى تنبثق قياداتها عن الصف تحاول بعض هذه القيادات أن تتملق الصف أو تتملق بعضه لضمان تأييده . إن أصل هذا النوع من التفكير خاطىء ، ومتى وُجِدَ فقد أسقط صاحبه من صفنا ، إلا أن هذا شىء ، وتأليف القلوب واللِّين والرأفة والرحمة والمودَّة والرفق شىء آخر . ولا يجوز لواحد منا السكوت على منكر إرضاءً لإنسان أو إرضاءً للناس . هذا الذى يجب أن نحذره ونخافه على الصف ، لأن الجماعة كلها فى هذه الحالة تصبح فى خطر . يجب أن نعتاد بمنتهى البساطة أن يُقال للمخطىء : أخطأتَ ، وللعاصى : كُفَّ عن المعصية ، هذا خُلُق ينبغى أن يتوافر فى أجوائنا كلها - أجوائنا العلمية ، وأجوائنا الأخلاقية والسلوكية ، وفى تعاملنا مع بعضنا - .

فالمسلمون بخير ما ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر . والمسلمون بخير ما كانوا صرحاء بالحق وقّافين عنده . وهو موضوع لا نُطيل الكلام فيه لوضوحه ، وإنما نقول : إن احتمالات تكرر هذا النوع من الخطأ قائمة . ومن ثمَّ نعلى الصف وعلى القيادة وعلى الجماعة أن تصحح كل وضع له علاقة فى هذه

المواضيع ، بحيث تجعل الصف مستوفزاً على المنكر ، حساساً فى كل أمر يخالف شرع الله ـ عز وجل ـ يقظاً على كل وضع نفسى مريض .

(د) الكلمة الضارة والموقف المُدان :

كثيرون منا تدفعهم العواطف أو المواقف أو العادات أو الإرث البيئى أو غير ذلك إما إلى مواقف خاطئة أو كلمات غير مناسبة . وكثيراً ما تحدث عندنا عواطف تدفعنا إلى أن نقول كلمة واحدة فى كل مقام . وكل ذلك ينبغى أن يُصَحح ، وأن تُتابعة القيادات بانتظام ، وأن تُلاحقه وتُطوِّقه فلا يظهر ، وإن ظهر فلا يستمر . وهذه قضية تطبيقاتها كثيرة ، والمهم أن ننتبه إليها على أنها قضية تحتاج إلى ملاحظة دائمة ، فكلما ظهر شىء من تطبيقاتها تُوبِعَ ولُوحِقَ . وهذه نماذج على مثل هذه الظاهرة :

١ ـ مألوف فى بعض البيئات من سكان المدن أن يسخروا من أهل القرى . وهو موضوع يختلط جده بهزله ، والداعية عليه أن يترفع عن مثل هذا ، ويُلزم نفسه أن لا يخوض فى هذه المعانى ـ وإن كان لا بد مازحاً فلصالح الجهة المحمول عليها لا الحاملة ـ ولينظر الأخ إلى الآثار الخطيرة التى تترتب على مثل هذه المعانى وهو يُقدم على بعضها . إن الاساءة للفلاح تعنى الإساءة لسبعين بالمائة من مجموع الناس هم دائرة الفلاح ، فهى إساءة بالغة . وإن الإساءة إلى أهل قرية أو مدينة قد يخسر به الداعية هذه القرية أصلاً . تُرى هل يصح فى فقه الدعوة أن يندفع مسلم فى هذا الطريق ؟ !! وعلينا أن ننبه إلى قضية ، وهى أنه وردت بعض العبارات عن بعض الأئمة ، وبعضها يُروى كأحاديث لا أصل لها فى ذم بعض الطبقات ، فلنلاحظ أن هذا وارد فى ذم أهل الكفر منهم . فقديماً كان الفلاحون كلهم كفرة كأول العهد فى فتح بلاد العراق والشام ومصر ، فإذا ما قال إمام كلمة فى شأن هؤلاء فهى كلمة محمولة على وصف واقع لطبقة من الكافرين فى فترة تاريخية معينة .

٢ ـ يظهر بعض ما ذكرناه فى بيئات تجمع بين قوميات مختلفة . ففى بلادنا مثلاً تجد البيئات العربية تُنكّت على الأكراد ، والبيئات الكُردية تُنكّت على

البيئات العربية . وهذه مأساة كبيرة إن خرجت على لسان الأخ المسلم - إن على الأخ المسلم أن يترفع عن مثل هذا جداً أو هزلاً .

٣ - وألِفَ بعض أهل المدن أن يُنكِّتوا على بعضهم الآخر ، فتجد نوعاً من النقاش التقليدى ، - وقُلْ النزاع التقليدى - الذى يأخذ طابعاً ساخراً . ولهذه الأمور تأثيراتها السيئة فى النفس وفى العمل الإسلامى ، وكل ذلك مما ينبغى أن يترفع عنده المسلم العامل جداً أو هزلاً . وإن كان لا بد من كلمة ، فكلمة لحساب غير جهته التى هو منها . هذا كله : وأن نعرف الخصائص النفسية للشعوب والمناطق والبلدان ، وأن نُحسن التعامل معها على ضوء ذلك .

شىء آخر : فهناك بيئات يغلب عليها الكرم حتى الإسراف ، وبيئات يغلب عليها الاقتصاد لصالح الإدارة ، وبيئات يغلب عليها الترفع عن طبقات من الناس ، وهناك بيئات تغلب عليها طبيعة الجُبن . وهذا كله ينبغى أن يُحسب حسابه ، ويُراعَى فى التربية والتخطيط والعمل .

٤ - هناك بيئات تنظر إلى غيرها باحتقار وازدراء ، وشعوب تنظر إلى غيرها باحتقار وازدراء ، وهذا كله لا يجوز أن يظهر فى علاقات المسلمين بعضهم ببعض . فالرسول ﷺ يقول : « بحسب امرىء من الشر أن يُحقِّر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » ، فإذا كان هذا فى كل مسلم فرد فكيف لا يكون فى حق شعب مسلم ؟ ! . وعلى هذا فينبغى أن يتيه « البدوى » المسلم وهو يتكلم عن « الشاوى » المسلم ، أو العربى المسلم وهو يتكلم عن غير العربى ، والعكس صحيح .

٥ - هناك حِرَفٌ ألِفَ الناس أن ينظروا إليها على أنها حِرف غير مناسبة ، أو أن يتكلموا عن أهلها بنوع من السب خاص . وكل ذلك ينبغى أن يُلاحَظ .

٦ - وفى السياسة تصبح المسألة أشد تعقيداً ، ويكفى الأخ أن يلاحظ أنه فى دعوتنا ممنوع تجريح الهيئات والأشخاص ، وأن يلاحظ قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ . . . ﴾ (١) . الأصل أن يقول الأخ الكلمة المشروعة الحكيمة ،

---

(١) الأنعام : ١٠٨

يقف الموقف المشروع الحكيم ، ولنلاحظ كلمة الحكمة : فقد يكون الموقف مشروعاً ولكن غيره يجمع بين المشروعية والحكمة ، فهناك حالات يجوز لك فيها أكثر من أمر ولكن أمراً ـ ما ـ هو الحكمة ، فذلك هو الأجود ، فالحكمة معنى زائد على مجرد العِلم ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [1] . فقد يكون الإنسان عالِماً وليس حكيماً ، وما كل عالِم يُوَفّق للكلمة في محلها والتصرف في محله .

٧ ـ ألِفَ الناس أن يعتبروا عدو عدوهم صديقهم ، وصديق عدوهم عدوهم . ونحن كحركة إسلامية ليس أعداؤنا جهة واحدة ، بل الكفر عدونا ، والباطل عدونا ، وكذلك أهله ، وأحياناً يحدث أن ندافع عن موقف أهل باطل لأن هؤلاء يعادون عدونا الألد ، فنقع في موقع تُدان عليه عند الآخرين على ضوء مبادئنا نفسها ، ومن ثمَّ فعلينا أن نكون دقيقين في كلامنا وتعبيرنا .

٨ ـ ألِفنا أن نتكلم عن بعض القُوَى العالمية فنخصها بالذكر سلباً أو إيجاباً . وعلينا أن نلاحِظ في مثل هذا الكلام ماهي المصلحة التي تعود على عدونا أو علينا ونحن نتكلم ؟ . فمثلاً كثيراً ما يحدث أن الحملة على أمريكا تكون لصالح روسيا ولصالح الحركة الشيوعية ، والحملة على روسيا تكون لصالح أمريكا ، وفي كثير من الأحيان لا يكون لنا مصلحة إطلاقاً في أن نقول شيئاً في بعض الأمور . وهذا موضوع حساس ، إن وعينا السياسي العالمي لا يجوز أن يكون على حساب الخوف من الوهم ،إننا حركة عالمية عليها أن تفكر في كل موقف وكل حركة ليكون ذلك لصالحها وحدها ، سواء استفاد الآخرون أم لا .

هذه نماذج على قضايا يمكن أن يتكرر فيها الخطأ ، وعلينا أن نسهر دائماً على معالجتها هي وأمثالها .

---

(١) البقرة : ٢٦٩

(هـ) الكلمة المشككة :

ألِفَ إخواننا فى كثير من الجهات أن يُسارِعوا فى الحكم بالخطأ على سير الجماعة ومسراها العام . وألِفوا أن ينتقدوا مواقفها ومواقعها التاريخية . كما ألِفَ كثير من الإخوان أن يُسارِعوا إلى نقد تصرفات القيادات ، أو إلى نقد الجماعة ونقد الصف ، بل قد يُنقد قُطر مسرى قُطر آخر . كما ألِفوا أن ينتقدوا فكر الجماعة التاريخى بمسارعة كبيرة . وعندما ندرس مجموعة هذه الأمور نجد أننا لو صدقنا كل كلمة فى هذا كله من إخواننا أنفسهم لم يبق لنا ثقة فى شىء ، لا فى فكر الجماعة ولا فى تاريخها ولا فى رجالاتها ولا فى شىء منها . وعند التأمل تجد جميع هذه الأمور مبنية على التسرع فى الحكم ، أو على الجهل الناتج عن قياس أمر على آخر ، أو ربط أمر بأمر لا أصل له ، أو على الغفلة عن كل الملابسات التى رافقت مرحلة ، أو على عدم معرفة الحكم الشرعى فى أمر ما ، أو موقف ما ، وكل هذه الأمور يجب أن تُصحَّح وتُلاحق باضطراد . فلا نسمح لكلمة أن تمر أو تُنشر فى الصحف إلا ونحققها وندققها ونحللها ونتبين جوانب الخطأ والصواب فيها ، ليبقى الصف على غاية من الثقة بماضيه وحاضره .

إننا لا نقول : إن الجماعة معصومة ، ولكننا لا نقبل بهذه الحجة « أن تُحَمَّل الجماعة أخطاء لم ترتكبها » . ونحن لا نقول : إن قيادات الجماعة معصومة ، ولكننا لا نقبل أن تُنقد القيادة باستهتار . إن الأصل فى الجماعة أن تكون على صواب ، والخطأ عارض . فعندما يصبح الأخ يتصور أن الأصل هو الخطأ والصواب عارض ، فعندئذ تكون كارثة .

لم يكن حسن البنا ـ رحمه الله ـ على خطأ عندما حارب فى فلسطين ، بل كان فى منتهى الحكمة ، فلولا أنه حارب لكنا أكبر الخائنين فى التاريخ ، إذ نسكت عن قيام الدولة اليهودية ، ولما نعذر أمام الله . ولولا انه حارب لما كان لنا شرف نعتز به . ومن أين ننمى ملكة الجهاد عندنا بلا معارك نُشارِك بها ؟ !! وهل كان بإمكان البنا ـ رحمه الله ـ أن يُقيم دولة فى مصر قبل أن يُقدم على القتال ؟ !! إن مَن يتصورُ هذا يكاد يكون واهماً إن لم نقل أكثر من ذلك !! .

إن قوات بريطانيا القابعة على أرض القنال - والسيطرة المطلقة لبريطانيا وقتذاك على السودان وليبيا - ما كانت تسمح بمثل ذلك ، والإخوان المجاهدون على ما هم عليه من قلة العدد والعُدَّة وعدم التجربة .

ولم يكن حسن الهضيبي - رحمه الله - على خطأ عندما اتخذ قرار المقاومة السرية ضد بريطانيا ، كما لم يكن على خطأ وهو يدخل صراعاً سلبياً ضد الثورة المصرية ، كما لم يكن على خطأ إذ لم يدخل في معركة مسلحة مع رجال الثورة .

ولم يكن باستطاعتنا أن نفعل أكثر مما فعلناه في كثير من الأقطار . إننا نسير ضمن إمكانياتنا وطاقاتنا . والوضع العالمي والمحلي لا زال أكبر منا . ونواميس الكون جعلها ربنا - جل جلاله - غلابة ! إلا إذا شاء خرقها ، ولكنه امتحن حتى الأنبياء بالتعامل معها . إننا نثق بفهم الجماعة لدينها ، ونثق بتاريخها ، ونثق برجالها . لا يمنعنا ذلك أن نقول للمخطىء : أخطأت ، وللمذنب : أذنبت ، ولا أن نعزل أحداً عن القمة إذا اقتضى ذلك ، ولكن يبقى لكل ذلك موازينه الإسلامية التي تحكم الجميع . إن على الجماعة أن تلاحق دائماً الكلمة المشككة الظالمة .. وأن تعتذر للكلمة العادلة الناقدة ، بتبيان كل ما أحاط بالخطأ من ملابسات .

إن التشكيك يجب أن يُلاحَق فوراً على كل مستوى : إما بإزالة أسباب الشك إن كان الشك في محله ، أو برد الشك إن لم يكن في محله . وهذه قضية يجب أن تُلاحَق باستمرار ليبقى الصف على منتهى الثقة .

* * *

وبعد ..

فهذه الجماعة التي عَرفتَ عنها وعن نظرياتها ما رأيتَ قد آن لك أن تتعرف على مؤسسها ، وأن تتعرف عليها من خلال كلام مؤسسها ، وهذا هو مضمون البابين السادس والسابع من هذه الرسالة .

* * *

الباب السادس

التعريف بالمؤسس

إن نقطة البداية فى الثقة المطلقة بالإسلام ترجع إلى الثقة بشخص رسول الله ﷺ ، ونقطة البداية فى الثقة المطلقة بدعوة الإخوان المسلمين ترجع إلى الثقة بشخص حسن البنا - رحمه الله - . ولقد أخذنا هذه الثقة ورضعناها عمن هم أمثال الجبال فى الثقة .

منهم شيخنا محمد الحامد - رحمه الله - الذى كان يعتبر حسن البنا مُجَدِّد القرون السبعة الماضية وليس مُجدِّداً لقرن واحد . والذى كان يعتبر حسن البنا قد وصل إلى رتبة الاجتهاد ، مع أن الشيخ الحامد - رحمه الله - كان لا يُسَلِّم أن الأمة قد وُجِدَ فيها مجتهد منذ عشرة قرون . وكل ذلك كان عن تجربة شخصية مع حسن البنا - رحمه الله - ، وكان يعتبر حسن البنا هو الوحيد الذى أعطته النفس مقاليد القيادة كاملة . وسنرى كلامه فيما بعد .

* * *

لقد قلنا فى أكثر من مكان فى هذه السلسلة : إن طرح نظريات العمل الإسلامى المعاصر يحتاج إلى شخصية من نوع خاص ، فإذا كانت الفتوى فى قضية جزئية لا يصلح لها أى إنسان ، لكثرة ما يقتضى أن يُلاحِظ الإنسان فى شأن الفتوى : من مثل ملاحظة الزمان والمكان ، ووضع الشخص ، والأحكام الأصلية ، وتأثير الأوضاع الاستثنائية على هذه الأحكام . ثم الفتوى تحتاج إلى ورع المفتى وصلاحه . إذا كان الأمر كذلك فى شأن الفتوى فما بالك فى موضوع نظريات العمل الإسلامى المعاصر ؟ ! التى تحتاج إلى استيعاب للنصوص واستشراف على مجموع الشريعة ، وإدراك لمسيرة التاريخ الإسلامى والتاريخ

العام ، ومعرفة فى أوضاع المسلمين وأمراضهم ، ومعرفة بالوضع العالمى المعاصر ، وإدراك لنقاط البداية فى السير على ضوء نظرة ترى النهايات ، إلى قدرات على إدراك الاحتياجات ، إلى إمكانيات فذّة فى النظام والتنظيم ، وبُعد النظر ، إلى معرفة بما يجوز وما لا يجوز . وماهى حدود السير مُراعَى فى ذلك ألا تكون الحركة على حساب الاستراتيجية ، وألا تكون الاستراتيجية البعيدة على حساب الحركة اليومية ، وأن يكون ذلك كله على ضوء الإسلام ، إلى غير ذلك من أشياء .

إننا لم نعلم ولم نعرف رجلاً تَجَمَّعَ فيه هذا كله وغيره بحيث يستطيع أن يطرح نظريات العمل الإسلامى المعاصر ـ وقد فعل وانطلق ـ كحسن البنا ـ رحمه الله ـ ، وذلك بشهادة الشهود العُدول الأثبات . من مثل شهادة رجل كالجوهرى طنطاوى فى صلاحه وعلمه وزُهده ، حتى كان يُسمى بحكيم الإسلام ، وكالشيخ محمد الحامد وأمثالهما فى دقة النظر والحكم .

* * *

إننا نسأل الله لأنفسنا ولإخواننا ولكل المسلمين أن يُطهرنا من الحسد والعُجب والغرور ، بحيث نستجيب للحق ونخضع له .

* * *

إن الكثيرين يحلمون الآن بتأسيس عمل إسلامى جديد !! وكثيرون يعتبرون رؤساءهم أو شيوخهم أثقل من حسن البنا فى الميزان !!! ، ومن ثَمّ يرغبون أن ينطلقوا بعيداً عن دعوة الأستاذ البنا ، وقد يحلمون أن يرثوا صفها دون الالتزام بها !!! ، ونحن لا نُضَيّق رحمة الله الواسعة .

ولكن سُنّته ـ جل جلاله ـ أن يُرسل للجيل من يقوم بالتجديد وقد فعل ، والمسألة الآن مسألة سير فى الطريق حتى تصل إلى نهاياته ، ونرجو أن تكون هذه النهايات فى الدنيا إعلاء كلمة الله فى العالم ، وأن تكون فى الآخرة جنة الله ورضوانه . وفى هذه السلسلة ـ سلسلة فى البناء ـ ذكرنا الكثير عن حسن البنا ـ رحمه الله ـ وعن نظرياته فى العمل الإسلامى المعاصر ، ونحب هنا أن نقول كلمة قصيرة :

إن ميزة دعوة الأستاذ البنا عن غيرها أنها أوجدت الصيغة التى يمكن أن يلتقى عليها المسلمون جميعاً ، ووضعت نقاط الانطلاق فى الفهم والتربية والتنظيم والتخطيط ، وكانت من المرونة بحيث تستطيع أن تُطوِّر نفسها ، وكانت من الشمول بحيث تملأ نفس الإنسان ، وتتجاوب مع احتياجات الأمة وتطلعات العالم ، فليتق امرؤ أن يقول كلمة تصرف الإنسان إلى باطل . وفى الحديث : « لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذو الفضل » .

* * *

لقد كُتِبَ عن حسن البنا الكثير . وكتب هو مذكراته عن الدعوة والداعية ، وقد كتب عنه ناس كثيرون ، ونحن سننقل هنا بعضاً مما كُتِبَ عنه - رحمه الله - لتتضح بعض المعالِم عن شخصيته ، لأننا فى جيل لم يعرف الكثير منهم : مَن هو حسن البنا ؟ !!! .

كتب الشيخ محمد الحامد رحمه الله :

« إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنامنذ مئات السنين ، فى مجموع الصفات التى تحلّى بها وخفقت أعلامها على رأسه الشريف ، لا أنكر إرشاد المرشدين وعِلم العالِمين ومعرفة العارفين وبلاغة الخطباء والكاتبين وقيادة القائدين وتدبير المدبرين وحنكة السائسين ، لا أنكر هذا كله عليهم من سابقين ولاحقين ، ولكن هذا التجمع لهذه المتفرقات من الكمال قلَّ ما ظفر به أحد كالإمام الشهيد - رحمه الله - ، عرفه الناس وآمنوا بصدقه ، وكنتُ واحداً من هؤلاء العارفين به ، والذى أقوله فيه قولاً جامعاً : هو أنه كان لله بكليته ، بروحه وجسده ، بقلبه وقالبه ، بتصرفاته وتقلبه ، كان لله فكان الله له ، واجتباه وجعله من سادات الشهداء الأبرار .

حدثنى عالِم فى مصر كانت له صلة به قال لى : « إن الإلحاد امتد إلى مصر ، وانتشر فيها وغزا كثيراً من أوساطها ، ولم يستطع الأزهر الشريف ولا الجمعيات الدينية رد سيله الجارف ، حتى جاء حسن البنا فدرأ خطره وألجى من

شره » . قال هذا العالِم هذا القول وكنتُ أرى بعينى توفيق الله لأصحابه ، وقد كانوا من قبل فى ظلمات فأخرجهم منها إلى نور .

* * *

وكتب الشيخ أبو الحسن الندوى - بعد استعراضه لأوضاع مصر ولأوضاع الشرق العربى الإسلامى - عن حسن البنا ما يلى :

« إن كل مَن عرف ذلك عن كثب لا عن كتب وعاش متصلاً به عرف فضل هذه الشخصية التى قفزت إلى الوجود ، وفاجأت مصر ثم العالم العربى والإسلامى كله بدعوتها وتربيتها وجهادها وقوتها الفذة ، التى جمع الله فيها مواهب وطاقات قد تبدو متناقضة فى عين كثير من علماء النفس والأخلاق ومن المؤرخين والناقدين . هى العقل الهائل المنير ، والفهم المشرق الواسع ، والعاطفة القوية الجيّاشة ، والقلب المبارك الفيّاض ، والروح المشبوبة النضرة ، واللّسان الذرب البليغ ، والزهد والقناعة - دون عنت - فى الحياة الفردية ، والحرص وبُعد الهمة - دونما كلل - فى سبيل نشر الدعوة والمبدأ ، والنفس الولوعة الطموح ، والهمة السامقة الوثابة ، والنظر النافذ البعيد ، والإباء والغيرة على الدعوة ، والتواضع فى كل ما يخص النفس . تواضعاً يكاد يُجمع على الشهادة عارفوه ، حتى لكأنه - كما حدثنا كثير منهم - مثل رفيف الضياء : لا تثقل ولا ظل ولا غشاوة .

وقد تعاونت هذه الصفات والمواهب فى تكوين قيادة دينية اجتماعية ، لم يعرف العالم العربى وما وراءه قيادة دينية سياسية أقوى وأعمق تأثيراً وأكثر إنتاجاً منها منذ قرون . وفى تكوين حركة إسلامية يندر أن تجد - فى دنيا العرب خاصة - حركة أوسع نطاقاً وأعظم نشاطاً وأكبر نفوذاً وأعظم تغلغلاً فى أحشاء المجتمع وأكثر استحواذاً على النفوس منها .

قد تجلت عبقرية الداعى - مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها - فى ناحيتين خاصتين لا يشاركه فيهما إلا القليل النادر من الدعاة والمربين والزعماء والمصلحين .

أولاهما : شغفه بدعوته وإيمانه واقتناعه بها وتفانيه فيها وانقطاعه إليها بجميع مواهبه وطاقاته ووسائله ، وذلك هو الشرط الأساسي والسمة الرئيسية للدعوة والقادة الذين يُجرى الله على أيديهم الكثير الكثير .

والناحية الثانية : تأثيره العميق في نفوس أصحابه وتلاميذه ، ونجاحه المدهش في التربية والإنتاج ، فقد كان مُنشيء جيل ومُربّي شعب وصاحب مدرسة علمية فكرية خُلقية ، وقد أثر في ميول من اتصل به - من المتعلمين والعاملين - في أذواقهم وفي مناهج تفكيرهم وأساليب بيانهم ولغتهم وخطاباتهم تأثيراً بقى على مر السنين والأحداث ، ولا يزال شعاراً وسِمة يُعرفون بها على اختلاف المكان والزمان .

أما بعد .. فقد كانت محاولة القضاء على آثار هذه الدعوة التي أعادت إلى الجيل الجديد في العالم العربي الثقة بصلاحية الإسلام وخلود رسالته ، وأنشأت في نفوسه وقلوبه إيماناً جديداً ، وقاومت « مُركّب النقص » في نفوسهم ، والهزيمة الداخلية التي لا هزيمة أشنع منها وأكبر خطراً ، والميوعة وضعف النفوس والانسياق تحت ربقة الشهوات والطغيان ، وخلقت كما يقول - شاعر الإسلام - الدكتور محمد إقبال : « في جسم الحمام الرخو الرقيق قلب الصُقور والأسود ». حتى استطاع هذا الجيل أن يصنع عجائب من الشجاعة والبسالة والاستقامة والثبات .

لقد كانت محاولة القضاء على آثار هذه الحركة وطمس معالمها وتعذيب جنودهاوتشريد رجالها جريمة لا يغتفرها التاريخ الإسلامي ، ومأساة لا ينساها العالم الإسلامي ، وإساءة إلى العالم العربي لا تعدلها إساءة ولا تُكَفّر عنها أي خدمة للبلاد وأي اعتبار من الاعتبارات السياسية ، إنها جريمة لا يُوجد لها نظير إلا في تاريخ التتار الوحوش ، وفي تاريخ الاضطهاد الديني ومحاكم التفتيش في العالم المسيحي القديم . ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

* * *

وقال الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - تحت عنوان « حسن البنا وعبقرية البناء » :

« ... فى بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور وحكمة مدبرة فى كتاب مسطور .. حسن « البنا » إنها مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه .. ولكن مَن يقول إنها مصادفة ، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هى البِناء وإحسان البِناء بل عبقرية البِناء ؟ !!

لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثيراً من الدُعاة .. ولكن الداعية غير البَنَّاء ، وما كل داعية يملك أن يكون بَنَّاءً يُوهَب هذه العبقرية الضخمة فى البِناء .. ويمضى حسن البنا إلى جوار ربه ، يمضى وقد استكمل البِناء أسسه ، يمضى فيكون استشهاده على النحو الذى أريد له ، عملية جديدة من عمليات البِناء .. عملية تعميق للأساس وتقوية للجدران ، وما كان ألف خطبة ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتُلهب الدعوة فى نفوس الإخوان كما ألهبتها قطرات الدم الزكى المهراق .

إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع حتى إذا متنا فى سبيلها دبت فيها الروح وكُتِبَت لها الحياة .

وحينما سَلَّط الطغاة الأقزام الحديد والنار على الإخوان كان الوقت قد فات ، كان البِناء الذى أسسه حسن البنا قد استطال على الهدم وتعمق على الاجتثاث ، كان قد استحال فكرة لا يهدمها الحديد والنار ، فالحديد والنار لم يهدما فكرة فى يوم من الأيام ، واستعلت عبقرية البِناء على الطغاة الأقزام ، فذهب الطغيان وبقى الإخوان .

ومرة بعد مرة نزت فى نفوس بعض الرجال - من الإخوان - نزوات ، وفى كل مرة سقط أصحاب هذه النزوات كما تسقط الورقة الجافة من الشجرة الضخمة ، أو انزوت تلك النزوة لم تستطع أن تُحدث حدثاً فى الصفوف ،

ومرة بعد مرة استمسك أعداء الإخوان بفرع من تلك الشجرة يحسبونه عميقاً في كيانها ، فإذا جذبوه إليهم جلبوا الشجرة أو اقتلعوا الشجرة .. حتى إذا آن أوان الشد خرج ذلك الفرع في أيديهم جافاً يابساً كالحطبة الناشفة ، لا ماء فيه ولا ورق ولا ثمار .

إنها عبقرية البناء تمتد بعد ذهاب البَنَّاء » .

* * *

ومن كلام عبد الحكيم عابدين - أمين سر الإخوان لفترة طويلة - في الأستاذ البنا ما يلي :

« لستُ في مقام الرثاء لشهيد الإسلام العظيم حتى يتحسس القارىء من حديثي العاطفة الدفاقة والإفاضة اللائقة في الجلاء عن مواطن العظمة - وما أكثرها - في الجوانب المختلفة من حياة الإمام الشهيد ، رفع الله مقامه في عليين .

وإنما الذي أخذتُ به نفسي في هذا الحديث أن أصوِّر النهضة العلمية ، وإن شئتَ فقل التحول الفكرى كالذى أحدثه الإمام حسن البنا في منهج التفكير الإسلامي ، بعد أن استقام لي أن الرجل كان بحق مرحلة واضحة المعالم ، بل مدرسة شاخصة الدعائم في سير التطور الذى سلكته الفكرة الإسلامية في أذهان المسلمين .

ومن البداهة بمكان أن الداعية الشهيد قد اتخذ صُحبة القرآن الحكيم واستعراض عصر النبى الكريم الميزان الصادق في تقدير كل ما انتشر من المذاهب ، ووزن كل ما تتابع من العصور .

وعلى عَشرة دعائم - فيما وسعني استنباطه - أقام الداعية المؤمن مدرسته الفاضلة في توجيه الفكر الإسلامي ، ونشأ عليها مئات الآلاف من تلاميذه ، مستهدياً في أمانة بنهج النبى ﷺ :

فالدعامة الأولى : دوام استهداف الوحدة : وهى الحرص على رابطة القلوب واجتماع الكلمة بين المسلمين .

والدعامة الثانية : كل من قال : « لا إله إلاَّ الله ، محمد رسول الله » يلتقى معك فى ظل التوحيد ، وتجمعه وإياك كلمة الإسلام ، وتعصم دمه وماله وعِرضه حُرمة الإخوة فى الله . فوطِّن نفسك على أن تتشرب الوحدة التى هدف اليها القرآن .

والدعامة الثالثة : اتهام النفس وإحسان الظن بالمخالف : ليكن همك منصرفاً أول الأمر إلى اتهام نفسك وتزكية خصمك ، واذكر أدب الإمام الشافعى - رضى الله عنه - إذ يقول ما معناه : « ما جادلتُ أحداً إلا تمنيتُ أن يُظهر الله الحق على لسانه » .

والدعامة الرابعة : أدب الإنكار والاختصام : حدثوا أن الحسن والحسين - فى صباهما - شاهدا شيخاً لا يُحسن الوضوء ، فأخذهما الحياء أن يُنكرا عليه ، فزعما له أن بينهما خلافاً على أيهما أحسنُ وضوءً من الآخر ، وإنما ارتضياه حَكَماً ، فتوضآ أمامه ، فلم يلبث الرجل أن أدرك أن وضوءهما حسن ، وأنه هو الذى لا يُحسن الوضوء فأعاد وضوءه . واذا وجدتَ من نفسك سعة للإنكار بمثل هذا الأسلوب فما أجمله ، وإن عز عليك فكلمة طيبة ، ونصيحة رقيقة جديرة بأن تهدى إلى الحق وترشد إلى المعروف .

والدعامة الخامسة : تذميم الجدال والمكابرة : لم يكن شىء أبغض إلى إمامنا الشهيد - رضوان الله عليه - من الجدال والمكابرة ، نفَّر منهما إخوانه ، ونشر الأحاديث الواردة بذمهما فى لافتات ملأ بها دوائر الإخوان ، وأوسعها شرحاً فى الدروس والمحاضرات ، وكان النموذج العملى لاجتناب الجدال فى كافة شأنه مع من يحب ومن يكره على السواء . « ما ضلَّ قومٌ بعد هُدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » . « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك الجدل وهو مخطئ ، وببيت فى ربضها وفى أعلاها لمن ترك الجدل وهو مُحِق » .

والدعامة السادسة : جواز تعدد الصواب : وتُعد هذه النقطة من أروع ما قرع به البنا أسماع المسلمين من هدى رسول الله ﷺ ، وإدراكها من أبعد العوامل أثراً فى الوقوف بخلاف الرأى عند التدارس والتفاهم ، لا التدابر والتزاحم .

والدعامة السابعة : التعاون فى المُتفق عليه ، وتبادل العُذر فى المختلف فيه : كان الإمام الشهيد - رضوان الله عليه - شديد الاعتزاز بهذه القاعدة الذهبية ، دائم الدعوة إليها ، ومؤداها : ألا جدوى من الوقوف طويلاً عند المسائل التى لم يتيسر اجتماع الرأى فيها على وجه مُعيَّن . فمثلاً : لا خلاف بين المسلمين فى أن الحكم بالقرآن واجب ، فلنجتمع لدعوة الحُكّام إليه .

والدعامة الثامنة : استحضار خطر العدو المشتَرك : ولقد كان الإمام البنا - عليه رضوان الله - يعلم بداهة أن أعون شىء للجماعة على أن تتحد هو شخوص عدو ذى بأس أمامها ، تتحد جميع فرقها فى خشيته والتعرض لشره ، ومن أجل ذلك كان دائم الحرص على تنبيه المسلمين ، فقهاء ومتصوفين إلى أن أمامهم عدواً مشتركاً ، عدو الوطن وعدو الدين .

والدعامة التاسعة : فتح آفاق العمل والإنتاج : فعلى الأخ كل يوم فوق أعماله الخاصة أن يقرأ وِرداً ولو قليلاً من القرآن ، وأن يُردِّد بعض المأثورات من الدعاء ، وان يزور شُعبته ، وأن يجتمع مع إخوانه .. وأن ينهض للخدمة العامة فى كل ميدان ، وأخيراً أن يجلس إلى نفسه لحظات قبل النوم ليُحاسبها على عمل النهار .

والدعامة العاشرة : الرثاء للضال لا الشماتة فيه ولا التشهير به : وأخيراً نسجل أن هذه الظاهرة من أبرز خصائص المدرسة التى كوَّنها الشهيد - عليه رضوان الله - ، لقد كان شعور الإمام البنا حتى مع هذا النوع من المخالفين هو شعور الرحمة والرثاء ، لا شعور الشماتة والتشهير ، كان يردد قول عمر - رضى الله عنه - : « هكذا .. لا تُعينوا الشيطان على أخيكم ، ولكن أعينوه على شيطانه » .

* * *

هذه بالإجمال بعض قواعد المرحلة الحاسمة التى خلفها حسن البنا فى تاريخ التفكير الإسلامى ، فإذا قلتَ فى أى كتاب سجلها ، وفى أى مؤلَّف أودعها ؟ !! فاعلم أنه سجلها فى أخلاق رجاله ، وانه أودعها روح أنصاره : دعوة بالكلام ، وقدوة بالسلوك .

* * *

وقال الأمير المجاهد عبد الكريم الخطابى رحمه الله :

« ويح مصر !! وأخوتى أهل مصر مما يستقبلون جزاء ما اقترفوا ، فقد سفكوا دم ولىٍ من أولياء الله .. !!

ترى أين يكون الأولياء إن لم يكن منهم بل فى غُرَّتهم حسن البنا ، الذى لم يكن فى المسلمين مثله »؟ !!

* * *

ومن كلام سعيد رمضان - وقد عاش مع الأستاذ البنا فترة من الزمن - ما يلى :

« شتَّان فى نواميس الحركات التى غيَّرت التاريخ بين سمتين : السمت العلمى أو الفلسفى أو السياسى الثائر الذى كل عتاد صاحبه « جرأة الكلمة » و « تحدى القديم » ثم « الثبات على الأذى والتشريد » . وبين السمت الثائر الآخر الذى يمتاز صاحبه فوق « جرأة الكلمة » بالقدرة على تركيزها بالأسوة الماثلة ويجعل منطلقه فى « تحدى القديم » من خلال بواكير من إنتاجه هو ، يُزجيها على أعين الناس أصيلة متجددة ، ثم لا يقف فقهه لمعنى « الثبات » عند إطارات البطولة ، التى تجعل القادة الأفذاذ ، الذين صبروا على أشد الأذى ، بل يجاوز ذلك عن طريق الخصيصتين السالفتين : الأسوة الماثلة ، والبواكير المزجاة ، فيبتعث خوالج التجاوب ويوثق العُرى بين أمته الكبيرة وحقيقة المعركة ، ويستبدل بإطارات المجد الفردى إطاراً عاماً واحداً هو إطار الرسالة الماجدة الباقية ، ويحتال لتركيز ذلك بكل سبيل ، حتى تنفعل النفوس المؤمنة مع المعركة فى كل تضاعيفها .

ويغدو هؤلاء - بحق - جديرين باستشراف كفاح متصل الحلقات متسامي الذرى ؛ كلما سقط على بعض دروبه ركب زاحف ، خلفه على الزحف ركب منتظر ، وكلما اشتد البأس وتساقطت فى عجيجه كوكبات فرسان متفانية ، ابتدرت مكان كل منها كوكبة غرّاء حاضرة : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [1] .

* * *

أما حسن البنا فقد خلف وراءه جيلاً من مئات الألوف ، لا تكاد تخلو منهم مدينة أو قرية ، ويكادون يعمرون كل جامعة ومعهد ومدرسة ، وكل مسجد ومصنع ومزرعة .. جيلاً مُوَحَّد النبض مُتميِّز السمت متكافل الكيان ، حتى لم يعد يفوت المراقب البصير تمييز ملامح هذا الجيل فى كل فرد من أفراده فى مصر أو فى غير مصر .

ولم تكن وحدة هذا الجيل وتميز سمته وتكافل كيانه أموراً نظرية ، يدور بها حول نفسه فى عوالمٍ من الخطابة والكتابة والأمانى ، أو من تطيرات تستهلكه فى استغراق نفسى وإصلاح جزئى ، بل كانت قُوَى عميقة الجذور رحبة المدى .. قُوَى جعلت من فتى مصر الوادع ، ومن شباب جامعاتها خاصة - وأكثره ناعم شارد - جند الفداء وطلاّب الاستشهاد فى القناة وفى فلسطين ، فكان تلاميذ حسن البنا - فى المعركتين - من أعز نماذج الإخلاص والقتال والبأس ، بل كانوا فى - أكثر جبهاتها - هم وحدهم المقاتلين فى الله بحق ، الذين احتسبوا له الروح والدم .

فإن أنت علمتَ أن منطقتنا العربية المتوسطة لم تشهد فى هذه الحقبة من تاريخها معركة حربية حقيقية سوى هاتين المعركتين ، وأنه لولا جيل حسن البنا لما كانت روائع البطولة الربانية فى أكثر الملحمتين ، إذن لأدركتَ مغزى الانقلاب الهائل الذى أحدثه هذا الرجل الفذ فى واقع العرب المعاصر ، ثم لتبدَّى لك أن

---

(1) الأحزاب : ٢٣

مصرعه ـ على ما فيه من أقبح الخساسة والغدر ـ إنما كان الخاتمة البيضاء لحياة سامقة أذن الله أن تُمزج فى تجربتها حقيقتان كبيرتان متجاويتان متساندتان : إحداهما : تدرج على طريق مهيب صاعد ، يعج بأطياف الشهداء من تلاميذ حسن البنا الذين وفَّوا بالعهد ولبُّوا داعى الله ، فجزاهم حُسنى الشهادة على ربى فلسطين وضفاف القناة ، وثانيتهما : تنحدر من هذا الطريق المضىء ، ويندفع دفقها الجارف على دروب المستقبل الممتد لمعركة الحق والباطل .

فى الحقيقة الأولى مصداق الفقه عن الله فى كرامة الفداء وعُقبى الجزاء ، وفى الحقيقة الثانية مجتلى العبرة الباقية من خلال ذلك ، ومجتلى سلطانها النافذ على الذين لم يقضوا نحبهم ولا يزالون ينتظرون ... هناك تجربة الصدق مكتوبة بالعزم المتقدح على خط النار ، وبالبذل العملى على عين الله ، بالدم العزيز المهراق حقاً مشهوداً لا أخيلة يسمر بها الأدعياء ، وهنا الثمرة الحتم لكل ذلك : استواء طريق الغد على هاتف دماء الأمس ، واستقرار الأساس ـ مهما تقلبت غواشى الضعف وغلبت فتن الحيرة أو العاقبة إلى حين ـ على فلسفة الكفاح ولغة البذل والدم ، وعلى رفض كل نهج يخالف عن نهج الأمس .. قد تقصر الحيلة حيناً ، وتقضى الحكمة بضروب من الكر حيناً آخر ، أو قد يصبح الجهر بالحق والإصرار على معالمه هو قصارى الطاقة وحق الوقت ، حتى يأذن الله بقارعة تفسد سحر السحرة وتشق للكفاح طريقاً بعرض كل ذلك ، ولكنها دائماً عوارض طارئة لا تمسخ فقه الجيل الذى يستمد حقيقته الثابتة المتحركة من حقيقة مباركة عاشها بالأمس : حقيقة لا تزال مشاهد أشلائها ودمائها وجرحاها وقتلاها ملء القلب والنفس .

* * *

لذلك كان من ذروة التوفيق أن يكون آخر العهد بحسن البنا تلك اللَّوحة البارقة القانية من إرعاد الغدر ودَوىِّ الرصاص وسفك الدماء البرىء على أعين أهل مصر .. ألستَ ترى فى هذه اللَّوحة شهادة الله له بأنه أهل ما قدم وأولى بمقعد الكرامة فى موكب أبنائه الشهداء ، الذين ربَّاهم على حب الله وطلب

الشهادة ، ولقنهم كيف يُحسنون « فن الموت » وجعل من هتافهم : « الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » ؟ !! ثم ألستَ ترى فيها شاهداً يؤجج طويات تلامذته - ما بقى منهم تلميذ - ويحفز فيها بقدر ما شهدته يعانى من صنوف الأذى والكيد ؟ ، وبما سفك على عتبتها زكى الدم .. شاهداً كأنه يهتف فى صدور تلامذته أبداً : « هذا هو طريقنا ، لا طريق سواه . لو رضيتُ أن أصانع الطاغوت فيما ندعو إليه من الحق ، وربما فى بعض منه ، لسارع فى مصانعتنا بالمغنم البخس ، ولما فاتنى أو فاتكم ما أهلك الناكثين دائماً من مفاتن العافية ومراتع الذلّ . لقد دعوتكم ويشهد الله أنى ما كذبتكم ، واستنفرتكم فيشهد الله أنى حرصت ألا يسبقنى إلى مظان الأذى أحدكم . وها أنذا أودعكم وملء أعينكم دمى ، وهو منى - بعد ما جهدتُ فى تحرير النية لله - غاية ما وُهِبَ لى من الطاقة والجهد . فإن أنتم حملتم الراية واستمسكتم على معالِم هذا الطريق ، طريق البلاء والبذل والصبر ، مهما بعدت الشقة وزلزلتكم قوارع البأس ، فذلك عهدكم الذى عاهدتم الله من قبل ، وهو هتافكم الذى صرختم به وحملتم دعواه على رؤوس الناس من أول يوم ، أما إن نكثتم !! فلن يكون نكثكم إلا على أنفسكم وحدها ، والله لا يحب الخائنين . يعلم الله أنى لم آل جهداً فى أن أمحضكم النصح ، وأبثكم خالصة القلب ، ولستُ أملك بعد ذلك إلا أن ألوذَ ضارعاً بكنف الله ، فهو وحده الخليفة على كل نفس . وحسبى منه - إن هو تكرَّم وشاء - أن يتقبل منى صالح القصد ، وأن يجعل ما أكرمنى به من الشهادة كفَّارة لما بدر من الذنب ، ومصداقاً لما يعلم كم تَشوّقتُ له دائماً من كمال الوفاء والحِفاظ على العهد .. أما موعدنا غداً أو بعد غد ، فقد قضى الله أن يكون المصير حيث تنتهى بنا عزائم الصدق ، ودرجة الثبات على الأمر ، ومعارج الاستقامة على نهج نبينا الذى جعل مشارف الجنة تحت ظلال أسلحة الحق ، والذى عاش عمره الملىء المبارك يسبق أصحابه إلى كل موطن فزع ورعب ، ويتقدمهم على خط النار فى كل معركة مجلجلاً صوته الربّانى بآذان الجهاد وجلال الاستشهاد . وأبدية سُنّته - جل عُلاه - فى تمحيص دعوة الإيمان

دائماً بمحنة المال والنفس ، محنة البذل والدم .. وصدق الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

* * *

« إن أنس لا أنس موقفه - رضوان الله عليه - فى أمسية مشهودة بمدينة طنطا فى دلتا مصر ، وقد احتشد أمامه قرابة أربعين ألفاً من فئات الناس ، بينهم جمهرة من أتباع عدة طُرق صوفية ، درج بعضهم على النفرة من طابع الحركة المتحمسة ، كأنهم يرونه يجافى وداعة معنى العبادة : على ما لقنوه وتحدد مفهومهم به . فإذا به - بعد استرسال روحى خالج غائر النفوس فى صفاء ويُسر - يقول لمستمعيه فجأة فى اشراقه كأنها السحر : « ألا تعجبون معى من أخوتنا العُبَّاد الذين لا ينقطعون من تلاوة دعاء الشيخ أبى الحسن الشاذلى فى حزب البرّ ، ويُردّدون من ذلك دائماً « ... اللهم ارزقنا الموتة المُطَهِّرة ... » ؟ . ماذا تراهم يستحضرون فى معنى الموتة المُطَهِّرة ؟ !! ألا إن أطهر موتة يحبها الله هى هذه .... » . ورفع يده فمر بها على رقبته إشارة إلى قطع الرقاب فى سبيل الله - عز وجل - .. فكأنما والله مَسَّت الناس كلهم كهرباء ، واستعلن أمامهم مشهد الفداء ، والذبح رأى العين .. فسالت دموع !! وثارت عواطف !! وتعالت هتافات !! .

إن رجلاً بلغ فى استثارة مشاعر الفِداء فى الأعماق ، وفى الحِفاظ عليها دائماً روحية صافية مبرأة من كل حمية تنازع حقيقة الفرار إلى الله ، واستطاع بدعوته وتربيته أن يُنشئ جيلاً مؤمناً جديداً ، سرعان ما استبق إلى جبهات الكفاح ، وتنافس فى طلب الموت ... إن رجلاً هذا شأنه ، لجدير أن يكون

---

(١) التوبة : ١١١

وداعه وجهاً أخيراً من وجوه عبقريته ، التى تحدّت الطواغيت ، وزلزلت مجتمع مصر .. وداعاً يجلله دم الشهادة وآية البغى وأسوة الثبات الفذّ .. الثبات المطمئن فى وجه كل ضروب الغدر والأذى والكيد !! .

* * *

كيف استطاع « حسن البنا » أن يحقق كل هذا مع أنه استشهد ولما يجاوز الثانية والأربعين من عمره ؟ !! ثم ماذا كانت ملامحه الأصيلة التى يمكن أن نعدها خصائص اختص بها أسلوبه فى الدعوة والتربية والتكوين ؟ !! .

وأبادر فأعترف بأن الإجابة على هذين السؤالين ـ وثمة غيرهما من أسئلة كبيرة تترادف على البال تضيق عنها صفحات مثل هذا المقال ـ على أنى قد أستطرد هنا فأسجل تقصيراً شائناً فى عنق الجيل الكبير الذى رباه « حسن البنا » ـ نضر الله ذكراه ـ ، ذلك أن المكتبة الإسلامية المعاصرة لا تزال خلواً من أى كتاب علمى موثق يصلح مرجعاً أميناً فى استقصاء حياة هذا الرجل العملاق ، وفى إحصاء إنتاجاته الباهرة فى الدعوة والتربية والتكوين ، وفى استقراء نهجه المدرسى والحركى ، الذى استطاع به إحداث تيار زاخر متحرك ، لم يلبث أن لفت نفوس الملايين وأسماعهم إلى حقيقة تاريخية كبيرة شرعت تستجمع ملامحها على أرض مصر ، تلك أن الإسلام قد أصبحت له معركة ذات شأن منفعل بالغ المدى ، وأن رصيد هذه المعركة أصناف جُدد لم يعد يسعهم ولا يكافىء وعيهم وطاقاتهم هيلمة التقاليد الغائمة واجترار الأمس المولى داخل أسوار « معهد شريف » يكاد شرفه يشبه هيبة سليمان قبل أن تكشف دابة الأرض عن موته » .

* * *

وقال أيضاً فى مكان آخر : « .. كان حسن البنا حُجة الله فى النفس ، على أن الإسلام يصنع الرجل ويحقق المُثل العُليا ويصوغ النور المصفى فى لحم ودم ، كان عملاقاً فارعاً من حيث نظرتَ إليه ، كان عقلاً هائلاً وروحاً موصولاً بالسر الأعلى ، لا يفتر عن ذكر الله ... كان قمة شامخة فيها العُلو وفيها الثبات ،

هذا الرجل العجيب الذى بعث الأمـة من أعماقهـا ، وهزها هزة عنيفـة أسالت الحياة فى وجدانها ، ولم يتركها حتى خلف منهـا جيلاً كريماً حياً .. فتلوك يا أستاذ ليُريحوك !! وأراد الله أن تُقتل فتكون مع النبيين والشهداء ، وبقينا نحن يتامى !! حيارى !! .

لا زلنا نذكر كلماتك : « أيها الإخوان .. إنى لا أخشى عليكم الدنيا مجتمعة ، فأنتم بإذن الله أقوى منها ، ولكنى أخشى عليكم أمرين اثنين : أخشى أن تنسوا الله فيكلكم إلى أنفسكم ، أو أن تنسوا إخوتكم فيصير بأسكم بينكم شديداً » !!

* * *

سيدى الأستاذ .. نذكر يوم جاءك خبر استشهاد الكرام فى أول معركة فى فلسطين ! ونذكر أنك قلتَ ساعتها : « اشتقنا إلى الجنة .. لا إلى خيراتها وفواكهها .. ولكن إلى أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ والصُحب الكِرام ، وهؤلاء الشهداء الأعزاء » !!

استجاب الله لك .. هل رأيتَهم ؟ ! كيف وجدتهم ؟ ! . هنيئاً لك ما أنعم الله عليك ، عزة فى الدنيا وكرامة فى الآخرة : ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ... ﴾ [1] .

* * *

ومن كلام الداعية الإسلامى الأستاذ يوسف العظم فى البنا هذه الفقرة :

« ... لم يحاول حسن البنا أن يكون مجتهداً يحاور هؤلاء ويرد على أولئك ، ولم يحاول أن يكون مؤلفاً له من الكتب والمجلدات ما تغص به الرفوف وتزدحم به المكاتب ، ولم يقف فى وجه الاستعمار بالطريقة التى سلكها كثير من الأحرار ،

---

(1) آل عمران : ١٤٨

أعزل يهاجم هؤلاء، ويُنَدِّد بأولئك ، لتكون النتيجة أن يُقتل « البنا » ، فيخبو لهيب الحق بين جنبيه ، وينطفىء نور الهداية المنبعث من قلبه المؤمن ، فتحضل الأجيال من بعده، وتُمزّق الجموع ، إلى أن يأتى رجل آخر فيدور فى نفس الحلقة المفرغة التى دار فيها الأحرار المؤمنون من قبل ومن بعد . ظلم فثورة فبطش فجموع زاخرة من الجماهير الضالة التى لا تجد الراعى الصالح والبناء العظيم .

ولم يفهم حسن البنا أن من معانى الزهد اعتزال الناس والبعد عن المجتمع ، وإنما فهم وآمن أن من أولى دلالات الزهد المعيشة البسيطة ، والحياة برفق مع بُعد عن الترف وتحاش للتُخمة ، هذا ما كان يسير عليه فى بيته أو فى بيوت الآخرين .

أقول : لم يسلك حسن البنا طريقاً من هذا كله ، وإنما سلك طريقاً آخر كان يرى نهايته بعين المؤمن وبصيرته ، سلك طريق البناء والإعداد والتكوين . ويوم يكون الجيل قد أعد ، والبناء قد أوشك على النهاية ، والصَرح فى طريقه نحو المجد ، فليُقتل البَنَّـاء . فسيظل بناؤه قائماً بعزة ومنعة يشهد الأجيال ويخاطب التاريخ على أن الدم الزكى الذى أريق والروح الطاهرة التى أزهقت ليسا إلا الحَجَرين الأساسيين للبناء القوى المتين » . أ هـ

* * *

حول استشهاد الإمام رحمه الله

وإن فى استشهاد الأستاذ البنا لعبراً كثيرة .

وهذه رواية فى شأن استشهاده رحمه الله :

« أعلن النقراشى رئيس وزراء مصر فى مساء يوم الأربعاء فى (٨ كانون أول « ديسمبر » سنة ١٩٤٨) قراره بحل جماعة الإخوان المسلمين ، ومصادرة أموالها ، واعتقال معظم أعضائها . وفى اليوم التالى بدأت حملة الاعتقالات والمصادرات المجرمة ، ولما هَمَّ الإمام حسن البنا - رضوان الله عليه - أن يركب مع إخوانه اعترضه رجال البوليس قائلين : « إنهم لديهم أمر بعدم القبض على الشيخ البنا » ولكن رغم هذا ركب الإمام الشهيد مع المقبوض عليهم بالسيارة . ولكن السلطات عادت فأطلقت سراح الإمام حسن البنا . وصرح آنذاك بقوله : « أنتم تقتلوني بعدم القبض علىَّ » .

ومن ثَمَّ رافع أمام مجلس الدولة ضد قرار الحل مرافعة استمرت أربع ساعات . قال خلالها : « إن قرار حل الإخوان صدر عن اجتماع عُقِدَ فى ثكنات الاستعمار فى فايد وحضره ممثل القصر الملكى ، وممثلون عن دول غربية استعمارية » .

وأخذ - رحمه الله - يتردد على جمعية الشبان المسلمين لكى ينشر الدعوة ... وحدَّثهم مرة قائلاً : « لقد جاءنى سيدنا عمر فى الرؤيا ينبئنى بأعلى صوته « ستُقتل يا حسن » !! . ثم قمتُ وتهجدتُ إلى الفجر » .

وقبل الاغتيال بعدة أيام صادرت الحكومة عربة حسن البنا الخاصة واعتقلت سائقها ، وسحبت سلاحه المُرَخص به ، وقبضت على شقيقيه اللّذين كانا يرافقانه فى تحركاته ، وقد كتب قبل اغتياله - رحمه الله - إلى المسؤولين

يطلب إرجاع سلاحه ، ويطالِب بحارس مُسَلح يدفع هو راتبه ، ويُحَمّلهم إن هم لم يفعلوا ذلك مسؤولية أى عدوان عليه .

* * *

وخلال هذه الفترة كان المجرم الأميرالاى محمود عبد المجيد - المدير العام للمباحث الجنائية بوزارة الداخلية المصرية - يدبر أمر اغتيال الإمام الشهيد !! ، واستخدم فى ذلك عصابة من الأمن العام المصرى ، ووضع تحت تصرفهم سيارته الرسمية الخاصة رقم (٩٩٧٩) وتفصيل ذلك فى مذكرة النيابة العمومية المصرية سنة ١٩٥٢

* * *

وقع حادث الاغتيال فى الساعة الثامنة من مساء السبت (١٢ شباط « فبراير » ١٩٤٩) ، ولفظ الشهيد العزيز آخر أنفاسه فى الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف اللّيل ، ولكن أهله لم يعلموا بالحادث إلا بعد الثانية صباحاً !! . كانت خطة الحكومة المدبرة للاغتيال تقضى بأن يتم قتل حسن البنا ومرافقه عبد الكريم منصور داخل سيارة التاكسى المُعَدة للجريمة ، دون أن يُمَكنا من الخروج منها ... ولكن حسن البنا استطاع اقتحام باب السيارة وملاحقة القاتل - عدواً - فى الشارع العام .

* * *

كانت أشد إصابات الشهيد إصابة تحت الإبط ، ولم تكن جميعها إصابات قاتلة . يدل على ذلك أنه رجع بعد ملاحقة القاتل متماسك القُوى يواسى ويشجع مرافقه المصاب ، واستطاع التقاط رقم السيارة وأبلغه كل مَن شهدوا الحادث ، وكان هو الذى يخلع ملابسه أمام الطبيب فى غرفة العمليات فى مستشفى القصر العينى . وقد شهد بذلك السيد محمد الليثى الذى كان فى غرفة العمليات حين وصول الشهيد ، كما شهد بأن الطبيب أجاب البكباشى محمد وصفى - أحد زبانية فاروق - حين سأله عن حالة المصاب : « إن إصابته ليست خطرة » .

كل ذلك يؤدى إلى استنتاج واحد فاجع ، هو أن حسن البنا لم يقتله رصاص المقتالين ، وإنما قتله أحد أمرين : إما تركه ينزف دماً للإجهاز عليه !! ، وإما أن محمد وصفى ارتكب جريمة قتل أُخرى داخل غرفة العمليات !!! . وقد أثبتت أقوال الشهود فى التحقيقات أن هذا الأخير فرض نفسه بوصفه ممثلاً لوكيل الحاكمدار ـ أحمد طلعت ـ . وقد أخرج كل مَن كان فى الغرفة ولم يبق سواه ، إلى جانب الطبيب المغلوب على أمره .. ويُرَجِّحُ هذا الاحتمال الأخير ما ورد على لسان الأمين الخاص للقصر الملكى ، من أن الملك أرسل محمد وصفى للإجهاز على حسن البنا إن كان لا يزال حياً !!!! .

أرادت الحكومة أن تظل الجثة فى المستشفى ، حتى تخرج إلى الدفن مباشرة ، ولكن ثورة والد الشهيد جعلتها « تتنازل » فتسمح بحمل الجثة إلى البيت ، شريطة أن يتم الدفن فى التاسعة صباحاً وألا يقام عزاء .. !!!

واعتقلت السلطات كل رجل حاول الاقتراب من بيت الشهيد قبل الدفن ، فخرجت جثته يحملها النساء !!!! إذ لم يكن ثمة رجل غير والده الذى رفض أن يحملها قائلاً لرجال الجيش والبوليس : « أنتم قتلتموه ، فاحملوا جثته على أعين الناس » !!!

* * *

أقول هذه الرواية لم تذكر قضيتين مهمتين :

الأولى : أن النقراشى هو الذى فرض الهدنة على العرب سنة ١٩٤٨ فكان ذلك هو السبب المباشر لاغتيال الإمام الشهيد رحمه الله .

الثانية : هى أن مكرم عبيد باشا الزعيم القبطى الذى انشق عن حزب الوفد بعد إصداره « الكتاب الأسود » الذى يتهم فيه الحزب بالفساد ، تحدَّى يوم مقتل البنا الحكومة ، واخترق صفوف قوات البوليس ، وانضم إلى عائلة البنا التى لم يكن مسموحاً لغيرها أن تسير فى الجنازة .

إن فعلة مكرم عبيد باشا الزعيم القبطى لها دلالتها الكبيرة ، إنها رمز على أن العقل القبطى المصرى كان يرى فى حسن البنا منقذاً ، وعلى أن العقل السياسى المصرى كان يرى فى حسن البنا أملاً .

ولعل هذا الرمز يكون بمثابة تفتيح لأعين المصريين جميعاً على أن دعوة الأستاذ البنا هى أمل المسلمين والأقباط فى مصر ، وهى وحدها المستقبل لمصر والعرب والمسلمين .

ولعلها غلطة من ريتشارد ب . ميتشل الذى كتب عن الإخوان المسلمين ، فحاول بكل وسيلة أن يُصَغِّر الكبير ويُكَبِّر الصغير ، ويُظهر السلبيات ويُقلِّل من قيمة الإيجابيات ، ويُهمل الكثير من الحيثيات . كإهماله مثلاً دور أمريكا فى محنة الإخوان المسلمين ، مع أن زميله مايلز كوبلاند فى كتابه « لعبة الأمم » لم يبخل بشىء من ذلك ولو كان قليلاً .

إن ريتشارد ب . ميتشل هذا يقول : « شعورنا الذى أحسسنا به منذ فترة والذى يشاركنا فيه الآخرون هو : أن القومية القائمة على أساس الإصلاح الدنيوى أساساً والرائجة الآن فى العالم العربى سوف تواصل مسيرتها حتى تنتهى تماماً إلى ما نادت به جماعة الإخوان المسلمين فى بدايتها » .

أليس هذا اعترافاً صريحاً بأن الإخوان المسلمين هم المستقبل ؟ !! . ان كثيرين داخل هذا العالم الإسلامى وخارجه لم يدركوا هذا بعد ، وسيندمون لأنهم تأخروا عن هذا الفهم .

وبمناسبة ذكر كتاب ريتشارد ب . ميتشل عن الإخوان المسلمين نحب أن نقول : لقد احتفظ الكتاب فى كثير من الأحيان بنوع من الموضوعية ولكن بالطريقة المعهودة لدى بعض الجهات ، ثم قدَّم للكتاب من أراد أن يكمل عمل الكتاب ، ولكن على طريقة أخرى .

* * *

إننا نعلم أنهم يريدون أن يقطعوا الطريق على الإخوان المسلمين ، ونعلم أنهم يملكون من أجل ذلك القوة والمال والإعلام والكذب الكثير ، ولكنا نعلم

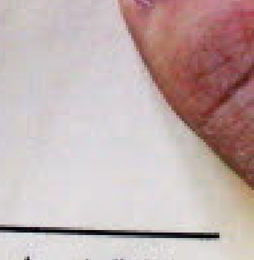
ونؤمن : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [1] .

إنهم لا يفهموننا ، وإذا فهمونا فإنهم لا ينصفوننا ، ومع ذلك فإننا نستفيد من كل كلمة نقد عادلة توجه لنا - بإذن الله - ، ونحن جادون فى تطوير أنفسنا ونظرياتنا وتنظيماتنا ودراساتنا وخبرتنا حتى نكون أمل أمتنا ، فنقدمُ لكل مواطن النظام المريح ، سواء أكان مسلماً أو غير مسلم ، وكل ذلك بالإسلام - رحمة الله للعالمين - ، ومن خلال تنمية الشورى فى جماعاتنا وأمتنا .

إنه استطراد نختم به العريف بحسن البنا لنقول للناس : إن حسن البنا لم يمت فهو شهيد ، لم يمت عن الله - بإذن الله - ، وأن دعوته بإذن الله لم تمت ، ولن تموت حتى ترث هذه الأرض كلها .

ولم نشأ أن نتحدث عن تاريخ البنا ولا عن تاريخ الجماعة فى هذه الرسالة ، فالكتب فى ذلك كثيرة والكاتبون كثر . ومجلة الدعوة فى صدورها الجديد تضع النقاط على الحروف فى أى قضية .

* * *



(1) الصف : 8

الباب السابع

مختارات من كلام المؤسس

- تعريف بهذا الباب .
- كلمات .
- الملامح والخصائص والسمات .
- الأهداف .
- المراحل والوسائل .
- العقبات وعوامل النجاح .
- موقف الناس من دعوتنا وموقفنا من غيرنا .

تعريف بهذا الباب

أردنا بهذه المختارات أن نعرض نموذجاً لدعوة الأستاذ البنا من خلال كلامه ، ونتمنى من القارىء أن يُكثر التأمل فى هذه الكلمات ، ليرى هل يمكن أن تصل كلمات فى التأثير وفى إحياء موات الأمة كهذه الكلمات ؟ !! وليحكم بحسه القلبى والعقلى ، ما إذا كان قد رأى أو سمع فى هذا العصر مثل هذا النوع من الكلام ، وفى مثل وزنه ؟ !!

وقد اخترنا مجموعة من كلمات الأستاذ البنا وهو يخاطِب إخوانه . ومجموعة من الفقرات يتحدث بها عن خصائص دعوته ، وسماتها ، وملامحها . وبعض كلامه فى الأهداف ، وأجوبته على بعض التساؤلات والاعتراضات . وبعض كلامه فى المراحل والوسائل . وبعض كلامه فى العقبات وعوامل النجاح . وبعض كلامه فى موقف الناس منا ، وموقفنا منهم .

وختمنا اختيارنا بكلمة له تحت عنوان : « فناء » . وآثرنا ألا نُدخل كلمة واحدة فى ثنايا كلامه ، سوى بعض كلمات وضعناها بين قوسين لربط بعض كلامه ببعض وسوى العناوين الموضوعة بين قوسين كذلك .

* * *

الفصل الأول

كلمـــات

« من الإمام الشهيد إلى جنود الدعوة »

أيها الإخوان المسلمون .. أيها الناس أجمعون :

فى هذا الصخب الداوى من صدى الحوادث الكثيرة المريرة التى تلدها الليالى الحبالى فى هذا الزمان . وفى هذا التيار المتدفق الفيّاض من الدعوات التى تهتف بها أرجاء الكون ، وتسرى بها أمواج الأثير فى أنحاء المعمورة ، مجهزة بكل ما يغرى ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر . نتقدم بدعوتنا نحن الإخوان المسلمين ... هادئة ، ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة . متواضعة ، ولكنها أعز من الشم الرواسى . محدودة ، ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الأرضية جميعاً . خالية من المظاهر الزائفة والبهرج الكاذب ، ولكنها محفوفة بجلال الحق وروعة الوحى ورعاية الله ، مجردة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية ، ولكنها تورث المؤمنين بها والصادقين فى العمل لها « السيادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة » .

* * *

أيها الإخوان المسلمون :

إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ ، تحتاج من الأمة التى تحاول هذا ، أو من الفئة التى تدعو إليه ـ على الأقل ـ إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل فى عدة أمور : إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف ، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر ، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل ،

ومعرفة بالمبدأ وإيمان به ، وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره .

قد يقول قائل : ما لهؤلاء الجماعة يكتبون فى هذه المعانى التى لا يمكن أن تتحقق ؟ !! وما بالهم يسبحون فى جو من الخيال والأحلام ؟ !! . على رِسلكم أيها الإخوان فى الإسلام والملة ، فإن ما ترونه اليوم غامضاً بعيداً ، كان عند أسلافكم بدهياً قريباً . ولن يثمر جهادكم حتى يكون كذلك عندكم ، وصدقونى إن المسلمين الأولين فهموا من القرآن الكريم لأول ما قرأوه ، ونزل فيهم ما نُدلى به اليوم إليكم ونَقُصُّهُ عليكم .

* * *

أيها الإخوان المسلمون :

هذه منزلتكم فلا تصغروا فى أنفسكم فتقيسوا أنفسكم بغيركم ، أو تسلكوا فى دعوتكم سبيلاً غير سبيل المؤمنين ، أو تُوازِنوا بين دعوتكم - التى تتخذ نورها من نور الله ومنهاجها من سُنَّة رسوله - بغيرها من الدعوات التى تخلقها الضرورات ، وتذهب بها الحوادث والأيام ، لقد دعوتم وجاهدتم ، ولقد رأيتم ثمار هذا المجهود الضئيل أصواتاً تهتف بزعامة رسول الله ﷺ وهيمنة نظام القرآن ، ووجوب النهوض للعمل ، وتخلص الغاية لله ، ودماء تسيل من شباب طاهر كريم فى سبيل الله ، ورغبة صادقة للشهادة فى سبيل الله . وهذا نجاح فوق ما كنتم تنتظرون ، فواصلوا جهودكم واعملوا : ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [1] .

* * *

فمن تبعنا الآن فقد فاز بالسبق ، ومن تقاعد عنا من المخلصين اليوم فسيلحق بنا غداً وللسابق عليه الفضل . ومن رغب عن دعوتنا زهادة ، أو سخرية بها ، أو يأساً من انتصارها ، فستثبت له الأيام عظيم خطئه ، وسيقذف الله بحقنا

---

(1) محمد : ٣٥

على باطله فيدمغه فإذا هو زاهق . فإلينا إلينا أيها المؤمنون العاملون ، والمجاهدون المخلصون فهنا الطريق السوىّ والصراط المستقيم ، ولا توزعوا القوى والجهود . ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1] .

* * *

أيها الإخوان المسلمون .. اسمعوا :

أردتُ بهذه الكلمات أن أضع فكرتكم أمام أنظاركم ، فلعل ساعات عصيبة تنتظرنا يُحال فيها بينى وبينكم إلى حين ، فلا أستطيع أن أتحدث معكم ، أو أكتب إليكم ، فأوصيكم أن تتدبروا هذه الكلمات ، وأن تحفظوها إذا استطعتم ، وأن تجتمعوا عليها ، وإن تحت كل كلمة لمعانى جمة .

* * *

أيها الإخوان :

أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزباً سياسياً ولا هيئة موضعية الأغراض محدودة المقاصد . ولكنكم روح جديد يسرى فى قلب هذه الأمة فيُحييه بالقرآن ، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله ، وصوت داو يعلو مردداً دعوة الرسول ﷺ ، ومن الحق الذى لا لغو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس . إذا قيل لكم : إلامَ تدعون ؟ . فقولوا : ندعو إلى الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ والحكومة جزء منه ، والحرية فريضة من فرائضه ، فإن قيل لكم : هذه سياسة ! ، فقولوا : هذا هو الإسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام . وإن قيل لكم : أنتم دعاة ثورة ! فقولوا : نحن دعاة حق وسلام ، نعتز به ونعتقده ، فإن ثرتم علينا ، ووقفتم فى طريق دعوتنا ، فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا ، وكنتم الثائرين الظالمِين . وإن قيل لكم : إنكم تستعينون

---

(1) الأنعام : ١٥٣

الأشخاص والهيئات ، فقولوا : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ [1] . فإن لجُّوا فى عدوانهم فقولوا : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [2] .

* * *

أيها الإخوان :

آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه والاستناد إليه ، فلا تخافوا غيره ولا ترهبوا سواه ، وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه ، وتخلَّقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات . وكونوا أقوياء بأخلاقكم ، أعزاء بما وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الأتقياء الصالحين . وأقبلوا على القرآن تتدارسونه ، وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها ، وكونوا عمليين لا جدليين ، فإذا هدى الله قوماً ألهمهم العمل ، وما ضل قوم بعد هُدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل . وتحابوا فيما بينكم ، واحرصوا كل الحرص على رابطتكم ، فهى سر قوتكم وعماد نجاحكم ، واسمعوا وأطيعوا لقيادتكم فى العُسر واليُسر والمنشط والمكره ، واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين . رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فيما بينكم ، وترقبوا بعد ذلك نصر الله وتأييده . والفرصة آتية لا ريب فيها ﴿ ... وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [3] .

* * *

أيها الإخوان وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم :

اسمعوها منى كلمة عالية داوية : إن طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده . ولستُ مخالفاً هذه الحدود التى اقتنعتُ كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول . أجل ، قد تكون طريقنا طويلة ولكن ليس هناك غيرها ، إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب ، فمن أراد منكم أن

---

(1) غافر : ٨٤ (2) القصص : ٥٥ (3) الروم : ٤ ـ ٥

يستعجل ثمرة قبل نضجها ، أو يقتطف زهرة قبل أوانها ، فلستُ معه فى ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات . ومَن صبر معى حتى تنمو البذرة ، وتنبت الشجرة ، وتصلح الثمرة ، ويحين القطاف ، فأجره فى ذلك على الله ، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين : إما النصر والسيادة ، وإما الشهادة والسعادة .

* * *

أيها الإخوان المسلمون :

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول ، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف ، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع ، واكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية البرّاقة ، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمُعلّقة ، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلاّبة ، ولكن غالبوها ، واستخدموها ، وحوّلوا تيارها ، واستعينوا ببعضها على بعض ، وترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد .

* * *

أيها الإخوان المسلمون :

إنكم تبتغون وجه الله وتحصيل مثوبته ورضوانه ، وذلك مكفول لكم ما دمتم مخلصين . ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال ، ولكنه كلفكم صدق النية وحسن الاستعداد ، ونحن بعد ذلك إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدِين ، وإما مصيبون فلنا مع ذلك ضعف الفائزين المصيبين . على أن التجارب فى الماضى والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا فى طريقكم ، ولا إنتاج إلا مع خطتكم ، ولا صواب إلا فيما تعملون ، فلا تغامروا بجهودكم . ولا تقامروا بشعار نجاحكم واعملوا ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [1] . والفوز للعاملين : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [2] .

* * *

---

(1) محمد : ٣٥

(2) البقرة : ١٤٣

أيها الإخوان المسلمون :

لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين ، وحقائق اليوم أحلام الأمس ، وأحلام اليوم حقائق الغد ، ولا زال فى الوقت متسع ، ولا زالت عناصر السلامة قوية عظيمة فى نفوس شعوبكم المؤمنة رغم طغيان مظاهر الفساد . والضعيف لا يظل ضعيفاً طول حياته ، والقوى لا تدوم قوته أبد الآبدين . ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ .. ﴾ (١) .

* * *

إن الزمان سيتمخض عن كثير من الحوادث الجسام ، وان الفرص للأعمال العظيمة ستسنح وتكون ، وإن العالم ينتظر دعوتكم دعوة الهداية والفوز والسلام ، لتُخَلِّصه مما هو فيه من آلام ، وإن الدور عليكم فى قيادة الأمم وسيادة الشعوب ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ ﴾ (٢) . فاستعدوا واعملوا اليوم فقد تعجزون عن العمل غداً .

* * *

لقد خاطبتُ المتحمسين منكم أن يتريثوا وينتظروا دورة الزمان ، وإنى لأخاطب المتقاعدين أن ينهضوا ويعملوا فليس مع الجهاد راحة ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

* * *

وفقنا الله وإياكم لما يُحبه ويرضاه ، وسلك بنا وبكم مسالك الأخيار المهتدين ، وأحيانا حياة الأعزاء السعداء ، وأماتنا موت المجاهدين ، إنه نِعْمَ المولى ونِعْـمَ النصير .

* * *

---

(١) القصص : ٥ - ٦ (٢) النساء : ١٠٤ (٣) العنكبوت : ٦٩

الفصل الثانى

الملامح والخصائص والسمات

• فكرة الإخوان تضم كل المعانى الإصلاحية :

كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين : أن شملت فكرتهم كل نواحى الحياة والإصلاح فى الأمة ، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية ، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته ، التقت عندها آمال محبى الإصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها . وتستطيع أن تقول - ولا حرج عليكَ - إن الإخوان المسلمين :

١ - دعوة سَلفية : لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافى من كتاب الله وسُنَّة رسوله .

٢ - وطريقة سُنِّية : لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسُنَّة المطهرة فى كل شىء ، وبخاصة فى العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

٣ - وحقيقة صوفية : لأنهم يعلمون أن أساس الخير : طهارة النفس ونقاء القلب ، والمواظبة على العمل والذِكر ، والإعراض عن الخَلْق ، والحب فى الله ، والارتباط على الخير .

٤ - وهيئة سياسية : لأنهم يُطالِبون بإصلاح الحكم فى الداخل والخارج . وتعديل النظر إلى صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج . وتربية الشعب على العزة والكرامة .

٥ - وجماعة رياضية : لأنهم يعنون بأجسامهم ويعلمون أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، وأن النبى ﷺ يقول : « إن لبدنكَ عليك حقاً » .

وأن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تؤدى كاملة إلا بالجسم القوى . فالصلاة والصوم والحج والزكاة لا بد لها من جسم يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح فى طلب الرزق . ولأنهم تبعاً لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع - وربما فاقت - كثيراً من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها .

٦ - ورابطة علمية ثقافية : لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولأن أندية الإخوان هى فى الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ، ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح .

٧ - وشركة اقتصادية : لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه ، وهو الذى يقول نبيه ﷺ : « نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح » . ويقـول : « مَن أمسى كالاً مِن عمل يده ، أمسى مغفوراً له » . « إن الله يحب الرجل المحترف » .

٨ - وفكرة اجتماعية : لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامى ، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها .

وهكذا نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحى الإصلاح ، ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحى ، وهم فى الوقت الذى يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعاً ، ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعاً ، ومن هنا كان كثير من مظاهر أعمال الإخوان يبدو أمام بعض الناس متناقضاً ، وما هو بمتناقض . فقد يرى الناس الأخ المسلم فى المحراب خاشعاً متبتلاً يبكى ويتذلل ، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظاً مدرساً يقرع الآذان بزواجر الوعظ ، وبعد قليل تراه رياضياً أنيقاً يرمى بالكرة أو يتدرب على العدو أو يمارس السباحة ، وبعد فترة يكون هو بعينه فى متجره أو معمله يزاول صناعته فى أمانة وإخلاص . هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضاً ببعض ، ولو علموا أنها جميعاً يجمعها الإسلام ، ويأمر بها الإسلام ، ويحض عليها الإسلام ، لحققوا فيها مظاهر الالتئام ومعانى الانسجام ، ومع هذا الشمول فقد اجتنب الإخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحى

من المآخذ ومواطن النقد والتقصير ، كما اجتنبوا العصب للألقاب إذ جمعهم الإسلام الجامع حول لقب واحد هو : « الإخوان المسلمون » .

* * *

• سمات حركة الإخوان المسلمين :

١ - البعد عن مواطن الخلاف .

٢ - والبعد عن هيمنة الأعيان والكبراء .

٣ - والبعد عن الأحزاب والهيئات .

٤ - والعناية بالتكوين والتدرج فى الخطوات .

٥ - وإيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات .

٦ - وشدة الإقبال من الشباب .

٧ - وسرعة الانتشار فى القُرى والبلاد .

١ - البُعد عن مواطن الخلاف الفقهى :

فأما البُعد عن مواطن الخلاف الفقهى فلأن الإخوان يعتقدون أن الخلاف فى الفرعيات أمر عادى لا ضرر منه ، إذ أن أصول الإسلام آيات وأحاديث وأعمال تختلف فى فهمها وتصورها العقول والأفهام . لهذا كان الخلاف واقعاً بين الصحابة أنفسهم ، وما زال كذلك ، وسيظل إلى يوم القيامة . وما أحكم الإمام مالك - رضى الله عنه - حين قال لأبى جعفر وقد أراد أن يحمل الناس على الموطأ : « إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا فى الأمصار وعند كل قوم علم ، فإذا حملتهم على رأى واحد تكون فتنة » . وليس العيب فى الخلاف ولكن العيب فى التعصب للرأى والحجر على عقول الناس وآرائهم .

هذه النظرة إلى الأمور الخلافية جمعت القلوب المتفرقة على الفكرة الواحدة ، وحسب الناس أن يجتمعوا على « ما يصير به المسلم مسلماً » كما قال زيد - رضى الله عنه - وكانت هذه النظرة ضرورية لجماعة يريدون أن ينشروا فكرة فى بلد لم تهدأ بعد فيه ثائرة الخلاف على أمور لا معنى للجدل ولا للخلاف فيها .

وأما البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان فلانصرافهم عن هذه الدعوات الناشئة المجردة من الغايات والأهواء إلى الدعوات القائمة التى تستتبع المغانم وتجر المنافع ـ ولو فى ظن الناس لا فى حقيقة الحال ـ ، ولأننا معشر القائمين بدعوة الإخوان تعمدنا هذا لأول عهد الدعوة بالظهور ، حتى لا يطمس لونها الصافى لون آخر من ألوان الدعوات التى يروج لها هؤلاء الكبراء ، وحتى لا يحاول أحد منهم أن يستغلها أو يوجهها فى غير الغاية التى نقصد إليها ، وذلك إلى أن كثيراً من الكبراء ينقصه الكمال الإسلامى الذى يجب أن يتصف به المسلم العادى فضلاً عن المسلم العظيم الذى يحمل اسم دعوة إسلامية لإرشاد الناس ، وعلى هذا فقد ظل هذا الصنف بعيداً عن الإخوان اللهم إلا قليلاً من الأكرمين الفضلاء يفهم عن فكرتهم ، ويعطف على غاياتهم ، ويشارك فى أعمالهم ، ويتمنى لهم التوفيق والنجاح .

٣ ـ البُعد عن الهيئات والأحزاب :

وأما البُعد عن الاتصال بالأحزاب والهيئات ، فلما كان ولا يزال بين هذه الهيئات من التنافر والتناحر الذى لا يتفق مع أخوة الإسلام ، ودعوة الإسلام عامة تجمع ولا تُفرّق ، ولا ينهض بها ويعمل لها إلا من تجرد من كل ألوان هذا وذاك وصار لله خالصاً ، وقد كان هذا المعنى من قبل عسيراً على النفوس الطامحة ، التى تريد أن تصل عن طريق حزبيتها أو جماعتها إلى ما تريد من جاه ومال . ولهذا آثرنا أن نتجنب الجميع ، وأن نصبر على الحرمان من كثير من العناصر الصالحة ، حتى ينكشف الغطاء ويدرك الناس بعض الحقائق المستورة عنهم ، فيعودوا إلى الخطة المثلى بعد التجربة ، وقد امتلأت قلوبهم باليقين والإيمان .

ونحن الآن وقد اشتد ساعد الدعوة وصلب عودها وأصبحت تستطيع أن تُوجِه ولا تتوجه ، وأن تؤثر ولا تتأثر ، نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا ، وأن يسلكوا سبيلنا ، وأن يعملوا معنا ، وأن يتركوا هذه المظاهر الفارغة التى لا غناء فيها ، ويتوحدوا تحت لواء القرآن العظيم ، ويستظلوا براية النبى الكريم ومنهاج الإسلام القويم ، فإن أجابوا فهو خير لهم وسعادة فى الدنيا والآخرة ، وتستطيع الدعوة بهم أن تختصر الوقت والجهود ، وإن أبوا فلا بأس علينا أن ننتظر قليلاً ، وأن نلتمس المعونة من الله وحده حتى يحاط بهم ويسقط فى أيديهم ، ويضطرون إلى العمل للدعوة أذناباً وقد كانوا يستطيعوا أن يكونوا رؤوساً . ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

٤ - التدرج فى الخطوات :

وأما التدرج والاعتماد على التربية ووضوح الخطوات فى طريق الإخوان المسلمين فذلك أنهم اعتقدوا أن كل دعوة لا بد لها من مراحل ثلاث : مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وإيصالها إلى الجماهير من طبقات الشعب . ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين . ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج . وكثيراً ما تسير هذه المراحل الثلاث جنباً إلى جنب نظراً لوحدة الدعوة وقوة الارتباط بينها جميعاً ، فالداعى يدعو وهو فى نفس الوقت يَتخَير ويُربَى ، وهو فى الوقت عينه يعمل ويُنفذ كذلك ، ولكن لا شك فى أن الغاية الأخيرة أو النتيجة الكاملة لا تظهر إلا بعد عموم الدعاية وكثرة الأنصار ومتانة التكوين .

٥ - إيثار الناحية العملية :

وأما إيثار الناحية العملية على الدعاية والإعلانات فقد أثارها فى نفس الإخوان ودعا إليها فى منهاجهم أمور : منها ما جاء فى الإسلام خاصاً بهذه الناحية بالذات مخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء فيسرع إليها

---

(١) يوسف : ٢١

التلف والفساد ، والموازنة بين هذه النظرة وبين ما ورد فى إذاعة الخير والأمر به والمسارعة إلى اعلانه ليتعدى نفسه ، أمر دقيق قلّما يتم إلا بتوفيق . ومنها نفور الإخوان الطبيعى من اعتماد الناس على الدعاية الكاذبة ، والتهريج الذى ليس من ورائه عمل ، وما أنتجه هذا فى الأمة من أثر سيء وتضليل كبير وفساد ملموس . ومنها ما كان يخشاه الإخوان من معالجة الدعوة بخصومة حادة أو صداقة ضارة ، يكون عن كليهما تعويق فى السير أو تعطيل عن الغاية . كل هذه أمور وضعها الإخوان فى ميزانهم ، وآثروا أن يسيروا فى دعوتهم بجد وإسراع ، وإن لم يشعر بهم إلا مَن حولهم ، وإن لم يؤثر ذلك إلا فى محيطهم .

٦ - إقبال الشباب على الدعوة :

وأما إقبال الشباب على الدعوة ونموها فى كثير من الأوساط التى هى أخصب المنابت للدعوات من الطبقات العاملة والوسطى ، فتوفيق كبير - نحمد الله عليه - فقد أقبل الشباب فى كل مكان على دعوة الإخوان ، يؤمن بها ، ويؤيدها ، ويناصرها ، ويعاهد الله على النهوض بحقها والعمل فى سبيلها .

٧ - سرعة الانتشار فى القُرى والمدن :

وأما سرعة انتشار الدعوة فى القُرى والمدن فقد قدمتُ لكم أن الدعوة نشأت فى الإسماعيلية ، وترعرعت فى جوها الصافى ، ودرجت على رمالها الممتدة الجميلة . وخطت الدعوة إلى القاهرة باندماج جمعية الحضارة الإسلامية بدُعاتها وأدواتها إلى الإخوان ، إيماناً بفكرتهم ، وإيثاراً للعمل مع الجماعة ، وزهادة فى الألقاب والأسماء ، واحتقاراً لهذه الأنانية التى أفسدت علينا كل عمل . ثم تبع ذلك تكوين مكتب الإرشاد العام فى القاهرة ، وإشرافه على شُعب الجماعة الناشئة فى الأقاليم والبلدان ، وعمله الدائب على نشر الفكرة وإيصالها إلى البلدان التى لم يتصل بها بعد . ودأب المكتب على ذلك يقطع أعضاؤه من ثرتهم وأوقاتهم وجهودهم ما يستطيعون به خدمة عقيدتهم : فى عفة الأسد ، وفى طهارة ماء الغمام ، لا يمدون لأحد يداً ، ولا يسألون كبيراً ولا هيئة شيئاً ،

ولا يأخذون من مال حكومة ، ولا يطلبون معونة أحد إلا الله . حتى انتشرت شُعب الإخوان ـ بسرعة فائقة ـ فى جميع نواحى القُطر المصرى : من أسوان إلى الإسكندرية إلى رشيد إلى بور سعيد إلى السويس إلى طنطا .. وفيما بين ذلك من المراكز والقُرى ، ولم تقف عند هذه الحدود المصرية بل تجاوزتها إلى القسم الجنوبى من الوطن الغالى ، إلى السودان المفدى ، إلى بقية الوطن الإسلامى العزيز ، سوريا بأقسامها شرقاً وغرباً ، والمغرب بأقسامه غرباً ، ثم إلى غير ذلك من بقية بلادنا الإسلامية المباركة . كنا نوجه الدعوة ونعمل على انتشارها ـ من قبل ـ ، أما الآن فقد صارت الدعوة تسبقنا إلى البلاد والقُرى ، وتضطرنا إلى ملاحقتها وأداء حقوقها مهما كان فى ذلك من عنت ومن إرهاق ، والمهم أن الصلة بين هذه الهيئات كلها ليس مجرد التشابه فى الاسم ، أو الوحدة فى المقصد العام ، كلا ، بل إنها أقوى الصلات جميعاً ، إنها صلة الحب العميق والتعارف والتعاون الوثيق ، والارتباط القدسى المتين ، والالتفاف التام حول محور الدعوة ومركزها ، والوحدة الشاملة فى الألم والأمل والجهاد والعمل والوسائل والغايات والمناهج والخطوات ... كما أن صلة المكتب بفروعه وهيئاته المختلفة ليست صلة الرئيس بالمرؤوس ، وليست صلة الإدارة البحتة والإشراف العلمى فقط ، ولكنها صلة فوق ذلك كله : صلة الروح أولاً ، وصلة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض ، والتزاور فى الله . فدعاة الإخوان يزورون إخوانهم ويختلطون بهم ، ويعرفون أهم ما يتصل بحياتهم وشئونهم الخاصة والعامة . ولم يتوفر ذلك لهيئة من الهيئات القائمة ـ فيما أعلم ـ : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾[1] .

* * *

وإن كثيراً من الناس ليتساءل : ومن أين يقوم الإخوان المسلمون بنفقات هذه الدعوة وهى نفقات كثيرة تُعجز الأغنياء فضلاً عن الفقراء ؟ . ألا فليعلم هؤلاء وليعلم غيرهم : أن الإخوان المسلمين لا يبخلون على دعوتهم ـ يوماً من الأيام ـ

---

(١) المائدة : ٥٤

بقوت أولادهم وعصارة دمائهم وثمن ضرورياتهم ، فضلاً عن كمالياتهم والفائض من نفقاتهم ، وأنهم يوم أن حملوا هذا العبء عرفوا جيداً أنها دعوة لا ترضى بأقل من الدم والمال ، فخرجوا عن ذلك كله لله ، وفقهوا معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [1] . فقبلوا البيع وقدموا البضاعة عن رضا وطيب نفس ، معتقدين أن الفضل كله لله ، فاستغنوا بما فى أيديهم عما فى أيدى الناس ، ومنحهم الله البركة فى القليل فأنتج الكثير . إلى الآن أيها الإخوان : لم يُمنح مكتب الإرشاد العام إعانة واحدة من الحكومة أيا كانت ، وهو يُباهى ويُفاخر ويتحدى الناس جميعاً أن يقول أحدهم : إن هذا المكتب قد دخل خزانته قرش واحد من غير جيوب أعضائه ، ولسنا نريد إلا هذا ، ولن نقبل إلا من عضو أو من محب ، ولن نعتمد على الحكومات فى شىء ، ولا تجعلوا فى تربيتكم ولا مناهجكم ذلك ، ولا تنظروا إليه ، ولا تعملوا له : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [2] .

* * *

• خصائص دعوة الإخوان :

أخص خصائص دعوتنا أنها ربانية عالمية إسلامية :

١ ـ أما أنها ربانية : فلأن الأساس الذى تدور عليه أهدافنا جميعاً أن يتقرب الناس إلى ربهم ، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة ، تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجحودها إلى طُهر الإنسانية الفاضلة وجمالها ، ونحن الإخوان نهتف من كل قلوبنا « الله غايتنا » فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس ـ من جديد ـ هذه الصلة التى تربطهم بالله تبارك وتعالى ، والتى نسوها فأنساهم الله أنفسهم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [3] . وهذا فى

---

(1) التوبة : ١١١ (2) النساء : ٣٢ (3) البقرة : ٢١

الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الإنسانية التي أوصدها الجحود والمادية في وجوه البشر جميعاً ، فلم يستطيعوا إلى حلها سبيلاً ، وبغير هذا المفتاح فلا إصلاح .

٢ ـ وأما أنها عالمية : فلأنها موجهة إلى الناس كافة ، لأن الناس في حكمها أخوة ، أصلهم واحد ، وأبوهم واحد ، ونسبهم واحد ، لا يتفاضلون إلا بالتقوى ، وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [1] . فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية ، ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان ، ولكنا ندعو إلى الأخوة العادلة الرحيمة بين بني الإنسان .

٣ ـ أما أنها إسلامية : فلأنها تنتسب إلى الإسلام ، بل أجمع ما توصف به أنها إسلامية ، ولهذه الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذي يفهمه الناس ، فإننا نعتقد أن الإسلام معنى كامل ينتظم شؤون الحياة جميعاً ، ويفتي في كل شأن ، ويضع له نظاماً محكماً دقيقاً ، ولا يقف مكتوفاً أمام المشكلات الحيوية والنظم التي لا بد منها لإصلاح الناس . فهم بعض الناس ـ خطأ ـ أن الإسلام مقصور على ضروب من العبادات أو أوضاع من الروحانية ، وحصروا أنفسهم وأفهامهم في هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المقصور ، ولكننا نفهم الإسلام على غير هذا الوجه فهماً فسيحاً واسعاً ينتظم شؤون الدنيا والآخرة . ولسنا ندَّعي هذا إدعاءً ، أو نتوسع فيه من أنفسنا ، وإنما هو ما فهمناه من كتاب الله وسيرة المسلمين الأولين . فإن شاء القارئ أن يفهم دعوة الإخوان بشيء أوسع من الإسلامية ، فليمسك بمصحفه وليُجرِّد نفسه من الهوى والغاية ثم يتفهم ما عليه القرآن ، فسيرى في ذلك دعوة الإخوان ، أجل : دعوتنا إسلامية بكل ما تحتمل الكلمة من معنى ، فافهم فيها ما شئت بعد ذلك ،

---

(١) النساء : ١

وأنت فى فهمك هذا مقيدٌ بكتاب الله وسُنَّة رسوله وسيرة السَلَف الصالح من المسلمين . فأما كتاب الله فهو أساس الإسلام ودعامته . وأما سُنَّة رسوله ﷺ فهى مُبَيِّنة الكتاب وشارحته . وأما سيرة السَلَف الصالح فهم - رضوان الله عليهم - منفذو أوامره والآخذون بتعاليمه ، وهم المُثُل العملية والصورة الماثلة لهذه الأوامر والتعاليم .

* * *

ولست أعنى أن للإخوان المسلمين إسلاماً جديداً غير الإسلام الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ عن ربه ، وإنما أعنى أن كثيـراً مـن المسلمـين - فى كثيـر من العصور - خلعوا على الإسلام نعوتاً وأوصافاً وحدوداً ورسوماً من عند أنفسهم ، واستخدموا مرونته وسعته استخداماً ضاراً - مع أنها لم تكن إلا للحكمة السامية - فاختلفوا فى معنى الإسلام اختلافاً عظيماً ، وانطبعت للإسلام فى نفوس أبنائه صور عدة تقرب أو تبعد أو تنطبق على الإسلام الأول الذى مَثَّله رسول الله ﷺ وأصحابه خير تمثيل :

فمن الناس من لا يرى فى الإسلام شيئاً غير حدود العبادة الظاهرة ، فإن أداها أو رأى من يؤديها اطمأن إلى ذلك ورضِيَ به ، وحسب أنه قد وصل إلى لُبِّ الإسلام ، وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين . ومن الناس من لا يرى الإسلام إلا الخُلُق الفاضل والروحانية الفيَّاضة ، والغذاء الفلسفى الشهى للعقل والروح والبُعد بهما عن أدران المادة الطاغية الظالمة . ومنهم من يقف إسلامه عند حد الإعجاب بهذه المعانى الحيوية العملية فى الإسلام ، فلا يتطلب النظر إلى غيرها ولا التفكير فى سواها . ومنهم من يرى الإسلام نوعاً من العقائد الموروثة والأعمال التقليدية التى لا غناء فيها ولا تقدم ، فهو متبرم بالإسلام وبكل ما يتصل بالإسلام ، وتجد هذا المعنى واضحاً فى نفوس كثير مَن الذين ثُقِّفوا ثقافة أجنبية ولم تُتح لهم فرص الاتصال بالحقائق الإسلامية ، فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئاً أصلاً ، أو عرفوه صورة مشوَّهة بمخالطتهم مَن لم يُحسنوا تمثيله من المسلمين .

وتحت هذه الأقسام جميعاً تندرج أقسام أخرى يختلف نظر كل منها إلى الإسلام عن نظر الآخر قليلاً أو كثيراً . وقليل من الناس أدرك الإسلام صورة كاملة واضحة تنتظم هذه المعانى جميعاً . هذه الصورة المتعددة للإسلام الواحد فى نفوس الناس ، جعلتهم يختلفون اختلافاً بيّناً فى فهم الإخوان المسلمين وتصور فكرتهم . فمن الناس من يتصور الإخوان المسلمين جماعة وعظية إرشادية ، كل همها أن تقدّم للناس العظات ، فتزهّدهم فى الدنيا وتذكّرهم بالآخرة . ومنهم من يتصوّر الإخوان المسلمين طريقة صوفية ، تعنى بتعليم الناس ضروب الذكر وفنون العبادة وما يتبع ذلك من تجرد وزهادة . ومنهم من يظنهم جماعة نظرية فقهية ، كل همها أن تقف عند طائفة من الأحكام ، تُجادل فيها وتُناضل عنها ، وتحمل الناس عليها ، وتُخاصم أو تُسالم من لم يُسَلِّم بها معها . وقليل من الناس خالطوا الإخوان وامتزجوا بها ، ولم يقفوا عند حدود السماع ، ولم يخلعوا على الإخوان إسلاماً يتصوّرونه هم ، فعرفوا حقيقتهم ، وأدركوا كل شىء عن دعوتهم علماً وعملاً . ولهذا أحببتُ أن أتحدث فى إيجاز عن معنى الإسلام وصورته الماثلة فى نفوس الإخوان المسلمين ، حتى يكون الأساس الذى ندعو إليه ونعتز بالانتساب له والاستمداد منه واضحاً جلياً :

(أ) نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شؤون الناس فى الدنيا والآخرة . وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحى مخطئون فى هذا الظن ، فالإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، ومصحف وسيف ، والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعتبره من لُبّ الإسلام ومن صميمه ، ويُوصى بالإحسان فيه جميعه .

* * *

وهكذا اتصل الإخوان بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه ، فأيقنوا أن الإسلام هو هذا المعنى الكُلّى الشامل ، وأنه يجب أن يُهيمن على كل شؤون الحياة ، وأن تصطبغ جميعها به ، وأن تنزل على حكمه ، وأن تساير قواعده

وتعاليمه ، وتستمد منهما ما دامت الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلاماً صحيحاً . أما إذا أسلمت فى عبادتها ، وقلدت غير المسلمين فى بقية شئونها ، فهى أمة ناقصة الإسلام ، تُضاهى الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (1) .

(ب) إلى جانب هذا يعتقد الإخوان أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله - تبارك وتعالى - وسُنَّة رسوله ﷺ اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبداً ، وأن كثيراً من الآراء والعلوم التى اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التى أوجدتها والشعوب التى عاصرتها ، ولهذا يجب أن نستقى النظم الإسلامية التى تُحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافى معين السهولة الأول ، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السَّلَفِ الصالح - رضوان الله عليهم - ، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نُقيِّد أنفسنا بغير ما يُقيِّدنا الله به ، ولا نُلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه ، والإسلام دين البشرية جميعاً .

(جـ) وإلى جانب هذا أيضاً يعتقد الإخوان المسلمون أن الإسلام - كدين عام - انتظم كل شئون الحياة فى كل الشعوب والأمم ولكل الأعصار والأزمان . جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة وخصوصاً فى الأمور الدنيوية البحتة ، فهو إنما يضع القواعد الكلية فى كل شأن من هذه الشئون ، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير فى حدودها ، ولضمان الحق والصواب فى التطبيق أو تحريهما على الأقل .

* * *

عَنِيَ الإسلام عناية تامة بعلاج النفس الإنسانية ، وهى مصدر النُّظم ومادة التفكير والتصور والتشكل ، فوصف لها من الأدوية الناجعة ما يطهرها من

---

(1) البقرة : 85

الهوى ويغسلها من أدران الغرض والغاية ، ويهديها إلى الكمال والفضيلة ، ويزجرها عن الجور والقصور والعدوان ، وإذا استقامت النفس وصفت فقد أصبح كل ما يصدر عنها صالحاً جميلاً . يقولون : « إن العدل ليس فى نص القانون لكنه فى نفس القاضى » . وقد تأتى بالقانون الكامل العادل إلى القاضى ذى الهوى والغاية فيطبقه تطبيقاً جائراً لا عدل معه ، وقد تأتى بالقانون الناقص والجائر إلى القاضى الفاضل العادل البعيد عن الأهواء والغايات فيطبقه تطبيقاً فاضلاً عادلاً فيه كل الخير والبر والرحمة والإنصاف . ومن هنا كانت النفس الإنسانية محل عناية كبرى فى كتاب الله ، وكانت النفوس الأولى التى صاغها هذا الإسلام مثال الكمال الإنسانى . ولهذا كله كانت طبيعة الإسلام تساير العصور والأمم ، وتتسع لكل الأغراض والمطالب ، ولهذا أيضاً كان الإسلام لا يأبى أبداً الاستفادة من كل نظام صالح ، ولا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة .

* * *

وقد حدّد الأستاذ البنا فهم الجماعة للإسلام بأصول عشرين نذكرها هنا لإدراك معنى أن دعوتنا إسلامية ، وما هو مضمون ذلك ، بما يميزنا عن الفهوم العامية أو الغالية التى تريد أن تنطلق بالمسلمين من خلال فهم غال أو خاطىء ، فلا تكاد تمضى حتى تتعثر ، وإذا مضت فعلى غلو أو خطأ .

* * *

قال الأستاذ البنا : إنما أريد بهذا الفهم أن توقن بأن فكرتنا إسلامية صحيحة ، وأن تفهم الإسلام كما نفهمه فى حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز :

١ - الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً ، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خُلُق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة أو كسب وغِنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء .

٢ - والقرآن الكريم والسُنَّة المطهرة مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام الإسلام . ويُفهم القرآن طبقاً لقواعد اللُغة العربية من غير تكلف ولا تعسف . ويُرجع فى فهم السُنَّة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .

٣ - وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله فى قلب مَن يشاء من عباده ، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولا تُعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٤ - والتمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وإدعاء معرفة الغيب كل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته « إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة » .

٥ - ورأى الإمام ونائبه فيما لا نص فيه وفيما يحتمل وجوهاً عدة وفى المصالح المرسلة معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية ، وقد يتغير بحسب الظروف والعُرف والعادات - والأصل فى العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعانى ، وفى العادات الالتفات إلى الأسرار والحِكَم والمقاصد - .

٦ - وكل أحد يُؤخذ من كلامه ويُترك إلا المعصوم ﷺ ، وكل ما جاء عن السلف - رضوان الله عليهم - موافقاً للكتاب والسُنَّة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسُنَّة رسوله أولى بالاتباع . ولكننا لا نعرض لأشخاص « فيما اختُلِفَ فيه » بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نيَّاتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدموا .

٧ - ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر فى أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد - ما استطاع - فى تعرف أدلة إمامه ، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صدق مَن أرشده وكفاءته ، وأن يستكمل نقصه العلمى - إن كان من أهل العلم - حتى يبلغ درجة النظر .

٨ - والخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سبباً للتفرق فى الدين ، ولا يؤدى إلى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمى

التزيه فى مسائل الخلاف فى ظل الحب فى الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .

٩ ـ وكل مسألة لا ينبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذى نُهينا عنه شرعاً ، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التى لم تقع ، والخوض فى معانى الآيات القرآنية التى لم يصل إليها العلم بعد ، والكلام فى المفاضلة بين الأصحاب ـ رضوان الله عليهم ـ وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته ، وفى التأويل مندوحة .

١٠ ـ معرفة الله ـ تبارك وتعالى ـ وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يلحق بذلك من المتشابه نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء . ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ (١) .

١١ ـ وكل بدعة فى دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم « سواء بالزيادة فيه أو النقصان منه » ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لا تؤدى إلى ما هو شر منها .

١٢ ـ والبدعة الإضافية والتَّركية والالتزام فى العبادات المطلقة به خلاف فقهى لكلٍّ فيه رأيه ، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣ ـ ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عُرِفَ من طيب أعمالهم قُربة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ ، والأولياء هم المذكورون فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٢) . والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد أنهم ـ رضوان الله عليهم ـ لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فى حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم .

١٤ ـ وزيارة القبور ـ أياً كانت ـ سُنَّة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين ـ أياً كانوا ـ ونداءهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم

---

(١) آل عمران : ٧

(٢) يونس : ٦٣

ـ عن قُرب أو بُعد ـ والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضافتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذرائع .

١٥ ـ والدعاء إذا قُرِنَ بالتوسّل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى فى كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة .

١٦ ـ والعُرف الخاطىء لا يُغيّر حقائق الألفاظ الشرعية بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصود بها والوقوف عندها ، كما يجب الاحتراز من الخداع اللّفظى فى كل نواحى الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

١٧ ـ والعقيدة أساس العمل ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ، وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعاً وإن اختلفت مرتبتا الطلب .

١٨ ـ والإسلام يُحرّر العقل ، ويحث على النظر فى الكون ، ويرفع قَدْر العلم والعلماء ، ويُرحّب بالصالح النافع من كل شىء ، والحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها .

١٩ ـ وقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى ما لا يدخل فى دائرة الآخر ، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى . فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤوّل الظنى ليتفق مع القطعى ، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار .

٢٠ ـ لا نُكَفّر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدّى الفرائض « برأى أو معصية » إلا إن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذّب صحيح القرآن ، أو فسّره على وجه لا تحتمله أساليب اللّغة العربية بحال ، أو عمله عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر .

* * *

وإذا علم الأخ المسلم دينه فى هذه الأصول فقد عرف معنى هتافه دائماً « القرآن دستورنا ، والرسول قدوتنا » .

* * *

الفصل الثالث

الأهداف وأجوبة على بعض التساؤلات والاعتراضات

• أهدافنا العامة :

ماذا نريد أيها الإخوان ؟ أنريد جمع المال وهو ظل زائل ؟ أم نريد سعة الجاه وهو عرض حائل ؟ أم نريد الجبروت فى الأرض والأرض لله يُورثها من يشاء من عباده ؟ ونحن نقرأ قول الله تبارك وتعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِى الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] . شهد الله أننا لا نريد شيئاً من هذا ، وما لهذا عملنا وَلا إلَيه دعونا ، ولكن اذكروا دائماً أن لكم هدفين أساسيين :

١ ـ أن يتحرر الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى ، وذلك حق طبيعى لكل إنسان ، ولا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد .

٢ ـ أن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام ، وتُطبق نظامه الاجتماعى وتُعلن مبادئه القويمة ، وتُبَلّغ دعوته الحكيمة للناس ، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعاً آثمون مسؤولون بين يدى الله ـ العلى الكبير ـ عن تقصيرهم فى إقامتها وقعودهم عن إيجادها . ومن العقوق للإنسانية فى هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دول تهتف بالمبادئ الظالمة وتنادى بالدعوات الغاشمة ، ولا يكون فى الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام .

---

(١) القصص : ٨٣

والخلاصة نحن نريد : الفرد المسلم ، والبيت المسلم ، والشعب المسلم ، والحكومة المسلمة ، والدولة التى تقود الدول الإسلامية وتضم شتات المسلمين ، وتستعيد مجدهم ، وترد عليهم أرضهم المفقودة ، وأوطانهم المسلوبة ، وبلادهم المغصوبة . ثم تحمل علَم الجهاد ولواء الدعوة إلى الله حتى تُسعد العالم بتعاليم الإسلام .

* * *

• مراتب العمل :

ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق هى :

١ - إصلاح نفسه : حتى يكون قوى الجسم ، متين الخُلُق ، مثقف الفكر ، قادراً على الكسب ، سليم العقيدة ، صحيح العبادة ، مجاهداً لنفسه ، حريصاً على وقته ، منظماً فى شئونه ، نافعاً لغيره ، وذلك واجب كل أخ على حدة .

٢ - وتكوين البيت المسلم : بأن يحمل أهله على احترام فكرته ، والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية ، وحسن اختيار الزوجة ، وتوقيفها على حقها وواجبها ، وحُسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام . ذلك واجب كل مسلم على حدة كذلك .

٣ - وإرشاد المجتمع : بنشر دعوة الخير فيه ومحاربة الرذائل والمنكرات ، وتشجيع الفضائل ، والأمر بالمعروف والمبادرة إلى فعل الخير ، وكسب الرأى العام إلى جانب الفكرة الإسلامية ، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائماً . وذلك واجب كل أخ على حدة ، وواجب الجماعة كهيئة عاملة .

٤ - وتحرير الوطن : بتخليصه من كل سلطان أجنبى غير إسلامى : سياسى أو اقتصادى أو روحى .

٥ - وإصلاح الحكومة : حتى تكون إسلامية بحق ، وبذلك تؤدى مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها . والحكومة إسلامية ما كان

أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام ، غير متجاهرين بعصيان ، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه ..

ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين - عند الضرورة - في غير مناصب الولاية العامة ، ولا عبرة بالشكل الذى تتخذه ولا بالنوع ، وما دام موافقاً للقواعد العامة فى نظام الحكم الإسلامى .

ومن صفاتها : الشعور بالتبعة والشفقة على الرعية ، والعدالة بين الناس ، والعفة عن المال العام والاقتصاد فيه .

ومن واجباتها : صيانة الأمن ، وإنفاذ القانون ، ونشر التعليم ، وإعداد القوة ، وحفظ الصحة ، ورعاية المنافع العامة ، وتنمية الثروة ، وحراسة المال ، وتقوية الأخلاق ، ونشر الدعوة . ومن حقها متى أدت واجبها : الولاء والطاعة والمساعدة بالنفس والمال .

فإذا قصّرت فالنُّصح والإرشاد ، ثم الخلع والإبعاد . ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

٦ - وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية : بتحرير أوطانها ، وإحياء مجدها ، وتقريب ثقافتها ، وجمع كلمتها ، حتى يُؤدِّى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة .

٧ - وأستاذية العالم : بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، ويأبى الله إلا أن يُتم نوره .

* * *

وهذه المراتب الأربعة الأخيرة تجب على الجماعة متحدة ، وعلى كل أخ باعتباره عضواً فى الجماعة . وما أثقلها تبعات وما أعظمها مهمات يراها الناس خيالاً ويراها الأخ المسلم حقيقة ، ولن نيأس أبداً ولنا فى الله أعظم الأمل : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

---

(١) يوسف : ٢١

تساؤلات

١ - الإخوان المسلمون والقوة والثورة :

ويتساءل كثير من الناس هل فى عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة فى تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم ؟ وهل يفكر الإخوان المسلمون فى إعداد ثورة عامة على النظام السياسى أو الاجتماعى فى مصر ؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين فى حيرة ، بل أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا فى وضوح وفى جلاء ، فليسمع مَن يشاء :

أما « القوة » فشعار الإسلام فى كل نظمه وتشريعاته ، فالقرآن الكريم ينادى فى وضوح وجلاء : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [1] . والنبى ﷺ يقول : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » . بل إن القوة شعار الإسلام حتى فى الدعاء ، وهو مظهر الخشوع والمسكنة ، واسمع ما كان يدعو به النبى ﷺ فى خاصة نفسه ويُعلمه أصحابه ويُناجى به ربه : « اللّهم إنى أعوذُ بِكَ من الهمّ والحزَن ، وأعوذُ بِكَ من العجز والكسل ، وأعوذُ بِكَ من الجُبن والبُخل ، وأعوذُ بِكَ من غلبة الدَّين وقهر الرجال » . ألا ترى فى هذه الأدعية أنه قد استعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف ؟ : ضعف الإرادة بالهمّ والحُزن ، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل ، وضعف الجيب والمال بالجُبن والبُخل ، وضعف العزة والكرامة بالدَّين والقهر . فماذا تريد من إنسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قوياً فى كل شىء شعاره القوة ؟ . فالإخوان المسلمون لا بد أن يكونوا أقوياء ، ولا بد أن يعملوا فى قوة .

* * *

ولكن الإخوان المسلمين أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر ، فلا يغوصوا إلى أعماقها ، ولا يزنوا نتائجها ، وما يُقصد

(١) الأنفال : ٦٠

منها وما يُراد بها ، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القُوة قوةُ العقيدة والإيمان ، ويلى ذلك قوةُ الوحدة والارتباط ، ثم بعدها قوةُ الساعد والسلاح . ولا يصح أن توصف جماعة بالقُوة حتى تتوفر لها هذه المعانى جميعاً . وأنها إذا استخدمت قوةُ الساعد والسلاح وهى مفككة الأوصال مضطربة النظام ، أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان ، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك ..

هذه نظرة ، ونظرة أخرى : هل أوصى الإسلام – والقُوة شعاره – باستخدام القُوة فى كل الظروف والأحوال ؟ أم حدَّ لذلك حدوداً واشترط شروطاً ووَجه القُوة توجيهاً محدوداً ؟

ونظرة ثالثة : هل تكون القُوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكى ؟ وهل من الواجب أن يوازِن الإنسان بين نتائج استخدام القُوة النافعة ونتائجها الضارة ومايحيط بهذا الاستخدام من ظروف ؟ أم أن واجبه أن يستخدم القُوة وليكن بعد ذلك ما يكون ؟

* * *

هذه نظرات يلقيها الإخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه . والثورة أعنف مظاهر القُوة ، فنظر الإخوان المسلمين إليها أدق وأعمق ، وبخاصة فى وطن كمصر جرَّب حظه فى الثورات فلم يجن من ورائها إلا ما تعلمون .

وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين : إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القُوة العملية حيث لا يُجدى غيرها ، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة ، وهم حين يستخدمون هذه القُوة سيكونون شرفاء صرحاء ، وسيُنذرون أولاً ، وينتظرون بعد ذلك ، ثم يُقدمون فى كرامة وعزة ، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح . وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ، ولا يعتمدون عليها ، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها ، وإن كانوا يصارحون كل حكومة فى مصر بأن الحال إذا دامت على

هذا المنوال ، ولم يفكر أولو الأمر فى إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل ، فسيؤدى ذلك - حتماً - إلى ثورة ، ليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم ، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال وإهمال مرافق الإصلاح . وليست هذه المشاكل التى تتعقد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضى الأيام إلا نذيراً من هذه النُذر ، فليسرع المنقذون بالأعمال .

* * *

٢ - الإخوان المسلمون والحكم :

ويتساءل فريق آخر من الناس : هل فى منهاج الإخوان المسلمين أن يُكوّنوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم ؟ وما وسيلتهم إلى ذلك ؟ ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضاً فى حيرة ، ولا نبخل عليهم بالجواب : فالإخوان المسلمون يسيرون فى جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدى الإسلام الحنيف كما فهموه .. وهذا الإسلام الذى يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه ، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد ، وقديماً قال الخليفة الثالث رضى الله عنه : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . وقد جعل النبى ﷺ الحكم عروة من عُرى الإسلام ، والحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع ، فالإسلام حكم وتنفيذ كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ، لا ينفك واحد منها عن الآخر .. والمُصلح الإسلامى إن رضىَ لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول وترك أهل التنفيذ يُشرّعون للأمة ما لم يأذن الله به يحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره ، فان النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المُصلح سيكون « صرخة فى واد ، ونفخة فى رماد » - كما يقولون - . قد يكون مفهوماً أن يقنع المُصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد ، إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاء لأوامر الله وتنفيذاً لأحكامه ، وتطبيقاً لآياته وأحاديث نبيه ﷺ . أما والحال كما نرى : التشريع الإسلامى فى واد ، والتشريع الفعلى والتنفيذى فى واد آخر ، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم

جريمة إسلامية لا يُكفّرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف ، هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا ، ولكننا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف .

* * *

وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم ، فإن وجدوا من الأمة مَن يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج إسلامى قرآنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه ، وإن لم يجدوا فالحكم من مناهجهم ، وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لا تنفذ أوامر الله . وعلى هذا فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال ، فلا بد من فترة تنتشر فيها مبادىء الإخوان وتسود ، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

* * *

وكلمة لا بد أن نقولها فى هذا الموقف هى أن الإخوان المسلمين لم يروا فى حكومة من الحكومات التى عاصروها ، لا الحكومة القائمة ولا الحكومة السابقة ولا غيرها من الحكومات الحزبية مَن ينهض بهذا العبء ، أو من يُبدى الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية . فلتعلم الأمة ذلك ولتطالب حكامها بحقوقها الإسلامية ، وليعمل الإخوان المسلمون .

وكلمة ثانية : إنه ليس أعمق فى الخطأ من ظن بعض الناس أن الإخوان المسلمين كانوا فى أى عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من الحكومات ، أو منفذين لغاية من غاياتهم ، أو عاملين على منهاج غير منهاجهم ، فليعلم ذلك مَن لم يكن يعلمه من الإخوان وغيرهم .

* * *

* اعتراضات :

﴿فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين﴾ [1] .

دعوتُ قومى إلى أن يختاروا ، أو بعبارة أصح وأوضح إلى أن يبروا بعهودهم مع الله ومع أنفسهم ، فيُقيموا دعائم حياتنا الاجتماعية فى كل مظاهرها على قواعد الإسلام الحنيف ، وبذلك يسلم مجتمعنا من هذا القلق والاضطراب والبلبلة التى شملت كل شىء ، والتى وقفت بنا عن كل تقدم ، والتى حالت بيننا وبين أن نتعرف الطريق السوى إلى علاج أية قضية من قضايانا الكثيرة المعلقة فى الداخل والخارج . وقلتُ : إنه لا سبيل إلى النجاة إلا فى هذا الاتجاه ـ عقيدة وعملاً ـ بكل ما نستطيع من حزم وسرعة .

١ ـ فصل الدين عن الدولة :

وقد يُقال : كيف ذلك والحياة العصرية فى العالم كله لا تقوم على أساس الدين فى أية ناحية من نواحيها ؟ وقد اصطلحت أمم الأرض التى بيدها مقاليد الأمور وتوجيه مقدرات الأمم والشعوب على فصل الدين وحصره بين الضمير والمعبد ، وهى وحدها نافذة المؤمن التى يتصل فيها بالله ، والذين يقولون هذا القول لم يعرفوا الإسلام ولم يدرسوا تعاليمه وأحكامه ، ولم يفقهوه بعد على حقيقته الصحيحة ووضعه السليم .. من أنه دين ومجتمع ، ومسجد ودولة ، ودنيا وآخرة ، وأنه تعرض لشئون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية ، وإن كان قد أقام الشطرين معاً على دعامة من سلامة القلب وحياة الوجدان ومراقبة الله وطهر النفس .

* * *

(١) المائدة : ٥٢

ونحن كمسلمين مطالبون بأن يقوم ديننا ودنيانا على أساس القواعد الإسلامية : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [1] . ومن هنا فرّق الفقهاء في النظرة التشريعية بين ما هو من قواعد الأحكام وبين شؤون الحياة الاجتماعية ، فأفسح للنظر والاجتهاد في الثانية ما ليس في الأولى ، حتى لا يكون على الناس في ذلك حرج ولا مشقة : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [2] .

* * *

٢ ـ الرجعيـــة :

وقد يُقال : إن هذا جمود ورجوع بالعالم إلى الوراء ألف عام أو تزيد ، فكيف يعقل أننا نطبق اليوم نظماً جاءت لأمة عاشت قبلنا بأربعة عشر قرناً ، في أرض غير أرضنا ، وعلى لون من الحياة غير ألوان حياتنا ؟ وأين سُنّة التطور وقوانين التقدم والارتقاء ؟

ونقول لهؤلاء كذلك : إنكم أيضاً لم تفهموا الإسلام الحنيف ، الذى جاء للناس فكرة سامية تُحدّد الأهداف العُليا ، وتضع القواعد الأساسية وتتناول المسائل الكلية ، ولا تتورط في الجزئيات ، وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها ، وتتسع لها جميعاً ولا تصطدم بشىء منها . وإذا كان تاريخ التشريع الإسلامى يحدثنا أن عمر ـ رضى الله عنه ـ كان يُفتى في الموسم في قضية من القضايا برأى ، ثم تُعرض عليه في الموسم التالى من العام التالى فيُفتى برأى آخر ... فيُقال له في ذلك فيقول : « تلك على ما قضينا وهذه على ما نقضى » . كما يحدثنا أن الشافعى ـ رضى الله عنه ـ وضع في العراق مذهبه القديم ، فلما ذهب إلى مصر وضع مذهبه الجديد نزولاً على حكم البيئة وتمشياً مع مظاهر الحياة الجديدة ، من غير أن يخل ذلك بسلامة التطبيق على مقتضى القواعد الإسلامية الكلية الأولى ، وأصبحنا

---

(١) المائدة : ٥٠

(٢) البقرة : ١٨٥

نسمع : « قال الشافعى فى القديم ، وقال الشافعى فى الجديد » . ونرى تغير رأى الرجل الواحد فى القضية الواحدة بحسب الزمان تارة ـ كما قال عمر ـ وبحسب المكان تارة أخرى ـ كما قال الشافعى ـ ، أو بحسبهما معاً . كما سمعنا أن عمر ـ رضى الله عنه ـ أمر بعدم القطع فى السرقة عام المجاعة ، وجاء رجل يشكو سرقة خدمه فأحضرهم فأقروا وذكروا أن سبب ذلك أنه لا يقوم بكفايتهم من طعام وملبس ، فتركهم عمر وتوعد الرجل قائلاً : « إذا سرق خدمك مرة أخرى قطعتُ يدكَ أنتَ » !! . واعتبرها شبهة تدرأ الحد ، ولاحَظَ الظروف والملابسات ..

* * *

فهل يُقال بعد ذلك أن فى الرجوع إلى النظام الإسلامى رجعية وجموداً ؟ ! وليست فى الدنيا شريعة تقبل التطور وتساير مقتضيات التقدم وتتمتع بمعانى المرونة والسلامة والسعة كشريعة الإسلام الحنيف : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [(1)] .

* * *

٣ ـ الخوف من الدول الأجنبية :

وقد يُقال : إن الجهر بالعودة إلى نظام الإسلام مما يُخيف الدول الأجنبية والأمم الغربية ، فتتألب علينا وتتجمع ضدنا ، ولا طاقة لنا بها ولا قدرة لنا عليها . وهذا منتهى الوَهَن ، وغاية الفساد فى التقدير وقُصر النظر ، وها نحن أولاء نرى هذه الدول وقد سايرناها فى نظمها ، وأخذنا بألوان حياتها واتبعناها فى تقاليدها ، فهل أغنى ذلك عنا شيئاً ؟ !! وهل دفع عنا من كيدها شيئاً ؟ !! وهل منعها من أجل أن تحتل أرضنا ، وتسلب استقلالنا ، وتستأثر

---

(١) المائدة : ٦

بخيرات بلادنا ؟ !! ثم تتجمع فى كل مؤتمر أو مجتمع دولى ضد حقوقنا ، وتثير المشكلات والصعاب والعقبات فى وجوهنا . ولا تتأثر إلا بشىء واحد هو ظروفها ومصالحها فقط ، ولا يعنيها بعد ذلك « نصرانية » ، فقد رأيناها فى الحرب الماضية يحطم بعضها بعضاً وكلها مسيحية . وتتملق مع هذا دول الإسلام وأممه وشعوبه ، وتتزلف إليها بمعسول وحلو الحديث . وها هم أولاء جميعاً يناصرون الصهيونية اليهودية وهى أبغض ما تكون إليهم ، لارتباط مصالحهم المادية وأغراضهم الاستعمارية بهذه المناصرة .. وقد أصبح هذا معلوماً فى تصرفات الساسة الغربيين .

إذن فلن يجدينا شيئاً عندهم أن نتنصل من الإسلام ، ولن يزيدهم فينا بُغضاً أن نُعلن التمسك به والاهتداء بهديه ، وبخاصة الآن وهم معسكران مختلفان متنافسان على المصالح المادية وحدها .

ولكن خطر التنصل من الإسلام والتنكر له عظيم على كياننا نحن ، فما دمنا بعيدين عن الإسلام وتشرب روحه وتحقيق تعاليمه فسنظل حائرين !! ، فتتحطم معنوياتنا متفرقين - فتضعف قوتنا - ولو أخذنا بالحزم وأعلناها صريحة واضحة : « أننا معشر أمم الإسلام لا شيوعيون ولا ديمقراطيون ، ولا شىء من هذا الذى يزعمون ، ولكننا بحمد الله مسلمون » لارتسمت أمامنا - تواً - طريق الهداية والنور ، ولجمعنا الإسلام وكلمة الإسلام ووحدت بيننا وبين إخواننا جميعاً فى أقطار الأرض ، فى ذلك وحده - ولا شىء غيره - القوة والمنقذ أمام هذا العدوان الكافر والاستعمارى الجارف الذى يهددنا فى كل مكان ..

* * *

وخلاصة هذا الكلام فى إيجاز : أننا إذا لاحظنا غضب الغربيين ورضاهم فى تمسكنا بالإسلام أو بُعدنا عنه ، فليس لهذا من معنى إلا أننا إن لم نتمسك بالإسلام لم نكسب رضاهم ، وسنخسر أنفسنا !! فى حين أننا إذا تمسكنا به

وتجمعنا من حوله واهتدينا بهديه كسبنا أنفسنا ولا شك ، وكان هناك احتمال قوى أن نكسبهم أيضاً بتأثير قوة الوحدة . فأى الرأيين أولى بالاتباع يا أولى الألباب ؟ !!

* * *

٤ - الأقليات :

أما اعتراض الأقليات غير المسلمة ، فالأمر أوضح من أن يكون موضع مراء ، إنه ليس أمام الأمم الإسلامية اليوم إلا هذه الفرصة ، وإن الدول الغربية تدرك هذا تماماً ، فهى تشغلنا بأنفسنا وتزيدنا حيرة على حيرة ، وليس فى الوقت متسع للتردد ، وإن تبعة مَن لا يعلم فى عنق مَن يعلم ، ولا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم .

عودوا إلى الإسلام تغنموا وتسلموا : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[١] .

اللّهم هل بَلّغتُ .. اللّهم فاشهد ..

* * *

---

(١) النور : ٥١

الفصل الرابع

المراحل والوسائل

• مراحل هذه الدعوة :

إن مراحل هذه الدعوة ثلاث :

١ ـ التعريف :

بنشر الدعوة بين الناس .. ويتصل بالجماعة كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة فى أعمالها ، ووعد بالمحافظة على مبادئها . وليست الطاعة التامة لازمة فى هذا الطور بقدر ما يلزم فيه احترام النظم والمبادئ العامة للجماعة .

٢ ـ التكوين :

باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها إلى بعض . ونظام الدعوة فى هذا الطور صوفى بحت من الناحية الروحية ، وعسكرى بحت من الناحية العملية ، وشعار هاتين الناحيتين دائماً « أمر وطاعة » من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج .. والدعوة فيه خاصة ، لا يتصل بها إلا مَن استعد استعداداً حقيقياً لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات ، وأول بوادر هذا الاستعداد كمال الطاعة .

٣ ـ التنفيذ :

والدعوة فى هذا الطور جهاد لا هوادة معه ، وعمل متواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية ، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون ، ولا يكفل النجاح فى هذا الطور إلا كمال الطاعة كذلك .

* * *

• متى تكون خطوتنا تنفيذية ؟

أيها الإخوان المسلمون : إن ميدان القول غير ميدان الخيال ، وميدان العمل غير ميدان القول ، وميدان الجهاد غير ميدان العمل ، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ . يسهل على كثير أن يتخيلوا ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يُستطاع تصويره أقوالاً باللسان ، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ، ولكن قليلين من هذا الكثير يثبتون عند العمل ، وكثير من هذا القليل يستطيعون أن يعملوا ، ولكن قليلاً منهم يقدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف : وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار ، قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله ، وفى قصة طالوت بيان لما أقول .

* * *

فأعدُّوا أنفسكم ، وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختبار الدقيق ، وامتحنوها بالعمل ، العمل القوى البغيض لديها الشاق عليها ، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها ، وفى الوقت الذى يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهَّزت نفسها ، كل منها روحياً بالإيمان والعقيدة ، وفكرياً بالعلم والثقافة ، وجسمياً بالتدريب والرياضة ، فى هذا الوقت طالبونى بأن أخوض بكم لجاج البحار ، وأقتحم بكم عنان السماء ، وأغزو بكم كل جبار عنيد ، فإنى فاعل إن شاء الله وصدق رسول الله القائل : « ولن يُغلب إثنا عشر ألفاً من قلة » . إنى أقدِّر لذلك وقتاً ليس طويلاً بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيئته ، وقد تستطيعون أنتم معشر نواب الإخوان ومندوبيهم ، أن تُقصِّروا هذا الأجل ، إذا بذلتم همتكم وضاعفتم جهودكم ، وقد تُهملون فيُخطىء هذا الحساب وتختلف النتائج المترتبة عليه ، فاشعروا أنفسكم العبء ، وألفوا الكتائب ، وكوِّنوا الفرق ، وأقبلوا على

الدروس ، وسارعوا إلى التدريب ، وانشروا دعوتكم فى الجهات التى لم تصل إليها بعد ، ولا تُضَيِّعوا دقيقة بغير عمل .

* * *

الوسائل العامة

• وسائلنا العامة :

إن الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات وتشخيص الداء ووصف الدواء ، كل ذلك وحده لا يكفى ، ولا يُجدى نفعاً ، ولا يُحقق غاية ، ولا يصل بالداعية إلى هدف من الأهداف ، ولكن للدعوات وسائل لا بد من الأخذ بها والعمل لها ، والوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ، ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة :

١ ـ الإيمان العميق .

٢ ـ التكوين الدقيق .

٣ ـ العمل المتواصل .

وتلك هى وسائلكم العامة أيها الإخوان فآمنوا بفكرتكم وتجمعوا حولها واعملوا لها واثبتوا عليها .

* * *

• وسائل إضافية :

وقد تكون إلى جانب هذه الوسائل العامة وسائل إضافية ، لا بد من الأخذ بها وسلوك سبيلها . منها السلبى ، ومنها الإيجابى ، ومنها ما يتفق مع عُرف الناس ، ومنها ما يخرج على هذا العُرف ويُخالفه ويُناقضه ، ومنها ما فيه لين ، ومنها ما فيه شدة ، ولا بد أن نُروّض أنفسنا على تحمل ذلك كله والإعداد لهذا كله حتى نضمن النجاح .

قد يُطلب إلينا أن نخالف عادات ومألوفات ، وأن نخرج على نظم وأوضاع ألفها الناس وتعارفوا عليها ، وليست الدعوة فى حقيقة أمرها إلا خروجاً على المألوفات وتغييراً للعادات والأوضاع ، فهل أنتم مستعدون لذلك أيها الإخوان ؟

* * *

• أركان الوسيلة :

أما الوسيلة .. فلها أركان ثلاثة تدور عليها فكرة الإخوان :

١ ـ المنهاج الصحيح : وقد وجده الإخوان فى كتاب الله وسُنَّة رسوله ، وأحكام الإسلام حين يفهمها المسلمون على وجهها غضة نقية بعيدة عن الدخائل والمفتريات .. فاعكفوا على دراسة الإسلام على هذا الأساس دراسة سهلة مستوعبة .

٢ ـ العاملون المؤمنون : ولهذا أخذ الإخوان بتطبيق ما فهموه من دين الله تطبيقاً لا هوادة فيه ولا لين ، وهم بحمد الله مؤمنون بفكرتهم ، مطمئنون إلى غايتهم ، واثقون بتأييد الله إياهم ما داموا له وعلى هَدْى رسوله ﷺ يسيرون .

٣ ـ القيادة الحازمة الموثوق بها .

* * *

• وسيلتنا بين جماعة وفكرة :

الكلام عن الوسيلة العامة للإخوان المسلمين يقف بنا أمام هذه الدعوة كجمعية من الجمعيات التى تقوم بالدعوة العامة ، ثم يقف بنا كذلك أمامها كدعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب ، التى ترسم لها منهاجاً جديداً تؤمن به وتسير عليه :

(أ) لا شك أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة تقوم بالخدمة العامة من بناء المساجد وعمارتها ، ومن فتح المدارس والمكاتب والإشراف عليها ، ومن إنشاء الأندية والفرق وتوجيهها ورعايتها ، ومن الاحتفالات بالذكريات

الإسلامية احتفالاً يليق بجلالها وعظمتها . ومن الإصلاح بين الناس فى القُرى والبلدان إصلاحاً يُوَفر عليهم كثيراً من الجهود والأموال . ومن التوسط بين الأغنياء الغافلين والفقراء المعوزين بتنظيمهم الإحسان وجمع الصدقات لتوزع فى المواسم والأعياد .

* * *

ولا شك أن الإخوان يقومون بهذا كله ولهم فيه - والحمد لله - أثر يُذكر ، وقد تضاعفت نشاطاتهم فى هذه النواحى مضاعفة ملموسة فى هذا الدور من أدوار الدعوة ، بطبيعة التفات الناس إليها وإقبالهم عليها . ووسيلة الإخوان فى هذه الميادين التنظيم والتطوع والاستعانة بأهل الرأى والخبرة ، وتدبير ما تحتاج إليه هذه المشروعات من أموال من المشتركين تارة ومن المتبرعين تارة أخرى ، إلى ما يدفع لمثل هذه المشروعات . ولسنا نقول : ان الإخوان قد اكتملت جهودهم فى هذه الناحية ، ولكننا نقول : إنهم يسيرون بخطوات واسعة نحو الكمال ، والله الموفِّق والمُستعان . هؤلاء هم الإخوان وتلك هى دعوتهم كجماعة من جماعات الخدمة العامة .

(ب) ولكن الإخوان كما علمتَ ليسوا كذلك فحسب ، ولكن لُب دعوتهم : فكرة وعقيدة يقذفون بها فى نفوس الناس ، يتربى عليها الرأى العام ، وتؤمن بها القلوب ، وتجتمع من حولها الأرواح . تلك هى مبادئ العمل للإسلام ، والعمل به فى نواحى الحياة .

* * *

أما الوسيلة لتحقيق ذلك فليست المال ، والتاريخ منذ عُرِفَ - إلى الآن - يحدثنا عن الدعوات لا تقوم أول أمرها بالمال ، ولا تنهض به بحال ، فهى تحتاج إلى مال فى بعض مراحلها ، ولكن محال أن يكون قوامها ودعامتها . فرجال الدعوات وأنصارها هم دائماً المقلون من هذا المال ، وسل التاريخ يُنبئك .

وليست الوسيلة القوة كذلك . فالدعوة الحق إنما تخاطب الأرواح أولاً ، وتُناجى القلوب ، وتطرق مغاليق النفوس ، ومحال أن تثبت بالعصا ، أو أن تصل إليها على شبا الأسنّة والسهام ، ولكن الوسيلة فى تركيز كل دعوة وثباتها معروفة مقروءة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات .

* * *

وخلاصة ذلك جملتان « إيمان وعمل » و « محبة وإخاء » ماذا فعل رسول الله ﷺ فى تركيز دعوته فى نفوس الرعيل الأول من أصحابه أكثر من أن دعاهم إلى الإيمان والعمل ؟ !! ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء ، فاجتمعت قوّة العقيدة إلى قوّة الوحدة وصارت جماعتهم هى الجماعة النموذجية ، التى لا بد أن تظهر كلمتها وتنتصر دعوتها وإن ناوأها أهل الأرض جميعاً ؟ وماذا فعل الدعاة من قبل ومن بعد أكثر من هذا ؟ !! ينادون بالفكرة ويوضحونها ، ويدعون الناس إليها ، فيؤمنون بها ، ويعملون لتحقيقها ، ويجتمعون عليها ، ويزدادون عدداً فتزداد الفكرة بهم ظهوراً حتى تبلغ مداها وتبتلع ما سواها ، وتلك سُنّة الله : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ [1] .

* * *

وليست دعوة الإخوان بدعاً فى الدعوات ، فهى صدى - من الدعوة الأولى - يُدوّى فى قلوب هؤلاء المؤمنين ويتردد على ألسنتهم ، ويحاولون أن يقذفوا به إيماناً فى قلوب الأمة المسلمة ، ليظهر عملاً فى تصرفاتها ، ولتجتمع قلوبها عليه ، فإذا فعلوا ذلك أيّدهم الله ونصرهم وهداهم سواء السبيل . فإلى الإيمان والعمل ، وإلى الحب والإخاء أيها الإخوان والله معكم ، وتلك هى وسيلتكم ، واللهُ غالبٌ على أمره .

* * *

---

(1) الأحزاب : ٦٢

الفصل الخامس

العقبات وعوامل النجاح

• العقبات فى طريقنا :

أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ، ويوم يعرفونها ويُدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية ، وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات ، وسيعترضكم كثير من العقبات ، وفى هذا الوقت وحده تكونون بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات . أما الآن فلا زلتم مجهولين ، ولا زلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد .

سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم .

وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام ، وينكر عليكم جهادكم من أجله .

وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان ، وستقف فى وجهكم كل الحكومات على السواء ، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم ، وأن تضع العراقيل فى طريقكم .

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم ، وسيستعينون فى ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة ، والأيدى الممتدة إليهم بالسؤال ، وإليكم بالإساءة والعدوان . وسيُثير الجميع حول دعوتكم غبار

الشُبهات والشهوات وظلم الاتهامات ، وسيحاولون أن يُلصقوا بها كل نقيصة ، وأن يُظهروها للناس فى أبشع صورة ، معتمدين على قوّتهم وسلطانهم ، ومعتدين بأموالهم ونفوذهم : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (1) .

* * *

وستدخلون بذلك - ولا شك - فى دور التجربة والامتحان ، وتُعتقلون ، وتُشردون ، وتُصادر مصالحكم ، وتُعطل أعمالكم ، وتُفتش بيوتكم ، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (2) . ولكن الله وعدكم بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (3) .. ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (4) . فهل أنتم مُصرون على أن تكونوا أنصار الله ؟ !! .

* * *

• عوامل النجـاح

ومن الحق أيها الإخوان أن يذكر أمام هذه العقبات جميعاً : أننا ندعو بدعوة الله وهى أسمى الدعوات ، وننادى بفكرة الإسلام ، وهى أقوى الفكر ، ونقدم للناس شريعة القرآن وهى أعدل الشرائع : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (5) .

* * *

---

(1) الصف : 8 — (2) العنكبوت : 2 — (3) الصف : 10 - 11

(4) الصف : 14 — (5) البقرة : 138

وإن العالم كله فى حاجة إلى الدعوة ، وكل ما فيه يُمَهِّد لها ويُهَيِّىء سبيلها وأننا - بحمد الله - برآء من المطامع الشخصية ، بعيدون عن المنافع الذاتية ، لا نقصد إلا وجه الله وخير الناس ، ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته ، وأننا نترقب تأييد الله ونصرته ، ومَن نَصَرَهُ الله فلا غالب له : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[1] . فقوة دعوتنا وحاجة العالم إليها ونبالة مقصدنا وتأييد الله إيانا هى عوامل النجاح التى لا تثبت أمامها عقبة ، ولا يقف فى طريقها عائق ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

* * *

---

(1) محمد : ١١

(2) يوسف : ٢١

الفصل السادس

موقف الناس من دعوتنا
وموقفنا من غيرنا

وكل الذى نريده من الناس أن يكونوا أمامنا واحداً من أربعة :

١ - مؤمن :

إما شخص آمن بدعوتنا ، وصَدَّق بقولنا ، وأعجب بمبادئنا ، ورأى فيها خيراً اطمأنت إليه نفسه ، وسكن له فؤاده . فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا ، والعمل معنا حتى يكثر به عدد المجاهدين ، ويعلو بصوته صوت الداعين . ولا معنى لإيمان لا يتبعه عمل . ولا فائدة فى عقيدة لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها والتضحية في سبيلها . وكذلك كان السابقون الأوَّلون ممن شرح الله صدورهم لهدايته فاتبعوا أنبياءه ، وآمنوا برسالاته ، وجاهدوا فيه حق جهاده ، ولهؤلاء من الله أجزل الأجر وأن يكون لهم مثل ثواب من اتبعوهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .

٢ - متردد :

وإما شخص متردد لم يستبن له وجه الحق ، ولم يتعرف فى قولنا معنى الإخلاص والفائدة ، فهو متوقِّف متردد . فهذا نتركه لتردده ، ونُوصيه بأن يتصل بنا عن كثب ، ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب ، ويطالع كتاباتنا ، ويزور أنديتنا ، ويتعرف إلى إخواننا ، فسيطمئن بعد ذلك لنا إن شاء الله . وكذلك كان شأن المترددين من أتباع الرسل من قبل .

٣ ـ نفعى :

وإما شخص لا يريد أن يبذل معونة إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة ، وما يجره هذا البذل له من مغنم ، فنقول له : حنانيك !! ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت ، والجنة إن علِمَ فيك خيراً ، أما نحن فمغمورون جاهاً فقراء مالاً ، شأننا التضحية بما معنا وبَذْل ما فى أيدينا ، ورجاؤنا رضوان الله وهو نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير . فإن كشف الله الغشاوة عن قلبه وأزاح كابوس الطمع عن فؤاده فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى ، وسينضم إلى كتيبة الله ليجود بما معه من عَرَضِ هذه الحياة الدنيا لينال ثواب الله فى العُقبى و ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [١] . وإن كانت الأخرى فالله غنى عمن لا يرى لله الحق الأول فى نفسه وماله ، ودنياه وآخرته ، وموته وحياته . وكذلك كان شأن قوم من أشباهه حين أبوا مبايعة رسول الله ﷺ إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده ، فما كان جوابه ﷺ إلا أن أعلمهم أن الأرض لله يُورثها مَن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

٤ ـ متحامل :

وإما شخص ساء ظنه فينا ، وأحاطت بنا شكوكه وريبه ، فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود ، ولا يتحدث إلا بلسان المتحرج المتشكك ، ويأبى إلا أن يلج فى غروره ، ويسدر فى شكوكه ، ويظل مع أوهامه .. فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، ويُلهمنا وإياه الرُشد . ندعوه إن قبل الدعاء ، ونناديه إن أجاب النداء ، وندعو الله فيه وهو سبحانه أهل الرجاء . ولقد أنزل الله على نبيه الكريم فى صنف من الرجال : ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ﴾ [٢] . وهذا سنظل نحبه ونرجو فيأه إلينا واقتناعه بدعوتنا . وإن شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى ﷺ من قبل : « اللّهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » .

---

(١) النحل : ٩٦

(٢) القصص : ٥٦

نحب أن يكون الناس معنا واحداً من هؤلاء ، وقد حان الوقت الذى يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته ، ويحدد وجهته ، ويعمل إلى هذه الوجهة حتى يصل إلى الغاية . أما تلك الغفلة السادرة ، والخطوات اللاهية ، والقلوب الساهية ، والانصياع الأعمى وإتباع كل ناعق ، فما هو من سبيل المؤمن فى شئ» .

• موقف الإخوان المسلمين من غيرهم :

١ ـ على الأخ المسلم أن يتعرف غايته ، وأن يجعلها المقياس الوحيد فيما بينه وبين الناس .

٢ ـ كل منهاج لا يؤيد الإسلام ، ولا يرتكز على أصوله العامة ، لا يؤدى إلى نجاح .

٣ ـ كل هيئة تحقق بعملها ناحية من نواحى منهاج الإخوان المسلمين ، يؤيدها الأخ المسلم فى هذه الناحية .

٤ ـ يجب على الإخوان المسلمين إذا أيدوا هيئة ـ ما ـ من الهيئات ، أن يستوثقوا أنها لا تتنكر لغايتهم فى وقت من الأوقات .

٥ ـ الهيئات النافعة تُوجه إلى الغاية بتقويتها لا بإضعافها .

٦ ـ يرحب الإخوان بكل فكرة ترمى إلى توحيد جهود المسلمين فى سائر بقاع الأرض ، وتأييد فكرة الجامعة الإسلامية كأثر من آثار اليقظة الشرقية .

٧ ـ الإخوان المسلمون يخلصون لكل الهيئات الإسلامية ، ويحاولون التقريب بينها بكل الوسائط ، ويعتقدون أن الحب بين المسلمين هو أصلح أساس لإيقاظهم ، وهم يناوئون كل هيئة تشوّه معنى الإسلام مثل « البهائية والقاديانية » .

* * *

• فنـــاء :

ونحب أن يعلم قومنا إلى جانب هذا ، أن الدعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها ، ووهب لها ما تُكلِّفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته ؛ ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [1] . فهى دعوة لا تقبل الشركة ، إذ أن طبيعتها الوحدة ، فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به ، ومن ضعف عن هذا العبء، فسيُحرم ثواب المجاهدين ، ويكون مع المخلَّفين ، ويقعد مع القاعدين ، ويستبدل الله لدعوته به قوماً آخرين : ﴿ .. أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .. ﴾ [2] .

* * *

---

(١) التوبة : ٢٤ (٢) المائدة : ٥٤

الباب الثامن

ردود على اتهامات

أما وقد عرفتَ حتى الآن الكثير عن جماعة الإخوان المسلمين فقد آن لك أن تعرف ماذا يقول خصومها عنها وما هو الجواب ؟ ..

ولم يكن هذا الباب جزءاً من هذه الرسالة ، لأننى كنت أفكر أن الواقع العملى كاف لأن يفتح الأعين العُمى على الحقيقة . إن الإخوان المسلمين أكبر من أن يستطيع أحد أن يمس نزاهتهم ، ولا ندعى العصمة ، ولا ندعى أنه لا يوجد فينا إلا نزيه ، ولكنا نزعم أن صفنا بفضل الله نزيه ، وأن قواعدنا لصياغة هذا الصف سليمة ، وأن صفنا قادر - بفضل الله - أن ينبذ الغريب عنه ، وأن يُحاسب المخطئ . ولكن وأنا أتتبع ما يُكتب وما يُقال عن الإخوان المسلمين وجدتُ أنه لا بد من إضافة هذا الباب لوضع النقاط على الحروف .

* * *

إنه من خلال التتبع لكل ما استطعتُ الوصول إليه مما كُتِبَ عن الإخوان المسلمين من قِبَلِ خصومهم ، وجدتُ أن التهم الرئيسية الموجهة للإخوان هى : الديكتاتورية ، والانبثاق عن البرجوازية ، والإرهاب ، وخيانة القضية الوطنية ، والتعامل مع جهات أجنبية ، وتأييد الحكومات المنحرفة أو اللّين معها ، والتعاقدات الخاطئة ، والعُقم الفكرى ، والعجز السياسى ، والأخلاقيات المنحرفة ، واستغلال الدين ، وإثارة الطائفية ، والتساهل فى التطبيق ، والخطأ فى السير ، وعدم التقدير الصحيح للموقف السياسى والتصرف على ضوئه ، والفاشستية . فهذه ستة عشر اتهاماً رئيسياً وُجِّهَت للإخوان خلال خمسين سنة ولا يزال بعضها أو كلها يُوجَّه . فلنناقش هذه الاتهامات :

١ - الديكتاتورية :

نحن فى حركة الإخوان المسلمين يحكمنا شيئان : حكم الله ثم الشورى حيث يكون حكم الله هو الشورى . والشورى - على حسب قواعدنا - ينبغى أن تُعطى لأهلها ، وإذا أعطيت لأهلها فرأى أكثريتهم ملزم . وفى قواعدنا قد نعطى طبقة أعلى أو أدنى حق الاحتكام إليها - فى بعض الحالات - لضمان سلامة القرار ، ولكن تبقى الأكثرية هى الحكم .

هذه هى القواعد المعتمدة لدى الجماعة فى أى نظام اعتمدته ، أو تفكر فى اعتماده . والإخوان المسلمون يُفرِّقون بين حالتين : حالة تجمع حول شخص دون شروط : ففى هذه الحالة يمكن أن تكون الشورى معلمة له . وحالة تجمع على شروط وقواعد : فى هذه الحالة يجب الالتزام بالقواعد والشروط ، فإذا كانت الشروط والقواعد تلزم برأى الأكثرية فى الشورى ، فالواجب الشرعى الالتزام برأى الأكثرية على ضوء القواعد ، مع ملاحظة إعطاء حق الاحتكام لسلطة أعلى أو أدنى على حسب الأنظمة ، فإذ يُلزم الإخوان أنفسهم بهذا فلا محل إذن للديكتاتورية فى تركيبهم ، أو فى نهجهم ، أو فيما يريدون أن ينقلوا الناس إليه .

إن نظرية الإخوان المسلمين فى الشورى هى أدق نظرية وأوسعها فى هذا العالم كله ، حتى إننا لنحلم أن نُوجِد فى هذا العالم نظاماً شورياً لا مثيل له .

فتركيبنا إذن شورى ، وفى حالة وصولنا إلى الحكم : فسنعمم الشورى لتكون قرارات الحكم قرارات للأمة كلها ، سنسعى ليكون الأمر كذلك ، وسنطرح كل الصيغ المناسبة لذلك . هذا ما نريده ونسعى إليه ، فأن يتهمنا أخصامنا بالديكتاتورية ، فذلك ظلم . كيف والله تعالى يقول : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [1] . ويقول : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [2] .

---

(١) الشورى : ٣٨

(٢) آل عمران : ١٥٩

قد يكون الأستاذ البنا - رحمه الله - طرح فى بعض الحالات وجهة نظر : أن الشورى معلمة . ولكن الذى عليه الالتزام والعمل والقواعد : أن الشورى ملزمة فى دعوتنا . وهذا لا يعنى التمرد أو سوء الأدب ، أو الرفض من أجل الرفض ، فمن ربط بين احترامنا لقياداتنا وتأدبنا معها وموافقتنا إياها على الرأى الراجح وبين الديكتاتورية ، فإنه يكون ظالماً .

* * *

لقد قص علينا القرآن قصة موسى مع الخضر - عليهما السلام - وفيه شرط الخضر على موسى ، فلما أخل موسى بالشرط تم الفراق . وسير الإخوان المسلمين مع بعضهم هذا شأنه : سير على أساس الالتزام بالقواعد المنبثقة عن الشورى ، فمن أخل فوصل .

فلا ديكتاتورية فى سيرنا ، ولن نفرض ديكتاتورية على أمتنا ، بل بعد حكم الله تحكمنا نظرية فى الشورى لا يوجد أوسع منها ولا أحكم ، وسنحكم أمتنا بنظرية فى الشورى لا أوسع ولا أحكم .

هذا ما نقوله إجمالاً فى الرد على التهمة الأولى ، وسنكتفى ههنا بالرد الإجمالى ، لأن هناك كتباً تُفصّل فى هذا كله .

* * *

٢ - الانبثاق عن البرجوازية :

إن الذى يربط بين حركتنا وبين البرجوازية لم يفهم الإسلام أولاً ، ولم يعرفنا ثانياً . فالإسلام حق وعدل ، وقد قدَّم صيغة الحق والعدل للناس ، فمن قبلها فهو المسلم ، سواء أكان فقيراً أو غنياً ، فنحن لا ننطلق إلا من هذا ، والمفروض أن يكون على ضوء ذلك تركيبنا ، ولكن الواقع أن دعوتنا بدأها الفقراء ، وتبنّاها الفقراء . ويكفى أن نعرف أن الأستاذ البنا بقى السنين الطوال يعيش هو وأسرته من مرتبه كمُعَلّم ابتدائى ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل التزم الأستاذ البنا ألا يقبل الأعيان والكبراء فى دعوته طوال مرحلة التأسيس ، حتى

لا يستطيع أحد أن يحرفها عن مسارها الصحيح . فهذه تهمة ما أظهر بطلانها . أما مَن رأى ضخامة مؤسساتنا وكثرتها ، فعليه أن يربط بين ذلك وبين الإسلام ، فالإسلام يُوجِد رجالاً يضحون ويدفعون ، والذين اعتادوا على الأخذ ، والذين اعتادوا على العمل السياسى من خلال الأجر ، هؤلاء يظنون أن الناس كلهم مثلهم !! وهيهات !!! فنحن نعمل ونعطى ولا نريد إلا وجه الله الذى لا يعرفه الآخرون ولا يؤمنون به ، فيتهموننا بسبب ذلك .

* * *

٣ ـ الإرهاب :

هؤلاء الذين يتهموننا بالإرهاب ، نطلب منهم شيئاً واحداً : هو أن يحاكموا تصرفاتنا على ضوء الإسلام ، فحيثما خالفنا الإسلام فى شىء فنحن منه براء ونتوب إلى الله . ولكن هؤلاء ليسوا من الإسلام فى شىء ، ومن ثَمَّ فنحن نسألهم ـ مع إننا لا نقبل إلا حكم الله ـ : هل أعطانا أحد حقوق الإنسان المعترف بها فى العالم لكل إنسان ؟ !! إن أحداً ـ ما ـ لم يعطنا مرة حقوق الإنسان !! . فإلى هؤلاء نقول : إنه عندما لا نُعطى حقوق الإنسان فلا يحق لأحد أن يحاسبنا على شىء ، مع ملاحظة أن الإرهاب شىء والحرب العادلة شىء آخر .

أترى والإنكليز يحكمون مصر ، يُحاسَب الإخوان على أنهم فكروا بالسلاح ؟ !! أعطونا ـ فى منطق العصر ـ حقوق الإنسان وحاسبونا على مخالفتها ، مع إننا لا نقبل إلا حكم الله ، فإنه إذا أعطينا حقوق الإنسان فسنسلم أمرنا لله إذا حوسبنا على ضوئها ، وسنتحمل كل ظلامة تُصيبنا نتيجة لذلك . أما أن تمنعونا حقوق الإنسان !! وتُحرِّموا علينا العمل للإسلام وبالإسلام !! وتطالبونا ألا نفكر فى الطريقة التى نرد بها عن أنفسنا العدوان !! فهذا ظلم منكم . ومع هذا فنحن حتى الآن على امتداد العالم تقريباً نتلقى كل ما حدث لنا بصبر ، ولم نرد على العدوان ـ وباستثناء حوادث فردية أصحابها مسؤولون عنها ـ فإن الجماعة لم يستطع أحد أن يسجل عليها حادثة إرهاب

واحدة اتخذتها قيادة شرعية . وهذا يكفى لتبرئة الجماعة وخططها وسيرها ، على أنه لو حدث شيء من هذا فالمحاكمة للإسلام والحكم للإسلام ، على الجماعة أو لها .

ومرة أخرى نقول : إنه فى حالة إعطائنا كل حقوق الإنسان فى هذا العالم فسنقدم التزاماتنا ـ وهى التزامات جائزة شرعاً ـ ويستطيع العالم أن يُحاسبنا على ما التزمنا به .

أما الآن فكل تهمة تُوَجه لنا باسم الإرهاب نعتبرها ظالمة ، لا تساوى الهواء الذى نُطقَت فيه ، أو الحبر الذى كُتِبَت به .

* * *

٤ ـ خيانة القضية الوطنية :

إن الذين يتهموننا هذه التهمة يحاكموننا إلى مواقف سياسية لغيرنا !! وهذا مبدأ مرفوض عندنا . فمثلاً : كل من يتهمنا فى هذا الموضوع ، يحاكمنا تاريخياً لمواقف حزب الوفد والحركة الشيوعية ، فإذا تحرك هؤلاء ، ولم نتحرك لحركتهم فإننا نكون قد خُنّا القضية الوطنية !! . ولكن حزب الوفد والحركة الشيوعية كل منهما تحركه عوامل .

فحزب الوفد فُرِضَ على الملك فرضاً من قِبَلِ بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية ، والحركة الشيوعية تُسالم بريطانيا ما دامت روسيا حليفة . ولذلك فأن نُحاكَم على الوطنية وغيرها من خلال مواقف الآخرين !!! فذلك ظلم ما بعده ظلم ، وهو ليس منطقاً سياسياً فى الأصل .

على أننا نقول : إن كل الزاعمين بأنهم وطنيون لم يُقدِّموا إلا الكلام ، وقدمنا نحن الكلام والدماء والأموال والألم .

إنه ليس إلا الجاهل أو الظالم هو الذى لا يعرف أننا نحن الذين قاتلنا فى القناة ، ونحن الذين امتُحنا كل المحن بسبب مواقفنا . على أن كثيرين لا يعلمون أننا مسلمون ملتزمون بالإسلام . وأن فى الإسلام محلاً للمناورة السياسية .

والخائن يُناوِر سياسياً ، والأمين يُناوِر سياسياً ، وضمير الأمة قادر على أن يُميِّز الخائن من الأمين ، ولو لم يتكلم اللسان . وإن تاريخاً طويلاً وتجربة كاملة تجعل قياداتنا محل الثقة . إننا لا نريد أن نناقش مواقفنا موقفاً موقفاً ، ولكنا مضطرون للقول : إن أعداءنا يكذبون علينا فى كل موقف :

بين يدىَّ مقال يزعم صاحبه أن حسن البنا ـ رحمه الله ـ طاف بالسيارة ليهدىء الناس من أجل وزارة إسماعيل صدقى ، وإن الإخوان كانوا يستعملون الآية القرآنية : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ، إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ [1] . تأييداً لصدقى . والمقال يستشهد فى بعض مقاطعه بكتاب ريتشارد ب . ميتشل عن الإخوان المسلمين ، فلننقل بعض ما قاله ريتشارد ب . ميتشل عن تلك المرحلة ، يقول :

« ولقد توتّرت هذه العلاقة أكثر فأكثر على أية حال عندما صرح صدقى فى شهر إبريل بأنه ينوى بدء المفاوضات مع البريطانيين ، ومنذ اللحظة الأولى كانت صحيفة الجماعة فى مقدمة الأصوات المرتفعة بالمطالب الوطنية . وأمرَ الإخوان مثلما حدث مع الجماعات الأخرى فى البلاد : بالخروج إلى الشوارع بصفة دورية لتذكير صدقى بتعهداته للأمة » .

« ... ووُضِعَ المصلون فى الجوامع تحت المراقبة . وفى سبتمبر لم يعد مسموحاً للجوّالة بحرية الحركة ، وخلال ذلك الشهر نفسه وبعد الاستنكارات المستمرة لاضطهاد صدقى للجماعة حذّره البنا بقوله : « إن ما جمعه الله لا يستطيع العبد أن يُفرِّقه ... » .

« وبعد ثلاثة أشهر من المفاوضات غير المجدية (أى بين صدقى والبريطانيين) ذهب صدقى إلى لندن فى السابع عشر من أكتوبر وقد أرسل البنا خطاباً إلى الملك وإلى صدقى منادياً بدعوة الأمة إلى الجهاد ، وبمقاطعة الإنكليز اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً . وفى رسالة إلى شعب وادى النيل أعلن محذراً : « إن حكومة صدقى باشا فى إصرارها على إجراء المفاوضات لا تُمثِّل

---

(1) مريم : 54

إرادة الأمة ، وأى معاهدة أو تحالف تتوصل إليه مع بريطانيا قبل أن يتم جلاء قواتها هو إجراء باطل ولن يُلْزِم الأمة » وفى اليوم السابق على رحيل صدقى إلى إنكلترا أكد الإخوان هذا التحذير بدعوتهم إلى مظاهرات ضخمة فى جميع أنحاء البلاد » .

« وعاد صدقى إلى القاهرة فى الخامس والعشرين من أكتوبر بالخطوط الرئيسية لمشروع « معاهدة صدقى بيفن » ليواجه ما وُصِفَ بأنه انهيار لانتصاره الخاص ، والذى جاء نتيجة لعدم ارتياح كل من الحزبين (أى الإخوان والوفد) لشروط المعاهدة ..

« وكان هذا اليوم (يوم الحرائق للكتب الإنكليزية) متوقعاً منذ ما يزيد عن شهر فى حملة الإخوان من أجل مقاطعة ثقافية للإنكليز ، والتى أعلنت رسمياً فى ٢١ أكتوبر ... واعتُقل العديد من الوفديين والشيوعيين والاشتراكيين والإخوان المسلمين » .

« وبحلول الثامن من ديسمبر كان الانقضاض قد حقق هدفه فبعد أن فشل صدقى فى بيع المعاهدة لمصر قدّم استقالته » .

هذا نموذج من كلام خصوم الإخوان المسلمين عن تلك المرحلة . ومنه نعلم أن الافتراءات على مواقف الإخوان المسلمين كثيرة ، فالذى لا يعرف دقائق التاريخ يقع فى أحابيل هؤلاء المبطلين . لقد كنا نظن أن تبين خيانة أعداء الإخوان المسلمين كافٍ ليعرف الناس نزاهتهم مما اتهمهم به هؤلاء الخونة ، ولكن تبين لنا أن الرقعاء فى هذا العالم والصفيقين لا يزالون كثيرين ، وهؤلاء لا يستحيون ، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت .

إن القضية الوطنية قضيتنا ، فمن اتهمنا بها فإنما يتهم السحاب بما هو خلاف طبيعته .

* * *

٥ ـ التعامل مع جهات أجنبية :

نحن حركة عمرها الآن خمسون سنة ، وهى أقدر الحركات على استيعاب الجماهير وإقناعها والتأثر فيها ، ولقد استطاعت أن تستقطب ما لم يستقطبه

غيرها . أعمالتها هى التى حالت بينها وبين الوصول إلى الحكم أو عمالة خصومها ؟ !! أعمالتها أو عجز الآخرين عن شرائها ؟ !! أعمالتها أم تخوف الآخرين منها ؟ !! إنها لتهمة عجيبة !!!

لقد تراوحت منطقتنا بين شرق وغرب ، وتراوحت أقطار فيها بين شرق وغرب ، وزاوجت شخصيات حاكمة بين جهة وأخرى ، وخلال ذلك كله لم نحصد إلا المحن . أفهذا دليل على العمالة أو دليل على محاربتها ومحاربة أهلها ؟ !! لو كنا عملاء لجهة لسهل علينا أن نربح عندما يكون لهذه الجهة نفوذ . فإذا لم نجد إلا الاضطهاد فى كل الظروف ، أليس فى ذلك وحده دليل للعميان أن يبصروا ؟ !!!

ترى لماذا يبيع العميل نفسه ؟ أوليس من أجل الربح ؟ فها نحن لم نجن فى الظاهر إلا الخسارة الدنيوية .

إننا لولا أننا طلاب آخرة ونعتبر العمل للإسلام مفروضاً علينا ما استطعنا أن نستمر أمام هذه الحرب الماكرة التى خضناها ولا زلنا نخوضها .

وإذا كنا عملاء فلأى جهة ؟ !!!

ألِلإنكليز وقد حاربناهم .. بل نحن الذين أخرجناهم ؟ !!

ألِلأمريكان وهم سبب مأساتنا المباشر سنة ١٩٥٤ والمخططين لها ؟ !!

أللروس ؟ !!

ما أظن أن عاقلاً يتهمنا بمثل ذلك .

إن الكُتّاب والمشوشين يستغلون أحداثاً معروفة فيعطونها مضامين عجيبة ، مثلاً يستغلون حادثة ذكرها الأستاذ البنا فى مذكراته يوم تبرعت شركة قناة السويس لبناء مسجد يقول الأستاذ البنا تعليقاً على هذه الحادثة :

« وثارت ثائرة المُغرضين حين علموا هذا النبأ ، وانطلقت الإشاعات تملأ الجو « الإخوان المسلمون يبنون المسجد بمال الخواجات » وآزرتها الفتاوى الباطلة ممن يعلم وممن لا يعلم : كيف تصح الصلاة فى هذا المسجد وهو سيُبنى بهذا المال ؟

وأخذنا نُقنع الجمهور بأن هذا خرافة ، فهذا مالنا لا مال الخواجات ، والقناة قناتنا ، والبحر بحرنا ، والأرض أرضنا ، وهؤلاء غاصبون .. » .

والحادثة الثانية التى يستغلونها أنهم ينسبون للسكرى - الذى فُصِلَ من الجماعة - أنه طلب من الإنكليز معونة ، فلا المعونة ولا الطلب - إن كان - يمثل رأى الإخوان المسلمين ، لأن من الأسس الرئيسية فى منهج الإخوان : ألا تقبل معونة لصندوق الجماعة من أى جهة حكومية فضلاً عن حكومة أجنبية .

والصحيح فى هذه الحادثة أن الإنكليز توهموا أن الأستاذ البنا قد لان ، فحاولوا معه محاولة ، فتبين لهم أن الأمر ليس كذلك .

يقول ريتشارد ب . ميتشل :

« ويعلق « هيورث دون » الذى يذكر الإخوان أنه شارك فى تمثيل السفارة البريطانية فى الاتصال بالجماعة ، بأن البنا صرَّح عن طريق المصريين الذين كانوا على اتصال بالجانب البريطانى بأن من الممكن أن يُبدى استعداداً للتعاون ، وربما يكون مستعداً لقبول نوع من الدعم المالى ، وهو ما جعل الناس يتصوَّرون أنه قد تعلَّم من دروس المعتقل إلا أنه ليس هناك ما هو أبعد عن الحقيقة من هذا ، ولم تكن لديه أية نية فى تلقى أموال الكفرة » . هذه رواية الإنكليز أنفسهم عن هذه الحادثة .

ومن تتمة كلام هيورث : « وكان الإخوان قد أتهموا بالدعاية المضادة لبريطانيا لفترة ١٢ عاماً ، لذا كان من المستحيل عملياً أن يُطلب منهم العمل فى صالح البريطانيين » .

هذه رواية الإنكليز أنفسهم لهذه الحادثة ، وعلى هذه الرواية يبنى بعض الناس كلامهم ورواياتهم ، فمع أن الرواية تُبرىء الإخوان ، فالمشوِّشون دون أن يسمعوا رواية الإخوان يتهمون ويكذبون .

يقول ريتشاد ب . ميتشل معلقاً على موضوع الاتصال هذا :

« وحتى إن البنا كتب رسالة وداع لأتباعه فى منتصف عام ١٩٤٣ نتيجة لاقتناعه بأن المخابرات البريطانية تعمل جاهدة لتنفيه » .

والحادثة الثالثة التى تُذكر عادة فى معرض التهم ، أن الإخوان المسلمين وهم يدخلون صراعاً مسلحاً مع بريطانيا فى القناة سنة ١٩٥٣ . قد طلب إليهم مستشار السفارة الإنكليزية لشؤون الشرق الأوسط فى مصر مقابلة الأستاذ الهضيبى ـ رحمه الله ـ . فأعلمت حكومة مصر بذلك ووافقت ، وأكد الهضيبى فى المقابلة الموقف التقليدى للجماعة : من أنه لا مفاوضات قبل الجلاء ، وقدّم الإخوان تقريراً إلى مجلس الثورة ، إلى وزير الداخلية ، وإلى وزير الخارجية بذلك .

يقول ريتشارد ب . ميتشل :

« لقد ساد الشعور أيضاً أن أحد الأهداف التى توخّاها البريطانيون فى سعيهم لعقد الاجتماع : أن يسبروا غور موقف الجماعة من القيادة العسكرية ، وأن الإخوان قد ردوا على هذه المناورة رداً حاسماً » .

* * *

هذه حوادث التى تُبيّن كلها نضج الإخوان ونزاهة سيرهم ، تُعرض على أنها وأنها .. مما تلوكه ألسنة المفترين . وقد نقلنا فى الحادثتين الأخيرتين رواية كاتب أمريكى يحاول أن تكون دراسته موثّقة كدراسة أكاديمية ، وهو على كل حال ليس متهماً بالتحيز للإخوان ، بل الإخوان يأخذون على كتابه مآخذ . ومع ذلك فقد نقلنا من هذا الكتاب ليعرف المنصف أين محل هذه التهم .

لكنّا بهذه المناسبة نقول :

إن الإخوان المسلمين يريدون نقل العمل السياسى إلى آفاقه المتقدمة . فالعقلية الغوغائية ، والأحكام العاطفية ، والاندفاعات غير المتزنة ، كل ذلك لا محل له عندهم فى العمل السياسى .

إنهم يريدون نقل العمل السياسى فى الأرض الإسلامية ، من معادلته الحالية : مبادئ بمصالح ، إلى مصالح بمصالح . فليس من خطتهم أن يقطعوا الأمة الإسلامية عن التعامل مع العالم ، بل خطتهم أن يجعلوا التعامل بين

العالم وبين الأمة الإسلامية على أساس عادل ، فهم إذا تحركوا فى هذا السبيل فلا غبار على هذه الحركة .

ونحب أن نقول :

إن الإخوان المسلمين هم أكثر الناس حذراً فى التعامل السياسى ، وهم فى أى تحرك من تحركاتهم لا يتحركون إلا عن دراسة وشورى وحركة مشتركة . ولذلك فإن أحداً لا يستطيع خداعهم ، ولا يستطيع أن يبيعهم أو يشتريهم بإذن الله .

* * *

إننا نعلم أن أمامنا آماداً طويلة حتى يفهمنا العالم ، وحتى تعرفنا شعوبنا حق المعرفة . ونحن من عادتنا ألا نستعجل الشىء قبل أوانه . وإننا لواثقون أننا نحن المستقبل لشعوبنا وللإنسانية كلها . فمن استطاع أن يفهمنا الآن فإن المصلحة مصلحته ، وإلا فإنه سيكون من النادمين . ولسنا طُلَّاب دنيا حتى نندم على ما يفوتنا بل نحن طُلَّاب آخرة ، ولذلك فسنربح الدنيا والآخرة - بإذن الله - تلك سُنَّةُ الله . فمن حاربنا فإنما هو فى صراع مع السُّنَّة الإلهية وهو مغلوب بإذن الله .

* * *

٦ - تأييد الحكومات المنحرفة واللّين معها :

هذه التهمة إن كان المراد منها أننا نعطى ولاءنا لحكومة لا تلتزم بالإسلام كله ، فهذا لا يقوله عاقل . أو كان المراد به أننا نعطى ولاءنا لموقف منحرف عن الإسلام ، فهذا ادعاء باطل . ونتحدى أى إنسان أن يأتى بمثال واحد على ذلك . أما إذا كانت هذه التهمة تعنى أننا نخاطب أحياناً الحُكَّام بلين فهذا ما لا نتبرأ منه ، لأن الله - عز وجل - قال لموسى وهارون فى شأن فرعون :

﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [١] .

---

(١) طه : ٤٤

أما اذا كانت هذه التهمة تعنى أننا نوازن ونقارن ونعتمد قاعدة « أهون الشرين وأخف الضررين » فهذا ما لا ننكره من أنفسنا ، لأن هذا موقف إسلامى ولا غبار عليه . أما إذا كانت هذه التهمة تعنى أن مواقفنا تتراوح بين حد أعلى وحد أدنى ، من الكلمة الناهية إلى الصمت ، فهذا كله لا يُضيرنا ، لأن رسولنا - عليه الصلاة والسلام - يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » . فاستطاعتنا تحدد موقفنا ، والمهم أن تكون مواقفنا إسلامية .

إننا نسير في العمل الإسلامى ملاحظين أن فى الشريعة رُخصة وعزيمة ، وأحكاماً عادية وأحكاماً استثنائية ، وحالات اختيارية وحالات اضطرارية ، ومَن حاكمنا لغير الله ، ومَن طالبنا بغير الشورى فإنه ظالم لنا ، وهو فى الوقت نفسه إما جاهل أو حالم ، لأن غير هذا السير لم يسع أصحاب رسول الله ﷺ . ولذلك فإن ما اعتمدناه فى سيرنا لا يسعنا غيره ، والذين يرون غير ذلك عليهم أن يدخلوا المعركة نفسها لا أن يفروا منها ، ثم يحاولوا أن يواجهوها بالأقوال ، ويقدموا لها مجرد الأحلام ، ويسبوا الذين يعيشون فى رباط وهم فى الأمن والجاه والمال والراحة يغرقون ويرفلون !!! .

* * *

٧ - التعاقدات الخاطئة :

إن القاعدة التى نسير عليها فى سياستنا اليومية : هى أننا نرغب أن نعقد ميثاقاً وطنياً مع غير المسلمين فى أوطاننا ، أو على الأقل نتمنى أن يفهمونا وأن نفهمهم ، وأن يعرفوا ماذا سنقدم لهم إذا وصلنا إلى الحكم وماذا نريد منهم ، كما نحب منهم أن يعرفونا على ما يريدون منا ، وسنكون معهم صرحاء جداً ومرنين جداً فنحن مأمورون أن نعطى من لا يعلن الحرب علينا من غير المسلمين العدل والبر ، قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ

فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١) .

هذه هى القاعدة التى تحكم علاقتنا مع غير المسلمين فى أوطاننا . أما القاعدة الأخرى التى تحكم علاقتنا اليومية فهى ما تضمنته الفقرة التى رأيناها من كلام الأستاذ البنا - رحمه الله - تحت عنوان « موقف الإخوان المسلمين من غيرهم » . وبشكل عام : فإن أى مسلم يعمل لإقامة الإسلام يمكن أن تضمنا وإياه جبهة واحدة . وكل كتلة تعارض أن يكون دين الدولة الإسلام يستحيل أن نضع يدنا بيدها ، ولكن يمكن أن تتشابه مواقفنا مع مواقفها . فمَن ظن أن تشابه المواقف بل مَن ظن أن المواقف الواحدة تعنى تعاقداً فقد أخطأ . ومَن ظن أن موقفنا فى إنصاف غيرنا يعنى تعاقداً معه فقد أخطأ . ومَن ظن أن تأييد غيرنا لنا فى موقف يعنى تعاقداً فقد أخطأ . ومَن ظن أن انسجام مصلحة جهة - ما - مع وجودنا يعنى تعاقداً معنا فقد أخطأ .

إن كثيرين لا يفهموننا ومن ثَمَّ يتهموننا !!!

* * *

على أن هناك دراسات عند بعض التنظيمات الإخوانية حاولت أن تُبيِّن الأحكام الشرعية التى تحكم التعاقدات بين الجماعة الإسلامية وغيرها ، ولكن هذه الدراسات ليست قيد الاعتماد فى سير الحركة الإسلامية ، فهى لا زالت وجهة نظر محلية . وهناك نظريات فى شأن التعاقدات السياسية لا زالت ذات صبغة محلية ، وما لم تُتخذ قرارات من الأجهزة العليا للجماعة فإن الشىء الرسمى هو ما حدده الأستاذ البنا ، وهو الذى عليه السير العملى . ومع وجود آراء قيد الدرس حول هذه الشؤون متى يجوز الحلف مع الغير ؟ ومتى لا يجوز ؟ . متى تجوز الهدنة مع نظام أو مع جهة ؟ ومتى لا تجوز ؟ إنه مع وجود مثل هذه الدراسات إلا أن السير العملى حَكَمته ولا تزال تحكمه آراء الأستاذ البنا

(١) الممتحنة : ٨

واجتهاداته ، وقد اضطررنا وقد نضطر إلى الصمت في أحوال كثيرة ، والقاعدة الشرعية : « أنه لا يُنسب لساكت قول ما لم تكن حاجة إلى بيان ، وكان المطالب بالبيان مستطيعاً له » .

* * *

ونرجو ألا يعتبر أحد اضطرارنا للصمت ـ فى بعض الأحوال ـ نوعاً من التعاقد الخاطئ . على أن أى جهة تتهمنا بالتعاقد الخاطئ عليها أن تقدم الدليل ، وأن تثبت من الإسلام ـ وهو الشيء الوحيد الذى يحكم تصرفاتنا ـ أن موقفنا كان خاطئاً .

* * *

٨ ـ العُقم الفكرى :

إن بعضهم طرح فكرة أن الإخوان المسلمين لم يقدموا من الناحية الفكرية شيئاً !!! وهذا كلام عجيب . فالحركة التى لم تترك شاردة ولا واردة فى الحياة البشرية إلا وحاولت أن تتكلم فيها ، والتى تعتبر كل كتابة إسلامية صحيحة هى منها وإليها ، والتى ترث الثقافة الإسلامية خلال العصور وتحاول إحياءها ، والتى قدمت للكتاب والسُنّة الكثير . الحركة التى بعض إنتاجها : فكر الأستاذ البنا ، وفكر الهضيبى ، وفكر سيد قطب ، وفكر محمد قطب ، وفكر مصطفى السباعى ، وفكر فتحى يكن ، وغيرهم ممن يصعب إحصاؤهم ، والتى من مجلاتها « الشهاب » الأولى والثانية والثالثة ، و« الدعوة » فى صدورها الأول والثانى . والتى أصبحت كتب أبنائها تشكل مكتبة ضخمة ، هذه الجماعة تُتهم بالعُقم الفكرى !!! هذا مع أن الجماعة تعتبر ما يطرحه الأستاذ المودودى أو الأستاذ الندوى جزءاً من فكرها ، هذا مع براءتها مما يثبت خطؤه إسلامياً .. كائناً مَن كان صاحبه ـ . إن حركة هذا شأنها كيف يصح أن يتهمها أحد بالعُقم الفكرى .

* * *

٩ ـ العجز السياسى :

عندما يواجه أصحاب المبادئ أوضاعاً أكبر منهم ، فهم بين أمرين : إما أن يتنازلوا عن مبادئهم ، وإما أن يتحملوا . ولقد قرر الإخوان المسلمون أن يتحملوا ، فإذا سمى بعضهم هذا عجزاً فهم المخطئ . إننا مُكَلَّفون تكليفاً ربانياً أن نحمل أمانة الإسلام إلى أنفسنا ، وإلى شعوبنا ، وإلى العالم . ولقد قررت القُوى الكبرى ألا تعطينا فرصاً ، بل قررت أن تقضى علينا ، وقد أصبحت وثائق ذلك معروفة معلنة .

* * *

ونحن أمام هذه القُوَى بين أمرين : إما أن نتخلى عن خطتنا - وهذا شىء لسنا أمام خيار فيه ، لأنه تكليف رب العالمين - وإما أن نتحمل ضرباتها لنا بأيدى الذين أسماؤهم إسلامية . وقد رضينا الثانية .

فالأمر إذن لا كما يريد الآخرون أن يُصوِّروه : من أن الموقف السياسى اقتضى منا كذا ولم نفعل . بل الأمر أن خصمك قد قرر أن ينهيك وهو أقوى منك ، فالحوار معه قد يفيد فى تأخير لحظة الموت ، ولكن فى صورة ما نحن فيه فحتى الحوار لا يفيد . إن هناك حُكّاماً حاربونا واضطهدونا لأنهم يعرفون أن ذلك هو طريقهم للبقاء والمجد ، وطريقهم لإقناع العالم أنهم ... وأنهم ...

فإذ يكون الأمر كذلك ، فليس أمامك إلا الصبر والتوكل على الله والتسليم له وانتظار فرجه : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [1] . هذه هى الصورة بمجملها فيما مضى .

* * *

أما فى الحاضر والمستقبل : فإننا لم نُغيِّر ولن نُغيِّر خطتنا فى حمل هذا الإسلام كاملاً - بإذن الله - ولا نَدَّعى أننا أعددنا لكل شىء عُدته ، ولا نستطيع ذلك .

---

(١) التوبة : ٣٢

(١٨ - المدخل)

ولكننا نرجو أن يكون الجميع قد أخذوا درساً : وهو أن اضطهادنا يُعمّق خطنا ، وأن ضربنا يُوسّع انتشار دعوتنا ، وأن عليهم ان يعطوا هذا الخط حرية .

والمفروض أن لا تخاف أي جهة على مصالحها العادلة من هذا الخط ، لأن هذا الخط سيتعامل مع العالم كله بمنتهى التعقل ، فليس الأمر أن نضرب مصالح هؤلاء أو هؤلاء ، بل الأمرعندنا هو أن يُعطى الإسلام حرية على أرضه ، وأن يُعطى فرصاً متكافئة مع غيره ، وأن تكون العلاقات الدولية بين أهله وبين العالم قائمة على أساس مصلحي لكل الأطراف .

وإن قوّتنا وضعفنا وقوّة الآخرين وضعفهم هي التي ستتحكم في كثير من المواقف ، والآخرون يملكون من القُوَى ما لا يخشون غيرهم معها .

إنهم من الآن يخشون أن نكون قوّة كبرى في هذا العالم ، ويخشون من إعلاننا الجهاد عليهم . ولكن أليست أمريكا تخشى روسيا ، وروسيا تخشى أمريكا ؟ أوَ ليست الصين تخشى روسيا ، وروسيا تخشى الصين ؟ ومع ذلك يعطى كل للآخر فرصة الوجود بحكم أشياء كثيرة .

فلماذا يضنون على الإسلام بفرصة الوجود ؟ !!

لا شك أن على المسلمين أن ينتزعوا من العالم فرصة الوجود الدولي من خلال جهدهم وعَرَقهم ، دون أن ينتظروها من الآخرين ، فليعتمدوا على ربهم وليعملوا .

* * *

هذا موقف مبدأي وسياسي ، وليس هذا الموقف عجزاً بل هو القوة عينها ، فمن اتهمنا بالعجز السياسي فالخلاف بيننا وبينه في الإصلاح واضح ، فما ظنه عجزاً نعتبره قوة .

* * *

١٠ ـ الأخلاقيات المنحرفة :

نحن لسنا إلا بَشراً ولا نُدَّعى العصمة . وأفرادنا يمكن أن يخطئوا وأن يعصوا الله . هذا كله ممكن ولكن الإمكان شيء والوقوع شيء آخر .

فى قواعدنا التنظيمية لا يمكن أن نُعطى إنساناً صفة عضو نصير إذا كان منحرفاً أخلاقياً أو سلوكياً . وفى مناهجنا التربوية نحن نُرَبّى على أخلاقية هى الأرقى فى هذا العالم ـ بفضل الله ـ ، ومن ثمّ فإن صفنا هو أنظف صف فى العالم من الناحية الأخلاقية . ونحن نفترض أن ينحرف الفرد منا بسبب ضعف أمام نزوة أو شهوة أو إغراء ، والصف فى هذا الحالة يقوم ، والقيادة تعاقب ، والمحكمة تحكم ، كل ذلك موجود ولكن الصف لا يشك والمحكمة لا تحكم والقيادة لا تعاقب على مجرد التهمة . وهذا منطق العاقلين والعادلين فى كل العالم .

* * *

ولقد رأينا وسمعنا وجربنا وعرفنا أن سلاح التهم والإشاعات ضدنا وضد أشخاصنا يستعمله أعداؤنا ليل نهار ، وقد شغلنا هذا كثيراً لحرصنا على سلامة صفنا ونقائه ، ولكنا رأينا أنه كان يُتهم بعض قادتنا بأنهم رُؤوا وأزواجهم فى المسابح عُراة ، وهم لم يكونوا متزوجين . وأن بنات بعضهم يخرجن سافرات ، وهم ليس لهم بنات . وأن بنت فلان فى الجامعة تخرج متبرجة ، ولم تكن له بنت فى الجامعة . وأن فلاناً كذا .. وبعد التحقيق نتبين براءته .

* * *

إننا أشد على الانحراف من أى جهة فى العالم ، سواء أكان انحرافاً داخلياً أو خارجياً ، وحسبنا أننا وضعنا كل الأسس التى لا يوجد معها انحراف ، وإذا وُجِدَ فكيف يُطوّق ، وإذا استطاع أى إنسان أن يُثبت بالأدلة الشرعية انحراف واحد منا فسيرى ما نفعل به . وههنا نحب أن نذكر شيئاً :

إن كثيراً ما يحدث أن يظن الناس أن فلاناً منا فيحاسبوننا عليه . وكثيراً ما يحدث أن يكون الصف أنهى وضع إنسان ثبت انحرافه والناس يبقون ..

يحاسبوننا على تصرفاته . ونحن فى كل حال لا ننسى أن الإسلام يطالب الناس أن يتوبوا إذا أخطأوا .

* * *

ونحن من خلال التربية والقاعدة التنظيمية والإحسان فى معالجة النفس البشرية نطمع أن يكون صفنا نظيفاً . لكن الاتهامات التى لا يقوم عليها دليل مرفوضة . وإذا حدث أن وقع واحد منا فى الخطأ . فالنكير قائم والعقاب صارم .

فهل من العدل بعد ذلك أن نُتهم بمثل هذه التهم ؟ !!

* * *

١١ - استغلال الدين :

لقد بدأ حسن البنا دعوته والإسلام فى إدبار . والطريق إلى المجد والفخار غير هذا فى مفاهيم الناس . ثم سارت دعوة الإخوان المسلمين وبقيت المسألة فى إطارها الكلى على هذه الشاكلة . حتى إننا لنرى أن كثيرين لم يصلوا إلى أعلى المناصب إلا بعد أن أثبتوا أنهم أكثر خلق الله كفراً وانحرافاً . إن المسألة لم تزل كذلك ولا تزال .

فالذين يريدون الدنيا من مال وجاه ، وغير ذلك ، طريقهم إلى هذا كله الكفر والانحراف وليس الإسلام .

فإن يزعم زاعم أن الإخوان المسلمين يريدون استغلال الدين ، فى الوقت الذى يكلفهم فيه حمل الإسلام التضحية بالمال والنفس والراحة والجاه والمنصب ، فذلك ظلم كبير .

ثم لنفرض أننا مُتَهمون فى نياتنا فى هذا الإسلام ، فليتفضل الذين يتهموننا وليحملوه بإخلاص .

* * *

إن الذين يتهموننا باستغلال الدين هم الذين يريدون أن يقضوا عليه ، ونحن نعمل لإبقائه ، وكفى بذلك دليلاً على ظلمهم .

ظلمهم فى حربهم للحق ، وظلمهم فى اتهام أهله !!!

وعلى كُلٍ : فإن مَن يتهمنا بإرادة استغلال الدين يستطيع أن يقطع الطريق علينا بحمل هذا الدين حق الحمل .

ونحن نثبت أننا مخلصون لهذا الدين بجنديتنا لمن يستطيع تطبيق هذا الدين . فليدخل أمثال هؤلاء معنا فى هذا الامتحان . ونسأل الله - إن تم - أن يساعدنا على النجاح فيه .

* * *

١٢ - إثارة الطائفية :

لا ندرى هل هذه التهمة موجهة للإسلام أو موجهة لنا ؟ !!! فإن كانت موجهة للإسلام فهذا دليل على أنهم لم يفهموا الإسلام ، وإن كانت موجهة للإخوان دون الإسلام فهذا اتهام للإخوان أنهم فى هذه القضية لا يطبقون الإسلام . وما أسهل إرجاع الأمور إلى نصابها فى هذا الشأن إن كان الكلام صحيحاً . ولكن الأمر ليس كذلك . فلنشرح بعض آرائنا فى هذه الشؤون .

خلال العصور تحدث فقهاء المسلمين عما اعتبروه أحكاماً إسلامية فى شأن غير المسلمين على الأرض الإسلامية ، وتراوح كلامهم بين متشدد ومتساهل ، فبينما منع بعضهم أهل الذمة أن يعملوا فى وظائف الدولة . فقد أجاز بعضهم أن يستلموا حتى وزارة التنفيذ . ونحن مبدئياً نأخذ على أنفسنا أن نتعامل مع غير المسلمين بأدنى ما ذكره الفقهاء ؛ وبناء عليه :

فإننا ندعو غير المسلمين فى كل قطر من أقطار الأمة الإسلامية إلى ميثاق عمل يعترفون فيه بأن السلطة للإسلام والمسلمين - فهذا هو عقدنا معهم منذ قرون - ثم بعد ذلك فلهم حقهم فى وزارات الدولة بنسبة عددهم ، ولهم حقهم

فى مجالسها النيابية بنسبة عددهم ، ولهم حقهم فى إنشاء مدارسهم الخاصة ، وهم يشتركون فى المدارس العامة ، ولهم حقهم فى محاكمهم أن تكون على مقتضى شرعهم ، مع حقهم فى الاحتكام إلى المحاكم العامة ، وحقهم فى الضمان الاجتماعى محفوظ ، وفى تصريف شؤونهم الدينية محفوظ .

أما الجِزية فهم بالخيار : بين أن يدفعوها ويُعفوا من الخدمة الإجبارية ، أو يشاركوا فى هذه الخدمة .

إن التعبير الذى استُعمل خلال العصور مع أهل الذمة - لهم ما لنا وعليهم ما علينا إن أدُّوا التزاماتهم معنا - هو الذى يحكم علاقاتنا مع كل مواطن غير مسلم على الأرض الإسلامية .

إن وجود غير المسلمين على أرض الإسلام بعد سنين طويلة من حكم الإسلام لدليل على أنه لا يوجد ما يشكون منه ، لأنهم لو كانوا غير مرتاحين خلال العصور ما استطاعوا الاستمرار . ونحن لا ندعو إلى تطبيق أشد فى حقهم بل إلى تطبيق أخف .

فهل يُقدِّم أى نظام لمخالفيه فى الرأى والاعتقاد أكثر من هذا ؟ !!

إن شعوب الأمة الإسلامية لن تتخلى عن الإسلام ، التاريخ شاهد ، والواقع شاهد ، وبالتالى فغير المسلمين بالخيار : أن يرحلوا ، أو يتعاقدوا مع المسلمين على صيغة عادلة . فإن أرادوا الثالثة - أى أن يتخلى المسلمون عن إسلامهم - فهذا لن يكون لهم ولا لغيرهم .

وإذا كنا نُعتبر طائفيين ومُثيرى نعرات طائفية لأننا ندعو إلى الإسلام ، فتلك تهمة لا نفر منها .

* * *

وعلى الجميع أن يعرفوا أن هذا الإسلام لا بد أن يحكم ، فليسارعوا من الآن للبحث عن صيغ للتعاقد مع المسلمين تُرضى كل الأطراف ، قبل أن يأتى اليوم

الذى يُفرض فيه هذا التعاقد من طرف واحد . وعلى كل حال لن يكون هذا الفرض إلا لصالح الجميع .

* * *

١٣ ـ التساهل فى التطبيق :

بينما يتهمنا غير المتدينين بالتشدد ، يتهمنا المتدينون المسلمون بالتساهل . ثم إن كثيراً من الاتجاهات الإسلامية التاريخية لا ترتاح لسيرنا لأننا لم نُحزم موقفنا معها : فغلاة السَلفية يريدون أن نكون مثلهم ، وغلاة الصوفية يريدون أن نتبنى كل أفكارهم ، والآخذون بالعزائم يريدون منا ألا يأخذ واحد منا برُخصة . ويكفى هنا أن نُبيّن وجهة نظرنا :

فى الشريعة الإسلامية حد أعلى يتمثل بأشد ما تحدث عنه الائمة المجتهدون ، وحد أدنى هو ألين ما تحدث عنه الائمة المجتهدون . فنحن نُربّى على الأشد ولا نفاصل على الأدنى ، وحيثما كان هناك رأى فقهى يتمشى مع الأصول الصحيحة فإننا لا ندخل فى صراع مع أهله ، ولا نتبنى فى سيرنا إلا ما كان أوضح دليلاً .

ونحن لا نرى أن نتبنى وجهة نظر فقهية قبل قيام الدولة . ومن ثمَّ فحيثما يتبنى أخ وجهة نظر فقهية فلا مأخذ عليه ما دام ملتزماً بالشورى . ونحن من حيث المبدأ نتبنى وجهات نظر أهل السُنّة والجماعة . ونتمنى أن يجمعنا مع الاتجاهات الإسلامية التى لا تنكر معلوماً من الدين بالضرورة نتمنى أن يجمعنا وإياها جامع .

وهناك قضايا الصمت فيها أحسن من الكلام ، فحيثما وسعنا الصمت نصمت لصالح وحدة المسلمين .

* * *

وقد حدَّد الأستاذ البنا فهمنا للإسلام فى إطار يتألف من عشرين بندأ نعتبرها من توفيقات الله للأستاذ .

إذ وضع بها الأساس الفكرى للقاء إسلامى ، يترتب عليه انطلاقة صحيحة .

إننا نعتبر هذه المعانى ضرورة من ضرورات العصر والمرحلة ، فإذا اعتبرها أحد من الناس تساهلاً أو خطأ ، فإنه يكون فى واد ومقتضيات المرحلة والعصر فى واد آخر .

* * *

١٤ - الخطأ فى السير :

هذه التهمة يوجهها لنا من لا يرى العمل السياسى الإسلامى ، أو يوجهها لنا من ينطلقون فى العمل السياسى الإسلامى غير انطلاقتنا . أما الأولون فقد كفانا مؤونة الرد عليهم كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ ثم واقع الحياة المعاصرة . فالله عز وجل يقول : ﴿ ادْخُلُواْ فِى السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [١] . أى فى الإسلام كله ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾ [٢] . أى بالقرآن . والقرآن فيه تبيان كل شىء ، فكيف نعتصم ببعضه ونترك بعضاً ؟ !! والسُنّة تقول فى شأن الخلوف : « فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » . وهؤلاء يكادون ينسون أن فى الأرض خلوفاً . ومَن قرأ هذه الرسالة وجد الرد عليهم واضحاً ، ومع ذلك فهؤلاء إن كانوا يعتبرون أن ما هم فيه تقتضيه طبيعة العمل ، دون أن ينكروا فرضية العمل السياسى الإسلامى ، فشأنهم إلى خير ، وإلا فعليهم أن يراجعوا أنفسهم . إن الله عز وجل يقول : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ [٣] . فكيف تُحقق هذه الفريضة بلا دولة ؟ !! وكيف تُوجد الدولة المسلمة بلا عمل يوصل إليها ؟ !!

* * *

---

(١) البقرة : ٢٠٨ (٢) آل عمران : ١٠٣ (٣) البقرة : ١٧٨

وأما الذين ينطلقون في العمل السياسي الإسلامي من غير منطلقاتنا فهؤلاء - فيما نعلم - ليست بداياتهم صحيحة ، ولا طريقهم توصل إلى نهايات . ويكفي أن تعلم أن الفارق الرئيسي بيننا وبينهم : أننا ننطلق من أساس فكري سليم يمكن أن يجتمع عليه المسلمين ، ومن أساس تربوي سليم يمكن أن يقبله كل المنصفين ، وأننا لا نقيد أنفسنا إلا بأن علينا واجباً هو أن نعمل في الطريق الإسلامي لتحقيق الأهداف ، فما كان يخدم في ذلك اعتمدناه دون نظر إلى أي شيء آخر . وغيرنا يتبنى ابتداءً ما لا يجتمع عليه المسلمون ، ويعجز عن أن يرسى على صيغة متكاملة ، ويقيد نفسه بنظريات في العمل يدعي أنها كاملة ، وهي لا تمثل إلا استقراءً مرحلياً مبتوراً عما قبله وعما بعده . ولذلك فإننا لا نعتبر تهمة الخطأ في السير شيئاً ذا بال إذا لم يحدد المتهم نوع الخطأ ، ويثبت أنه خطأ شرعي ، وذلك دونه أمور كثيرة .

* * *

١٥ - عدم التقدير الصحيح للموقف السياسي والعمل على ضوئه :

قد يكون الجواب على هذا قد مر أثناء الكلام عن تهمة العجز السياسي ، ولذلك فليس لنا أن نقول هنا : سوى أننا - بفضل الله - تمتلك أفضل طاقات ذهنية وعقلية في العالم الإسلامي ، ونحن جادون في أن يكمل كل منا ذاته ليكون رجل قمة في اختصاصه ، كما أننا جادون لاستكمال أجهزتنا بقدر المستطاع ، ونرجو أن يأتي اليوم الذي تكون فيه قراراتنا في كل شيء وتحليلاتنا لكل قضية هي الأصح والأقوم .

ولولا أن قومنا ظلمونا ولا يزالون يظلموننا ، لكنا الآن قادرون على أن نطوّر العالم الإسلامي بإمكاناتنا الفردية والشخصية فضلاً عن الجماعية ، ولكن لكل أجل كتاب ، وما كان خارجاً عن طاقتنا فليس الذنب فيه ذنبنا .

* * *

١٦ - الفاشستية :

درج الشيوعيون وأمثالهم على أن يصموا كل حركة مناوئة لهم بالفاشستية ، محاولين أن يستفيدوا من الرصيد الضخم للدعاية ضد الألمان والطليان فى الحرب العالمية الثانية ، متناسين أن شعوب منطقتنا لا تحمل للألمان هذا الضغن الذى يحمله الأوروبيون نتيجة للحرب العالمية الثانية . وأياً كان الأمر فإن الشيوعيين أدخلوا فى قائمة السباب السياسى كلمة الفاشيست ، واستعملوها ابتداءً فى مصر بحكم أن بريطانيا كانت مستعمرة لمصر ، وكان بريحها ما يتقوَّى به العداء للألمان . وعلى كل فنحن لا ندافع عن النازية ولا عن غيرها من هذه المذاهب السياسية ، بل نحن نريد أن نُقدِّم للعالم نموذجاً للحكم فريداً ترتاح به الإنسانية كلها ، ويرتاح به الأفراد بإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهَّار .

إننا نعمل لإقامة حكم مبناه الحق والعدل ، ولحمته الشورى ، وس ىداه الإحسان ، من خلال التربية والمؤسسات والتشريع واعتماد كل ما يؤدى إلى ذلك من خيرات البَشرية . ومع ذلك يتهمنا خصومنا بالفاشستية . الفاشستية فى مضمونها ديكتاتورية ، وحكم النُخبة ، وقومية متطرفة ، وروح عسكرية ظالمة ، ونحن نؤمن بالشورى ، ونؤمن بالاختصاص والكفاءة ، ونؤمن بوحدة الإنسانية ، وروحنا العسكرية رحمة خالصة .

لسنا فاشست ولسنا بلاشفة ، ولسنا رأسماليين .

نحن مسلمون ، والذى لم يعرف الإسلام لا يعرفنا ، وتلك مصيبة كل من يتهمنا ، ولكل الذين يتهموننا نقول : إن المستقبل للإسلام ، وإذ ربطنا مصيرنا بمصير هذا الإسلام ، وذلك من فضل الله علينا ، فنحن مستقبل البشرية غداً بإذن الله .

ولعله بهذا الباب ازداد وضوح الصورة عن الإخوان المسلمين . ولعله بعد كل ما مر تحرك عندك حب الانتساب لهذه الجماعة والعمل للإسلام تحت لوائها وهنا يقتضى منك أن تعرف ماهية الانتماء لجماعة الإخوان المسلمين واقتضى هنا منا أن نجعل الباب التاسع فى ذلك .

* * *

الباب التاسع

الانتمـاء

العاملون للإسلام كُثر بفضل الله ، وذلك طيِّبٌ ومبارك ، ولا يجوز لأحد يعمل للإسلام أن يضيق ذراعاً بذلك ، فذلك علامة على عدم الاخلاص ، وعلامة على عصبية من نوع ما . ولكن يجب أن نضيق ذراعاً عندما يحاول أحد العاملين أن يفصل من يستجيب له عن الولاء العام لكل المسلمين !! ، لأن ذلك منكر شرعاً . فالله عز وجل يقول : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (١) .

ويجب أن نضيق ذراعاً عندما تنطلق مجموعة فتجعل مبرر وجودها هو تجريح الإسلاميين الآخرين بغير الحق !! لأن ذلك يفسد الصف الإسلامي ويقلل الثقة فيه .

كما ينبغى أن نضيق ذرعاً إذا أصبح الانتساب إلى مجموعة ، يعنى منع الفرد فيها من المشاركة فى اقامة فريضة !! ذلك كله ينبغى أن نضيق ذرعاً فيه لأن ذلك لا يجوز فى شريعة الله عز وجل .

ومن نظر فى دعوة الأستاذ البنا وجد أنها تنظر إلى العمل الإسلامى والعاملين بآفاق واسعة ، فهى تحاول جمعهم ، ثم هى تؤيدهم فيما هم فيه من خير فتقويه ، وتمنع تجريحهم ، وتعطى لكل فرد من أفراد الدعوة حق أخذ الخير أنى وجده . وذلك كله رأينا مصداقه فى كلام الأستاذ نفسه ، فمَن لم يكن

---

(١) التوبة : ٧١

كذلك من الإخوان المسلمين فهو مخطئ ، ومن لم يكن كذلك من غير الإخوان المسلمين فهو مخطئ .

* * *

إن الإخوان المسلمين لا يمنعون مسلماً من أخذ الخير أنَّى وجده ، ولا يمنعون عاملاً للإسلام أن يعمل إذا لم يرتكب إثماً ، ولكنهم يطالبون كل المسلمين أن يكونوا صفاً واحداً لإقامة فرائض الله ، التي من جملتها أن تكون كلمة الله هي العُليا في أقطارهم ، ثم في العالم كله لتعم رحمة الإسلام هذا الكون .

ومن أجل الصف الواحد الذي يحقق الفرائض وهو في نفسه فريضة ، فهم يدعون المسلمين جميعاً إما إلى الانتماء إليهم ، وإما إلى إيجاد صيغة ـ ما ـ يلتقون عليها ، وهذا منتهى الإنصاف لمن عقل .

وهم في دعوة الناس إلى الانتماء إليهم إنما يدعونهم ليكونوا شركاء في العمل ، ليأخذ كل من الناس محله على ضوء العلم والخائص والالتزام والشورى ، وذلك كذلك منتهى الإنصاف .

* * *

وكما أنه إذا وُجدت ظواهر مَرضية عند العاملين للإسلام فعلى كل مسلم أن يحاول إصلاحها ، فكذلك إذا وَجدت ظواهر مَرضية في الإخوان المسلمين فإنهم يطالبون أنفسهم ويطالبون العاملين للإسلام أن يفعلوا شيئاً من أجل ذلك ، فليس وجود الظواهر المَرضية عذراً لأحد في ألا يشارك في إزالتها ، خاصة ودعوة الأستاذ البنا هي وحدها ـ فيما نعلم ـ تصلح لأن تكون الأساس لقيام جماعة المسلمين التي تُحقق أهداف الإسلام .

إنه إذا كان كل منا لا يعمل حتى يوجد الكمال ، فلن يُوجَد الكمال ؟ !!

إن على كثير من الناس أن يدركوا أن نقطة الانطلاق الصحيحة هي دعوة الأستاذ البنا ، وأنه لا يصح أن يبقوا على أحلام تأسيس عمل جديد !!! وأن

استفراغ الجهود لتقوية هذه الجماعة هو الطريق لتحقيق الأهداف ـ والله أعلم ـ . ونسأل الله أن يحقق .

* * *

إن الجماعة بعد سيرها الطويل وتحملها الكثير أصبحت تاريخياً هى وحدها صاحبة الحق فى الإمامة ، ولا نزكى على الله أحداً . قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ، وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1] .

ولهذا كله فإننا ندعو كل مسلم إلى الانتماء إليها ، فإن لم يكن فصيغة للتعاون ، فإن لم يكن فالمودّة والدعاء . وهذا أقل ما نُطالِب به كل مسلم .

وفى هذا الباب نحب أن نذكر ثلاث فقرات لها صلة بالانتماء .

الفقرة الأولى : حول درجات الانتماء والعضوية : وكنا تحدثنا عن هذا من قبل ، ولكننا أردنا هنا أن ننقل كلام الأستاذ البنا نفسه لتبقى الأصول محفوظة .

الفقرة الثانية : حول الشروط النفسية للانتماء .

الفقرة الثالثة : حول أطر الانتماء فى الأحوال العادية .

الفقرة الأولى ـ درجات الانتماء :

يذكر الأستاذ البنا فى مذكراته « مقررات المؤتمر الثالث » ومنها فقرة تحت عنوان « التكوين العملى للإخوان المسلمين » يقول :

١ ـ على المكاتب والهيئات الرئيسية لدوائر الإخوان المسلمين أن تعنى بتربية الإخوان تربية نفسية صالحة ، تتفق مع مبادئهم وتُميّز هذه المبادئ فى نفوسهم ، وتحقيقاً لهذه الغاية يكون الانضمام للإخوان على ثلاث درجات :

---

(١) السجدة : ٢٤

(أ) الانضمام العام : وهو من حق كل مسلم توافق على قبوله إدارة الدائرة ، ويعلن استعداده للصلاح ، ويوقع استمارة التعارف ، ويتعهد بتسديد الاشتراك المالى الذى يتطوّع به للجماعة « وللنائب حق إعفاء من يرى عذراً بالنسبة له من بعض الأعضاء » . ويسمى الأخ فى هذه الدرجة أخاً مساعداً .

(ب) الانضمام الأخوى : وهو من حق كل مسلم توافق على قبوله إدارة الدائرة السابقة . وواجباته ـ فضلاً عن الواجبات السابقة ـ : حفظ العقيدة ، والتعهد بالتزام الطاعات ، والكف عن المُحرّمات ، وحضور الاجتماعات الأسبوعية والسنوية وغيرها متى دُعِىَ إليها . ويسمى الأخ فى هذه المرتبة أخاً منتسباً .

(جـ) الانضمام العملى : وهو من حق كل مسلم توافق إدارة الدائرة على قبوله . وتكون واجبات الأخ فيه ـ فضلاً عن الواجبات السابقة ـ : إحضار صورته الشخصية وإعطاء البيانات الكافية التى تُطلب منه عن شخصه ، ودراسة شرح عقيدة الإخوان المسلمين ، والتعهد بالورد القرآنى ، وحضور مجالس القرآن الأسبوعية والدائرة ، والاشتراك فى صندوق الحج ، والاشتراك فى لجنة الزكاة متى كان مالكاً للنصاب ، والانضمام إلى فرق الرحلات ما دامت سنه تسمح بذلك ، والتزام التحدث باللُّغة العربية الفصحى بقدر المستطاع ، والزام المنزل مبادئ الإخوان المسلمين ، والعمل على تثقيف نفسه فى الشئون الاجتماعية العامة ، والاجتهاد فى حفظ أربعين حديثاً نبوياً ، وقبول مناصفات الإخوان التأديبية . ويسمى الأخ فى هذه الدرجة من درجات الانضمام أخاً عاملاً .

(د) وهناك درجة رابعة من درجات الانضمام وهى درجة الانضمام الجهادى : وهى ليست عامة بل هى من حق الأخ العامل ، الذى يثبت لمكتب الارشاد محافظته على واجباته السابقة ـ وفحص الأخ هنا من حق المكتب ـ وواجبات الأخ فى هذه المرتبة ـ فضلاً عما سبق ـ : تحرى السُنّة المطهرة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً فى الأقوال والأفعال والأحوال . ومن ذلك : قيام اللّيل ، وأداء الجماعة إلا لعذر قاهر ، والزهادة والعزوف عن مظاهر المتع

الفانية ، والبعد عن كل ما هو غير إسلامى : فى العبادات وفى المعاملات وفى شأنه كله ، والاشتراك المالى فى مكتب الارشاد وصندوق الدعوة ، والوصية بجزء من تركته لجماعة الإخوان ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما دام أهلاً لذلك ، وتلبية دعوة المكتب متى وُجِهَت إليه فى أى وقت وفى أى مكان ، وحمل المصحف ليُذكّره بواجبه نحو القرآن الكريم ، والاستعداد لقضاء مدة التربية الخاصة بمكتب الارشاد . ويسمى الأخ فى هذه المرتبة أخاً مجاهداً .

٢ ـ لمكتب الإرشاد الحق فى منح ألقاب شرفية منها : نقيب أو نائب فى كل من درجتى الانضمام الثالثة والرابعة .

وكنا ذكرنا أنه قد رؤى فى بعض الأقطار تطوير هذه المعانى على الشكل التالى :

(أ) أن تُختصر درجتا الانضمام العام والأخوى فتصبح درجة واحدة هى درجة العضوية الأولى : النصير ، أو المؤازر ، أو المساعِد ، أو المنتسِب .

(ب) أن تُختصر درجتا الانضمام العملى العام والمجاهد فتكون درجة واحدة : عامل ، أو مجاهد ، أو مُنَفِّذ .

(جـ) يُختار الأعضاء النقباء والنواب من الإخوان المُنَفِّذين ضمن شروط معينة ، وتكون لهم دراسات خاصة بهم ، وتوضع شروط لإعطائهم هذا النوع من العضوية . والذى دعا لهذا التعديل الظروف الصعبة التى تمر بها الجماعة ، والتطور الكبير الذى طرأ على تركيبها ، وتغير الأوضاع ، وتوعية الثقافة التى تقتضيها المستجدات . كما رؤى أن شروط العضوية ينبغى أن يُلاحَظ فيها ظروف المرحلة الجديدة ـ والعبرة للجوهر ـ وأن يكون التغيير على ضوء تجربة اقتضت ذلك ، وبالشورى من أهلها .

الفقرة الثانية ـ الشروط النفسية للانتماء :

١ ـ صلاح الفرد للعمل الجماعى :

روى أبو داوود والترمذى عن أبى ثعلبة الخشنى : أنه سأل النبى ﷺ عن

هذه الآية : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [1] . فقال : « ائتمروا بالمعروف ، وانتهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك ودع عنك العوام ، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم » . قيل : يا رسول الله : أجر خمسين منا أو منهم ؟ . قال : « بل أجر خمسين منكم » .

وروى البخارى عن ابن عمرو : شبك النبى ﷺ أصابعه وقال : « كيف أنت يا عبد الله بن عمرو إذا بقيتَ فى حثالة قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصاروا هكذا » ؟ . قال : فكيف يا رسول الله ؟ ! . قال : « تأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر وتقبل على خاصتك وتدعهم وعوامهم » .

كم حضَّنا رسول الله ﷺ على الألفة والمودّة والجماعة والخُلطة الصالحة ، ومع ذلك فإنه يحضُّنا هنا بالتزام أنفسنا واعتزل العامة ، وذلك انه متى أصبحت الأمور كما وصف - صلى الله عليه وسلم - تعذر الإصلاح . إن هناك أخلاقاً متى وُجِدَت تعذَّر العمل الجماعى المشترك مع أصحابها . والجماعة الإسلامية ما لم يتطهر أفرادها من هذه الأخلاق فإنها لا تكون جماعة لأنه يتعذر السير المشترك ، ومن ملاحظة النصين السابقين نجد أن من هذه الأخلاق :

(أ) الشُّح المطاع : فمن لم يكن كريماً منفقاً فى الله ولله لا يصلح للعمل الجماعى .

(ب) الهوى المتبع : فما لم يكن الإنسان قادراً على مخالفة نفسه بالحق ، قادراً على جعل الهوى خاضعاً للحق ، متبعاً للكتاب والسُّنَّة ، لا يصلح للعمل الجماعى .

(جـ) الدنيا المؤثرة : إنه ما لم تكن الآخرة أحب إلى المسلم من دنياه ، وما لم يكن يؤثر أعمال الآخرة على أعمال الدنيا ، فإنه كذلك لا يصلح للعمل الجماعى .

---

(1) المائدة : ١٠٥

(د) الإعجاب بالرأى : فما لم يكن الإنسان يرى أن سداد رأى الاثنين أكثر من سداد رأى الواحد ، وسداد رأى الثلاثة أكثر من سداد رأى الاثنين ، وما لم يكن الإنسان يرى أن رأى الجماعة أكثر سداداً من رأيه ، وأن رأى الأمير مبارك . وما لم ير الأمير أن البركة فى الشورى ، وأن اتجاه قلوب إخوانه إلى شىء دليل على أن المسألة تحتاج إلى نظر ما لم يكن فيها نص . إنه ما لم تكن الأمور كذلك يتعذر العمل الجماعى .

(هـ) عدم حفظ العهود والأمانات : إن التزام المسلم بعهده الحق يساعد على وجود صف ملتزم صالح . أما إذا كان الإنسان يُعاهد ويُخلف فمن أين يُوجد صف سليم ؟ !! . كما أن عدم التفريط فى الأمانات يساعد على الثقة . أما إذا كان الإنسان لا يؤتمن على أمانة من سر وغيره فكيف يمكن أن تقوم جماعة ؟ !!

هذه خمسة شروط لا بد من توافرها ليصلح الإنسان أن يكون داخل جماعة إسلامية ويشارك فى عملها .

٢ - التطهر من الحسد :

قال تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾(١)

الحسد لا يمكن أن يصلح معه عمل مشترك . فإذا تحاسد الناس افترقوا ، فلا بد أن يتطهر كل فرد من أفراد الجماعة من الحسد إذا ما أريد لهذه الجماعة أن تبقى كتلة واحدة . فإنه إذا كان كل فرد فى الجماعة يحسد أخاه - إن كان لأخيه ميزة - ويكيد له نتيجة لذلك . فكيف تصح الأمور وتقوم الجماعة ؟ !!

إن الجماعة يصلحها أن يحس كل فرد من أفرادها أنه يُكمل أخاه ويُكمله أخوه ، وأن الجميع جسد واحد . فمنه العين ، ومنه القلب ، ومنه الروح ، كل يقوم بدوره ، ويسنا ، إذا قصّر الآخر بدوره ، وهكذا تكون الجماعة ، ويكون الفرد فى الجماعة .

---

(١) الشورى : ١٤

كان الشيخ سعيد النورسي يُوصي إخوانه أن يفنوا ببعضهم . ومعنى الفناء هو ما ذكرناه مع كمال المحبة والمودّة . نحن جماعة رأسمالها الإيمان ، والعمل الصالح ، والمودّة والمحبة ، والحسد لا يبقى معه إيمان ولا عمل صالح ولا مودّة ولا محبة . إن رسول الله ﷺ يُقسم أن الإيمان والحسد لا يجتمعان في قلب . إن خلو قلوب أفراد الجماعة من الحسد شرط أساسي للانتماء للجماعة ولإمكانية السير فيها .

٣ ـ القدرة على الجندية :

المسلمون جسد واحد وجماعة المسلمين جسد . ولا يمكن أن يكون الجسد كله رؤوساً . إن الجسد له رأس واحد ولا يحتمل رأسين . فإذا ما كان كل فرد في الجماعة يعمد داخل الجماعة إلى طلب الرئاسة خربت الجماعة وتحطمت ، وكان ذلك علامة على عدم الإيمان في الأنفس . إنه لا يجوز للمسلم أن يطلب الرئاسة ، ولكن إذا قدّمه الصف فيجب عليه أن يتحمل مسؤوليتها ، أما أن يطلبها فلا : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [1] . ولذلك كان من الشروط النفسية الرئيسية للانتماء : القدرة على الجندية والنظام والاستعداد لهما . ومظهر ذلك : الطاعة التامة . إن كل إنسان قادر على السير المنفرد ، ولكن السير المنظّم يحتاج إلى تدريب ، والتدريب يحتاج إلى طاعة وانضباط .

٤ ـ التمثل بالصفات التي يستحق صاحبها رحمة الله :

﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾[2] . وقد ذكر الله عز وجل من يستحقون رحمته ، فقال جل جلاله : ﴿ وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [3] . إن هذه كلها شروط رئيسية ليمكن أن يقوم عمل جماعي ويستمر .

---

(١) القصص : ٨٣ (٢) هود : ١١٨ ـ ١١٩ (٣) التوبة : ٧١

٥ - الإيمان بالإسلام كله :

قال الله تعالى : ﴿ فَنَسُواْ حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ ﴾[٤] . إن الإيمان بالإسلام كله شرط أساسى ليقوم عمل جماعى ويستمر . ومن ثمّ كانت أركان بيعتنا عشرة : « الفهم ، والإخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والطاعة ، والثبات ، والتجرد ، والأخوة ، والثقة » .

* * *

إن السير داخل الجماعة يحتاج إلى نفسيات معينة واستعداد خاص ، وما لم يكن الإنسان عنده هذه النفسية وهذا الاستعداد فإنه لا يستطيع السير والصبر . إن الصف يُقدّم مَن شاء - بعد مشيئة الله - ويُؤخّر من شاء ، وقد يُقدّم اليوم إنساناً ويُؤخّر غداً إنساناً ، فما لمْ يكن الإنسان مستعداً لهذا كله ويرتاح لهذا كله فإنه لا يستطيع السير . والمهم أن تكون هناك قواعد صحيحة للتقديم والتأخير .

وقد يكون الإنسان خارج الجماعة إماماً ، ولكنه إذا قرر السير فى الجماعة فعليه أن يتحمل أن يكون مأموماً - وقد تُقدّمه الجماعة - فما لم يكن مستعداً ليكون حيث تريد الجماعة لا حيث يريد هو ، لا يستطيع السير ولا الاستمرار . وقد يكون الإنسان مقتنعاً بشىء ، وقد يكون هذا الشىء صواباً ، ولكن الجماعة لم تقبله ، فعليه أن يصبر ويقبل الرفض حتى تقتنع الجماعة بتبنيه . قد يكون الإنسان غير راض عن وضع ، ولكن ليس أمامه إلا الإقناع الهادئ مع الالتزام الكامل ، حتى يزول ما ظن أنه غير صالح ، وما لم يكن الإنسان كذلك لا يستطيع السير ولا الصبر ولا الاستمرار .

إنك داخل الجماعة غيرك خارجها ، ومن لم يستطع السير فى الجماعة فالتقصير تقصيره ، فهو إما صالح يريد صلاحاً فعليه أن يعمل ملاحظاً الوضع

---

(٤) المائدة : ١٤

النفسي العادي للجماعات . وإذا لم يعمل فهو مُقصّر . وإن كان غير ذلك فهو مُقصّر كذلك . فليست العلة في الجماعة وإنما العلة فيمن لم يستطع أن يعيش داخل الجماعة الإسلامية . فالجماعة ليست إلا مجموعة من البشر . وعلينا أن نتعامل مع البشر وأن نُوطن أنفسنا لرؤية كل ما يصدر عن البشر .

الفقرة الثالثة ـ أُطر الانتماء في الأحوال العادية :

أيها الأخ الكريم : نعنى بأطر الانتماء لحركة الإخوان المسلمين : أن تنتسب إلى الحلقات لتأخذ ثقافة إسلامية عامة ومركزة ، وأن تنتسب إلى أسر التكوين لتأخذ الثقافة الإخوانية والتربية الإخوانية ، وأن تنتسب إلى فِرَق الرحلات لتأخذ تربية على الدعوة والحياة الإسلامية والخشونة . وأن تنتسب إلى نظام الكتائب لتعيش في أجواء الاستعداد الروحي والعلمي للجهاد ، أو لتشارك عملياً فيه وفي أبوابه . في جو الكتيبة يمارس الأخ كل أنواع الجهاد والنشاط . ونحب هنا أن نؤكد أن الأخ المسلم لا ينضج حق النضج إلا بانتسابه إلى نظام الحلقات ونظام الأسر ، وإلى فِرَق الرحلات ونظام الكتائب ، هذا مع ملاحَظة أنه يمكن أن يُعفى بعض الناس أو بعض القطاعات من ذلك لسبب من الأسباب تقرره القيادة ، أو تحتاج إليه طبيعة العمل ، وفي هذه الحالة ينبغي أن يأخذ الأخ كل المناهج عن طريق الشيء الوحيد الذي انتسب إليه ، كما أن القيادة قد تعطي صفة ما لإنسان لم ينتسب إلى كل ذلك لأسباب استثنائية جداً .

يقول الأستاذ البنا في رسالة المؤتمر الخامس :

« خطونا الخطوة الثانية في صور ثلاث :

« الكتائب » : ويُراد بها : تقوية [illegible]سف بالتعارف وتمازج النفوس والأرواح ، ومقاومة العادات والمألوفات ، والمران على حسن الصلة بالله ـ تبارك وتعالى ـ واستمداد النصر منه . وهذا معهد التربية الروحية للإخوان المسلمين .

ثم « الفرق » للكشافة والجوالة والألعاب الرياضية : ويُراد بها : تقوية الصف بتنمية أجسام الإخوان ، وتعويدهم الطاعة والنظام والأخلاق الرياضية الفاضلة ، وإعدادهم للجندية الصحيحة التى يفرضها الإسلام على كل مسلم . وهو معهد التربية الجسمية للإخوان المسلمين .

ثم « درس التعاليم » فى الكتائب أو فى أندية الإخوان المسلمين : ويُراد به : تقوية الصف بتنمية أفكار الإخوان وعقولهم بدراسة جامعة لأهم ما يلزم الأخ المسلم معرفته لدينه ودنياه . وهذا هو « معهد التربية العلمية والفكرية للإخوان المسلمين » .

وذكر الأستاذ البنا أن من شروط الأخ العامل : « حضور مجالس القرآن الأسبوعية والدائرة » .

وبعـــد ..

أما وقد عرفتَ ماذا يعنى الانتماء ، وماذا يستلزم ، وقد تكون قد انتسبتَ وسرّت ونفترض أنك تستنصحنا ، ولذلك فنحن نتقدم بهذه التوجيهات العملية إليك وذلك هو مضمون الباب العاشر والأخير .

* * *

الباب العاشر

توجيهات عملية

أحببنا أن يكون هذا الباب توجيهات عملية ، ونرجو أن يكون قد اقتنع الكثيرون من المترددين فيبدأون السير ملاحظين هم وغيرهم هذه التوجيهات :

يرتكز العمل الإسلامى فى إطاره الجماعى على ما يلى :

١ ـ الإخـلاص :

ونعنى به توجه القلب إلى الله تعالى ، متجرداً عن كل الأغراض المادية والمآرب النفعية ، لا يبتغى الأخ بجهاده إلا وجه الله تعالى ، كى تصح العقيـدة ، ويستقيم العمل ، ويكون عند الله من المقبولين .

٢ ـ النظام والطاعة .

٣ ـ الصدق والوضوح :

فذلك شعار المؤمن وخاصة بين القيادة والجند والعكس ، والبُعد عن الأساليب الملتوية والرُخَص السياسية ، مع الاستشعار الدائم اننا فى حرب مستمرة مع الجاهلية . فلا تكن ساذجاً .

٤ ـ ضبط الموعد :

فإخلافه آية النفاق ، مراعياً بذلك الحيطة والحذر عند الحضور والانصراف بصورة فردية وبلا ضجيج ، وألا يتحدث الأخ عما كان يفعل وكأنه لم يفعل .

٥ - الكتمان :

يقول رسول الله ﷺ : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » . وعلى الأخ أن يلاحظ فى هذا الموضوع ما يلى :

(أ) كل ما يدور ويجرى بينك وبين إخوانك سر لا ينبغى أن يطلع عليه أحد مهما كانت قرابته أو صداقته أو أخوته أو اعتباره ، إلا إذا رأيتَ خللاً فلتعلم القيادة . وليعلم الأخ أن طريقنا هذا يحتاج إلى رجال تموت أسرارهم بموتهم ، وأنك إن عجزت عن حفظ سرك فغيرك على حمله أعجز ، فالزمام بيدك ، والرباط بين شفتيك .

(ب) اغتنام الأوقات المناسبة والأماكن المناسبة لتبليغ أمر أو لإسداء نصيحة بطريقة لبقة وبشكل لا يُلفت النظر . وتجنب الانفعال ، وليست المدرسة أو مكان العمل أو مكان التجمع صالحاً للكلام فى الأمور السرية أو الخاصة .

(جـ) من الآداب الإسلامية ترك السؤال وقيل وقال وإضاعة المال ، فلا تسأل إخوانك ، ولا يسألك إخوانك : من أين وإلى أين فهو إحراج .

(د) عندما نكون فى عمل نحرص على ألا يتعرف عليه أحد . فعلينا أن نلاحظ عدم الدورية فى الزمان والمكان ، والتغيير المستمر ، وعدم استخدام مكان واحد لأكثر من ثلاث مرات متوالية على أبعد حد - إن أمكن ذلك .

(هـ) عدم الاعتماد على الكتابة إلا فى الضرورة القصوى وخاصة فى الأسماء والمعلومات ، واستعمال الرمز إن لم يكن بدٌّ .

(و) على الأخ أن يُتقن كتمان هويته عندما تكون المصلحة فى ذلك ، وعليه أن يعتاد ضبط نفسه وعواطفه ، فأعداء الله يعددون الأساليب لمعرفة كنه الأخ ، ليشلوا حركته وليقطعوا عليه طريقه .

(ز) لا يعفينا كتمان الهوية عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإظهار الإسلام والدعوة له ، على أن يظهر ذلك كله بمظهر فردى ، ومع هذا فاحرص على عدم التورط بأية مشاكل ، أو أن تقع فى إشراك ذوى الأهواء الخبيثة ،

الذين يدأبون على إثارة حفيظتك لإخراج خبيئة نفسك « لست بالخب ولا الخب يخدعنى » .

(ح) واجه مشاكلك بهدوء ، وتعقل ورباطة جأش ، ولا تتصرف تصرفا خاطئاً تودى به بنفسك وبغيرك ، ولاحظ أن المسلم مطالب بالصبر ، وميزان الشجاعة ضبط النفس ورباطة الجأش وكتمان السر ، والمتقدم عن الصف كالمتأخر .

* * *

• اجتماعاتنا للعمل :

(أ) أعلم أن الوقت هو الحياة ، فلنكن حريصين كل الحرص على عدم ضياعة سُدى .

(ب) يجب تحديد مضمون الاجتماع بوضوح وتحقيق غايته : زيارة ، عيادة ، طعام ، مصلحة ، تهنئة ، اجتماع أسرة ، اجتماع فرقة لعمل عبادى أو غيره .

(جـ) يلاحَظ فى اجتماع الأسرة ما يلى :

١ ـ الدقة عند الحضور وعند الانصراف .

٢ ـ البُعد عن أجواء الجدل ورفع الصوت .

٣ ـ تبتدئ الأسرة اجتماعها بالبسملة والفاتحة والدعاء .

٤ ـ دراسة المنهاج المحدد وتطبيق الأشياء المقررة من قراءة قرآن .

٥ ـ مذاكرة عامة .

٦ ـ وصية .

٧ ـ المذاكرة فى شأن التبرعات أو الاشتراكات أو الزكوات .

٨ ـ تفقد الغائب والتعرف على سبب الغياب ، وتكليف أحد بتبليغه .

٩ ـ تحديد زمان ومكان الموعد القادم .

١٠ - تلاوة سورة العصر الشريفة ، ودعاء الانصراف ، والانطلاق فردياً باسم الله .

* * *

• الوسائل التى تزداد بها أواصر الأخوة والمحبة فى الله :

١ - رحلات مشتركة متنوّعة .

٢ - قيام ليلة بشكل فردى أو جماعى .

٣ - صلاة الصبح جماعة فى المسجد صلاة مشتركة .

٤ - صيام وإفطار مشترك .

٥ - المراقبة الدائمة لله واستشعار مَعِيّتُه سبحانه .

٦ - مجالسة الصالحين من عباد الله .

٧ - التعاون على الإكثار من ذِكر الله تعالى .

٨ - طعام مشترك .

٩ - الهدايا .

١٠ - الزيارة فى الله .

١١ - الزيارة المشتركة لمقابر المسلمين ، وخاصة قبور شهداء الدعوة وشيوخها وأئمتها : ليستشعر كل أخ قوة الرابطة ، ويصمم على السير قُدماً فى الطريق الذى سبقه فيه إخوانه وشيوخه ، وهم يحملون لواء هذه الدعوة المقدسة . مع ملاحظة المشروع فى ذلك كله .

١٢ - القيام بالواجبات الإخوانية الطارئة : كعيادة مريض ومساعدته ومواساته ، أو القيام بحق سجين أو محتاج ، وفرز أخ - إن اقتضى الأمر - لتأمين لوازم أهله .

* * *

• الدعوة إلى الله :

(أ) كل أخ داعية :

﴿ ومَنْ أحْسَنُ قولاً ممَّنْ دَعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنَّنى من المسْلمين ﴾[1]

١ ـ كل أخ يستطيع الدعوة إلى الله ، فالدعوة إلى الله لا تحتاج إلا إلى فقه فيها ، وإخلاص لربها . والناس أمام الدعوة واحد من أربعة : مؤمن ، متردد ، نفعى ، متحامل . فلا تضيع وقتك مع النفعى والمتحامل إلا بالقدر الذى تقيم به الحجة ، ووضّح دعوتك جيداً للمتردد لعله يتبين له الحق ثم يثوب إليه .

٢ ـ دعوتنا إلى الإسلام أولاً ثم إلى الجماعة ، لأن سر موقف الناس من الجماعة يكمن فى فهمهم للإسلام ، فمتى وجد الفهم السليم والالتزام السليم دخل الإنسان فى الجماعة تلقائياً .

(ب) من أعمال الداعية :

إذا تمثل الأخ الداعية بالإسلام قولاً وفعلاً فذلك أكبر وسيلة لنجاحه فى الدعوة . ومن وسائل الدعوة توثيق الروابط وصدق الود النابع عن المعانى الإسلامية ، ومنها :

١ ـ المدارسة المشتركة .

٢ ـ المعاملة الإسلامية العالية .

٣ ـ الخدمة الشخصية والمساعدة المالية .

٤ ـ الهدايا من الكتب وغيرها .

٥ ـ الرحلات المشتركة .

٦ ـ الإعارة .

٧ ـ الدعوة إلى طعام فى البيت أو خارجه .

٨ ـ تبادل الزيارات .

---

(١) فصلت : ٣٣

٩ ـ عيادة مريض .

١٠ ـ الدعوة إلى دروس الحلقات العلمية العامة أو الخاصة .

١١ ـ الدعوة إلى دروس رسمية .

١٢ ـ الإبداع المدرسى أو الرياضى ، فإن ذلك دعاية عملية لاتجاهه .

(جـ) شروط الدعوة للأسرة :

١ ـ معرفة اتجاه المدعو بشكل واضح فى الحاضر وفى الماضى ، والتأكد من سلامة شخصيته .

٢ ـ معرفة اتجاه عائلته وأقاربه .

٣ ـ معرفة زملائه فى الوقت السابق واللاحق .

٤ ـ التأكد من وضعه المادى بين بيته والشارع ، وطريقة صرفه ونفقاته .

٥ ـ الملاحظة الكاملة والعملية للتأكد من سلامة اعتقاده ، وتقدَّر طول المدة بحسب الحاجة ، ومهما طال الاختبار كان أجدى وأنفع ، كى نتجنب عملية الدس على الدعوة .

٦ ـ أن يُقدَّم له مبدئياً من الدراسات ما لا يعطيه صورة واضحة عن التنظيم ، فإذا صفت الفكرة ، وتوثّقت الصلة ، وحسن الظن ، وتأكدت سلامة الاتجاه ؛ ضُمَّ إلى أسرة تعريف ، مع ملاحظة ألا يُلحق فرد جديد بمجموعة قديمة قطعت مرحلة التعريف .

* * *

• من المكتبة الإخوانية :

المكتبة الإخوانية واسعة جداً بفضل الله ، وإذا اعتبرنا إنتاج أفراد الجماعة إنتاجاً للجماعة فإنه تتعذر علينا الإحاطة بهذه المكتبة ، وهذا شيء جيد ، وليس ظاهرة مرضية أبداً كما يحلو لبعض الناس أن يتصوَّره أو يصوِّره ، فقد كان القارئ المسلم المعاصر لا يجد من قبل بين يديه المؤلفات المعاصرة التى تتناول أى موضوع ، أما الآن فقد أصبح بفضل الله فى كل موضوع الكثير مما كُتب ، ونحن نحتاج إلى مزيد .

وهذا العنوان فى هذا المكان إنما أريد به لفت النظر إلى بعض الكتب فقط . وهى التى تُعتبر مساعدة فى فهم الدعوة ، أو فى تبيان بعض ملامح تاريخها لا أكثر ولا أقل . وهى :

١ ـ مذكرات الأستاذ البنا ورسائله وكلماته .

٢ ـ الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين .

٣ ـ المقاومة السرية فى قناة السويس .

٤ ـ الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى .

(أ) مذكرات الأستاذ البنا ورسائله وكلماته :

أراد الأستاذ البنا فى مذكراته أن تكون سجلاً للدعوة وصاحبها حتى سنة ١٩٤٠ . وفى هذا الكتاب يرى الإنسان الأستاذ البنا بكل عفوية ، والخطوات الكبرى والصغرى على طريق التأسيس بكل وضوح . ولا يستطيع الإنسان أن يأخذ صورة كاملة عن جماعة الإخوان إلا باطلاعه على هذا الكتاب ، وخاصة القسم الثانى منه .

* * *

وأما رسائل الأستاذ البنا فقد أراد بها أن يشرح كل ما له علاقة بدعوة الإخوان ومواقفها من كل جانب من جوانب الحياة العامة تقريباً . فلا يكاد الإنسان ينتهى من قراءة هذه الرسائل إلا وعنده وضوح فكرى كامل عن هذه الدعوة .

* * *

وأما كلمات الأستاذ البنا المبثوثة فى جرائد الإخوان ومجلاتهم ـ الشهاب والنذير وغيرهما ـ : فمنها الواعظة ، ومنها المبينة لموقف ، ومنها المقال العلمى الشرعى البحت ، ومنها ما كان فى جانب من جوانب الثقافة الإسلامية . وأهم تراث الأستاذ البنا ومذكراته ورسائله وصياغته العملية لهذه الجماعة ، وقسم كبير من هذا الأخير غير مكتوب . ومن رسائله :

١ - العقائد .

٢ - التعاليم .

٣ - الجهاد .

٤ - الرسائل الثلاث .

٥ - دعوتنا فى طور جديد .

٦ - إلى الشباب .

٧ - الإخوان المسلمون تحت راية القرآن .

٨ - مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى .

٩ - رسالة المؤتمر الخامس .

١٠ - المأثورات .

١١ - هل نحن قوم عمليون ؟

وكل هذه الرسائل تراث إخوانى لازم لا بد من دراسته لفقه الدعوة ، مع ملاحظة أن هناك كلاماً فى هذه الرسائل كان وليد ظروف المرحلة التى وُجدَ بها والأجواء العامة . ومن أعجب العجب أن تجد ناساً يعيبون على الأستاذ البنا مناقشته الهادئة لكثير من الأفكار الموجودة فى عصره !! ؟ مع أنها مناقشة إسلامية خالصة . إن الذى يريد أن ينقد الأستاذ البنا على ما لم يتضح إلا أيامنا ، إنسان لا يعرف الإنصاف أصلاً .

(ب) الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين :

هذا الكتاب يتحدث عن صفحة ناصعة من تاريخ الإخوان المسلمين ، وهو سجل لأحداث القتال الذى خاضه الإخوان عام ١٩٤٨ . ومطالعته ضرورية ليتعرف الإنسان على شىء من تاريخ الجماعة ، وليرى الإنسان بشكل عملى كيف ان الإسلام يصنع الرجال ، وكيف أن هزائم الأمة ليس مسؤولاً عنها إلا مَن استبعد أهل الإيمان عن المعركة ويريد أن يُربّى هذه الأمة على غير الإسلام .

(جـ) المقاومة السرية فى قناة السويس :

هذا الكتاب سجل آخر لصفحة تاريخية مشرقة من تاريخ الإخوان المسلمين، وهو سجل المقاومة السرية وحرب العصابات التى شنها الإخوان على بريطانيا فى قناة السويس . وكان من آثار ذلك جلاء بريطانيا عن مصر . كما كانت مقدمة لأحداث كثيرة متلاحقة على أرض الشرق العربى .

(د) الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى :

هذا الكتاب يعتبر أوسع دراسة علمية أخذ فيه صاحبه درجة « الماجستير » عن الإخوان المسلمين فى مصر . وقد حاول المؤلف أن يعطى صورة كاملة فيه عن الإخوان فى مراحل سيرهم حتى سنة تأليف الكتاب . كما حاول أن يعطى صورة كاملة عن الجماعة فى فكرها وتنظيمها ومؤسساتها ومظاهر نشاطها . وليس كل ما فى الكتاب يحظى بالموافقة . ولكنه يبقى سجلاً معبّراً ومصوّراً للجماعة تصويراً مقبولاً .

* * *

• وصايا الأستاذ البنا العشر :

لكل جماعة ملامح وسمات تظهر على أفرادها . والجماعة التى لا تظهر ملامحها على أفرادها جماعة مقصرة فى تربية أفرادها . وجماعة الإخوان لها ملامحها الكريمة والأصيلة . وقد حدث فى بعض الجهات أو فى بعض الأزمات تفريط خطير فى التكوين على هذه الملامح . ومن ملامح هذه الدعوة التى يجب أن تظهر على أفرادها شعارات الجماعة : « الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » .

ومن ملامح هذه الدعوة التى يجب أن تظهر على أفرادها أنها دعوة وأدب ، وذوق وجد وكمال . ولقد صاغ الأستاذ البنا جميع هذه المعانى فى الوصايا العشر ، فأن تجد أخاً غير متحقق بهذه الوصايا فذلك علامة على تقصير كبير وتفريط خطير .

• الوصايا العشر :

١ - قم إلى الصلاة متى سمعت النداء، مهما تكن الظروف .

٢ - اتل القرآن أو طالع أو استمع ، ولا تصرف جزءاً من وقتك فى غير فائدة .

٣ - اجتهد أن تتكلم العربية الفصحى فإن ذلك من شعائر الإسلام .

٤ - لا تُكثر الجدل فى أى شأن من الشئون فإن المراء لا يأتى بخير .

٥ - لا تُكثر الضحك فإن القلب الموصول بالله ساكن وقور .

٦ - لا تمزح فإن الأمة المجاهدة لا تعرف إلا الجد .

٧ - لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السامع فإنه رعونة وإيذاء .

٨ - تجنب غيبة الأشخاص وتجريح الهيئات ولا تتكلم إلا بخير .

٩ - تعرف إلى من تلقاه من إخوانك ، وإن لم يُطلب إليك ذلك ، فإن أساس دعوتنا الحب والتعاون .

١٠ - الواجبات أكثر من الأوقات ، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته ، وإن كان لك مهمة فأوجز فى قضائها .

* * *

ونحب أن نُعلّق على كل وصية من هذه الوصايا تعليقاً خفيفاً يساعدنا إن شاء الله على إتقان العمل :

١ - « قم إلى الصلاة متى سمعت النداء، مهما تكن الظروف » :

روى أبو داوود والترمذى عن أم فروة - وكانت ممن بايع النبى ﷺ - أنه سُئل : أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الصلاة لأول وقتها » .

٢ - « اتل القرآن أو طالع أو استمع ، ولا تصرف جزءاً من وقتك فى غير فائدة » :

روى الترمذى عن ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله : أى العمل أحب إلى الله ؟ . قال : « الحال المرتحل » . قال : وما الحال المرتحل ؟ . قال : « الذى يضرب من أول القرآن إلى آخره ، كلما حل ارتحل » .

وروى الطبرانى والبزار عن أبى بكر عن رسول الله ﷺ قال : « اغد عالماً ، أو متعلماً ، أو مستمعاً ، أو محباً ، ولا تكن الخامسة فتهلك » . قال عطاء : قال لى مسعر : زدتنا خامسة لم تكن عندنا . والخامسة : أن يبغض العلم وأهله « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسئل عن أربع : عن عمره فيما أفناه .. » .

٣ - « اجتهد أن تتكلم العربية الفصحى فإن ذلك من شعائر الإسلام » :

قال فقهاء الحنفية « للعربية فضل على سائر الألسن ، وهى لسان أهل الجنة ، مَن تعلمها أو علّمها غيره فهو مأجور » .

وقال الشافعى : « إن الله تعالى فرض على جميع الأمم تعلم اللّسان العربى بالتبع لمخاطبتهم بالقرآن والتعبد له » .

٤ - « لا تُكثر الجدل فى أى شأن من الشؤون ، فإن المراء لا يأتى بخير » :

هذا الخُلق من أعلى الأخلاق ، ونادراً ما يوجَد ذلك الإنسان الذى يتحقق به . فمَن يستطيع الصمت وعنده كلام ؟ !! ومن يستطيع السكوت أثناء المناقشة وعنده حجة ؟ !!

إن هذا لا يستطيعه إنسان إلا فى الذروة من الأخلاق والتمكن فيها ، وليس كلامنا فى جدل تُقيم الحجة فيه على كافر ، قال تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [1] . ولا فى جدل تُقيم فيه الحجة على ضال مضل . ولكن كلامنا فى جدل لا يترتب عليه عمل ، أو فى جدل بعد أن قامت الحُجة ، أو بغى جدل وقد توضحت الأمور ، أو فى جدل وقد قال كل واحد ما عنده ، أو فى جدل بلا علم ، أو فى جدل تستطيع بالرجوع لأقرب مرجع أن تعرف الحق ، أو فى جدل فى شؤون نظرية أو خيالية ، أو فى جدل فى قضايا لم يأذن لنا الشارع أن نخوض فيها .

---

(١) النحل : ١٢٥

أخرج الترمذى بسند حسن عن رسول الله ﷺ قال : « من ترك المراء وهو مبطل بُنِىَ له بيت فى ربض الجنة ، ومن تركه وهو مُحِقٌ بُنِىَ له بيت فى وسطها ، ومن تركه لحُسن خُلُقه بُنِىَ له فى أعلاها » . - وربض الجنة : ما حولها خارجاً عنها .

وإن انتشار الجدل فى جماعة دليل على أن الخراب حدث فيها . قال عليه الصلاة والسلام : « ما ضَلَّ قوم بعد هُدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ... » . وافظع الجدل ما كان فى القرآن بلا علم . أخرج أبو داوود وابن حبَّان والطبرانى وغيره من حديث زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ قال : « المراء فى القرآن كفر » .

وعلامة الإخلاص الكامل فى المناقشة ألا تبالى خرج الحق على لسانك أو على لسان مَن تناقش ، لأن الغرض هو الحق ، وحبك للحق يجعلك تتمنى صدوره عن أى إنسان . قال عمر رضى الله عنه : « ما حاججتُ أحداً إلا وتمنيتُ أن يكون الحق على لسانه » . ومن أفظع الجدل أن يُحاوِل الإنسان أن يتكلم لإظهار فهمه وعلمه . رُوِىَ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَن طلب العلم ليجارى به العلماء ، أو ليُمارى به السفهاء ، ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار » . (رواه الترمذى) . قال ابن عباس : « لا تمار أخاك ، فإن المراء لا تفهم حكمته ولا تؤمن غائلته ، ولا تعد وعداً فتخلفه » . (أخرجه رزين) .

« إنما الأمور ثلاثة : أمر تبيَّن لك رشده فاتبعه ، وأمر تبيَّن لك غَيُّهُ فاجتنبه ، وأمر اختُلِفَ فيه فرده إلى عالِمه » .

٥ - « لا تُكثر الضحك فإن القلب الموصول بالله ساكن وقور » :

فى الحديث الصحيح عن جابر بن سمرة : « أن رسول الله ﷺ كان لا يضحك إلا تبسماً » . وقالت عائشة رضى الله عنها : « ما رأيتُ رسول الله ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى تُرَى منه لهواته ، إنما كان يبتسم » . وأقبح بإنسان يرى السُّنَّة ثم يخرج عنها إلا مغلوباً .

٦ ـ لا تمزح فإن الأمة المجاهدة لا تعرف إلا الجد :

جاء في رسالة آداب الأسرة والكتيبة تحت عنوان « آداب المزاح » ما يلي :

« فإذا حدث ما يستدعي الضحك أو يؤدي إلى المزاح . فليكن ضحكاً تبسماً بلا صوت . ومزاحاً رقيقاً لا يخرج عن حدود الحق والصدق . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قالوا : يا رسول الله : إنك لتداعبنا . قال : « إني لا أقول إلا حقاً » . (أخرجه الترمذي)

ويجب أن نتجنب في اجتماعنا ما هو شائع بين الناس من اختلاق القصص وتأليف الحوادث لإضحاك الناس الآخرين . فالرسول ﷺ يقول : « ويل للذي يُحدث بالحديث ليُضحك به القوم فيكذب . ويل له » . (أخرجه أبو داوود والترمذي) .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يمزح قال الحق والصدق : فقد جاءت امرأة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام . فقالت : إن زوجي يدعوك . قال : « ومن هو ؟ . أهو الذي بعينه بياض » ! . قالت : والله ما بعينه بياض . فقال « بلى إن بعينه بياضاً » فقالت : لا والله . فقال صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد إلا وبعينه بياض » ـ أراد البياض المحيط بالحدقة .

وقد قال العلماء : « إن المزاح المنهي عنه هو ما فيه إفراط مع دوام عليه فإنه يُورث قسوة القلب ويُسقط المهابة والوقار . فلا تجوز المبالغة فيه » .

وفي حديث صحيح عن جابر بن سمرة : « أن رسول الله ﷺ كان لا يضحك إلا تبسماً » . فأما ما سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعله لظروف خاصة . ولتطييب نفس مسلم ومؤانسته . وهذا لا مانع منه . روى أبو داوود عن رسول الله ﷺ قال : « لا يأخذ أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً » .

وروى أبو داوود عن ابن أبي ليلى قوله « حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون معه فقام رجل منهم . فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع . فقال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لمسلم أن يُروّع مسلماً » .

وأخرج الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بالحزن فإنه مفتاح القلب » . قالوا : يا رسول الله ؛ وكيف الحزن ؟ قال : « أخمعوا أنفسكم بالجوع وأظمئوها » .

٧ ـ « لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السامع فإنه رعونة وإيذاء » :

قالت رسالة الأسرة والكتيبة : « فإذا دارت بين الإخوان مناقشة فلتكن فى هدوء، وخفض صوت . ولقد كان من وصية لقمان لابنه قوله تعالى : ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [١] . إنه يجب على الأخ أن يناقش الأمور الصغيرة والكبيرة مع إخوانه بهدوء، وضبط أعصاب » . وهذا كذلك من أعصى الأخلاق على الإنسان ، ولا يستطيع أن يتخلق به إلا إنسان أوتىَ حظاً عظيماً من فضل الله . ومهما تساهلت الجماعة فى أمر فلا يجوز أن تتساهل فى هذا الموضوع أبداً : وهو وجود أخ يرفع صوته ، ويحتد أثناء النقاش وخاصة فى المستويات العُليا للجماعة . إن الاجتماعات التى فيها أمزجة حادة وصخب اجتماعات فاسدة ، لا تستطيع الجماعة فيها أن تتخذ قرارات صحيحة ، ولا تستطيع الجماعة أصلاً أن تحافظ على وحدتها فيها ، وقد يؤدى اجتماع من هذا النوع إلى قسم الجماعة . لذلك فمن الأساس لا يجوز أن يُعطى إنسان صفة العضوية القيادية إذا لم يتأدب بهذا الأدب : أدب القدرة على التدبر الهادىء ، والمناقشة المتزنة فى كل حال فضلاً عن اجتماعات الجماعة .

إن الذى يرفع صوته أثناء النقاش إنما يدلل على رعونة فى النفس لم تتهذب . كما وأن رفع الصوت فى المناقشة علامة على احتقار الآخرين وهى إيذاء لهم . وهذا لا يصح أن يتصف به أخ .

إن مجرد رفع الصوت فى أحاديثنا وجلساتنا واجتماعاتنا ومناقشاتنا غير مقبول فى دعوتنا . فكيف ما هو أكبر ؟ من تراشق أو سباب ، أو اتهامات ، أو غير ذلك مما يخرب الجماعة ـ والعياذ بالله ـ ، ويدلل على سوء تربية أفرادها .

---

(١) لقمان : ١٩

٨ ـ « تجنب غيبة الأشخاص وتجريح الهيئات ولا تتكلم إلا بخير » :

إن سلاح الشيوعيين وأضرابهم فى العمل الإثارة والتشهير ، لأن مبنى دعوتهم على الحقد ، ويصدرون فى تصرفاتهم عن حقد . أما دعوتنا فإن مبناها الحب والرحمة ، ويصدر أتباعها فى تصرفاتهم عن نفس مليئة بالحب والرحمة لعباد الله ، كى يهتدوا ويكونوا من أهل الجنة . ورسول الله ﷺ كان كما قال الله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [1] .

إن مهاجمة الآخرين قد تعطى مردوداً عكسياً فى عملية الدعوة إلى الله ، وقد نبهنا الله على ما هو فوق ذلك فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [2] . إننا نستطيع أن نشرح دعوتنا ، وأن نفند آراء غيرنا ، وأن نبين الحق ، وأن نفضح الباطل وأن نعريه ، دون أن نعرض للأشخاص أو الهيئات إلا فى الحالات التى أجاز لنا فيها الشارع أن نتكلم . على أن نتكلم لله لا بدافع الحقد أو التشفى . هذا كلام عام ولكننا بالنسبة للمسلمين ينبغى أن نكون أكثر احتياطاً ، إن من أشد ما أساء إلى دعوتنا أنها دخلت فى خصومات مع المسلمين أنفسهم : هيئاتهم وكثير من أشخاصهم . تجد الأخ من إخواننا محور كلامه الحملة على العلماء ، والصوفية والجميعات الإسلامية ، والعاملين المختلفين معنا فى وجهات النظر . إن علينا أن نكون دقيقين جداً فى كلامنا ، إنه ما من كلمه تقال منا إلا وتصل إلى أصحابها ، وسيحارب هؤلاء الجماعة كلها لكلمة قالها فرد منا ، إن علينا ألا ننسى أخلاقية دعوتنا ، ومن أخلاقيتها كما رأينا من قبل أنها تؤيد كل من يعمل فى تحقيق جزء من أجزاء دعوتنا الشاملة . فلننظر إلى الإيجابيات عند المسلمين ، ولنسع كى نخرجهم من سلبياتهم ، ولن نخرجهم من سلبياتهم بغيبتهم وتجريحهم ، بل هذا يزيدهم إصراراً ، ويكسبنا عداءهم .

بَيِّن دعوتك ، وَضِّح وجهة نظرك ، لا تذكر اسم شخص مسلم أو هيئة إسلامية بِشَرٍ على لسانك . لا مانع أن تُبَيِّن لإخوانك ضلال الضالين ، ولكن إذا كنت فى

---

(١) الكهف : ٦ (٢) الأنعام : ١٠٨

نقاش مع هؤلاء أنفسهم فناقش الفكرة بالفكرة ، وتجنب ذكر الأشخاص والهيئات ، وعَوِّد نفسك قول الخير دائماً .

تكلم بما تثق أنه يخدم دعوتك . تكلم بما تثق أنه يكسب دعوتك . تكلم بما تثق أنه لا يخسر دعوتك . تكلم بما تثق أنه يقربك إلى الله . تكلم بما تثق به أنه يقرب الآخرين إلى الله ، ولا تضعهم فى موقف يزدادون فيه بُعداً عن الله .

٩ - « تعرَّف إلى من تلقاه من إخوانك وإن لم يُطلب إليك ذلك فإن أساس دعوتنا الحب والتعارف » :

وإن من وساوس الشيطان التى ألقاها فى قلوب الكثيرين منا : الفرار من بعضنا ، والفرار من أن يتعرف المسلم على أخيه . إنَّا إذا فقدنا فطرية علاقاتنا الإسلامية القائمة على المحبة والمودّة - ولا محبة ولا مودّة بلا معرفة - فإن ما يفوتنا من الخير أكثر مما نتصوره من دفع شر . إن أشباح الخوف لا يجوز أن تلاحقنا حتى تفقدنا أنسنا ببعضنا ، لقد وصل بعضنا إلى حالة من الخوف الشيطانى لدرجة أنه إذا سَلَّم عليه أخوه يعتبر ذلك علامة خطأ !! فيالله وللإسلام ماذا بقى من الإسلام إذا وصلنا إلى مثل هذا ؟ !! على أن للمراحل السرية مقتضياتها والضرورات تُقدَّر بقدرها .

١٠ - « الواجبات أكثر من الأوقات ، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته ، وإن كان لك مهمة فأوجز فى قضائها » :

كثير من الإخوان يعيشون فى فراغ ، جلساتهم فارغة ، وأحاديثهم فارغة ، وقد تجد فيها لغواً وغيبة ، وما هكذا الإخوان المسلمون ، إن الأخ الذى لا يضيق صدره إذا ضاع منه وقت دون إنتاج فى حقل الدعوة أو فى حقل ترقية نفسه لله ، لا يكون أخاً حقيقياً . وكثيرون من الإخوان لا يكتفون بهذا فى أنفسهم ، بل يتجاوزون هذا فيسيئون إلى الإخوان العاملين ، إذ يقتطعون قسماً من أوقاتهم فى غير شىء .

وكثير من الإخوان ليسوا كذلك ، ولكنهم يعطون من الوقت أكثر مما تستأهله القضية . القضية التى تحتاج إلى نصف ساعة يعطونها ساعتين . وكما يُضَيِّعون على أنفسه جزءاً من الوقت . فقد يُضَيِّعون هذا الوقت نفسه على

إخوانهم . إن المهمة التى تحتاج إلى ربع ساعة لا يصح أن نعطيها أكثر من ذلك ، وعلى الإخوان أن يلاحظوا هذا مع بعضهم ، وأحرى أن يلاحظوه مع من قدموه لخدمتهم ، إن الذين يُقدِّمون أخاً لهم ليخدمهم فى شئون الإدارة ، عليهم أن يلاحظوا أن كل وقت فى غير محله يأخذونه منه إنما هو إساءة لمجموع الإخوان . ولكن هذا لا يجوز أن يكون مبرراً للإخوان الإداريين أن يكونوا ضَيِّقى الصدر مع إخوانهم . فرسول الله ﷺ قام بأعظم عبء قام به إنسان ومع ذلك كان يسع الناس جميعاً ، ولا يرى الناس منه إلا بِشْراً .

* * *

إن وصايا الأستاذ البنا العشر لإخوانه هى المظهر العملى لجماعة الإخوان المسلمين ، وأى تفريط بواحدة منها يسلب الجماعة بعض خصائصها . إن أخطر ما تُصاب به الجماعات ألا يتمثل أفرادها دعوتهم ، بحيث يكونون صوراً عملية عنها ، وهذا أخطر ما يواجه دعوتنا وما أساء إليها . فعلينا أن نعطى دعوتنا حقها من أنفسنا ، وأعظم حقوقها علينا أن نتمثلها حق التمثيل . وليعلم الأخ المسلم أن كل تقصير منا إنما هو صد عملى عن دعوتنا وجماعتنا ، وهذا فى الحقيقة نوع من الخيانة غير المقصودة لهذه الجماعة ولهذه الدعوة .

إن دعوتنا دعوة تريد قلب مفاهيم العالم المعاصر رأساً على عقب بالحق الذى أنزله الله تعالى .

وإن جماعتنا هى الأداة التنفيذية لهذه الدعوة . وجماعة عليها أن تقوم بهذا كله يجب أن يكون أفرادها على مستوى هذا كله إذا كانوا صادقين مع الله فى دعوتهم وفى حملها ، وإلا فإننا نكون كما قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ، بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [1] .

* * *

---

(١) الجمعة : ٥

الخاتمة

وبعد .. لقد قلنا فى هذه الرسالة الكثير الكثير ، ومع ذلك فلم نقل كل شيء عن دعوة الإخوان المسلمين ، وسيلومنا الكثيرون على هذا الذى قلناه وجمعناه ، ولكن أليس لنا عذرنا ؟

فى بعض حملات التفتيش وقعت هذه الأوراق بيد حكومة بعض الأقطار ، وحاسبت صاحبها عليها عملياً ومع أنها جهد شخصي وقسم كبير منها اجتهادات شخصية للمؤلف . ومع ذلك فقد حاول بعضهم فى مرحلة أن يحاسب عليها الجماعة نفسها فى بعض الأقطار . فإذا كان الأمر كذلك فلم ير المؤلف أن تبقى هذه الأوراق حبيسة

* * *

ثم إنه بعد رحلة الخمسين عاماً أصبحت بعض الأمور تحتاج إلى بيان وتذكير وتركيز ، ثم إنه لأسباب بعضها يعود إلى الصف الإسلامي كله ، وبعضها يعود إلى صف الإخوان المسلمين نفسه ، رأينا ضرورة نشر هذا الكتاب مضطرين .

ومع علمنا أن ما وضعنا فيه من أبحاث قاصر عن أن يغطى عنوان الكتاب ، ولكنا وجدنا أن أبحاثاً أخرى أليق برسائل أخرى .

فهذا اعتذارنا لمن يلومنا فى طبع هذه الرسالة .. ونسأل الله أن يُطهر ظواهرنا وسرائرنا من كل ما يُبعدنا عن محبته ورضوانه ، ونسأله العفو والعافية وحسن الختام .

لا يفوتنا فى خاتمة هذه الرسالة أن نشير إلى أن فيها مواضيع قليلة قد شارك فى تحقيقها ، أو تحريرها ، أو وضعها فى صيغتها النهائية أخوة أتقياء أخفياء يعرف الله عنهم مواقفهم ، فيكتفون بذلك عن معرفة الناس .. فجزاهم الله خيراً .

وآخر دعوانا ﴿ ... أن الحمدُ لله رب العالمين ﴾[1] .

والله أكبر .. ولله الحمد .

* * *

---

[1] يونس : ١٠ .

محتويات الكتاب

الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب

٤٠٤١ / ١٩٨٤
